المسلمون والبيزنطيون

فى شرق البحر المتوسط

فيما بين القرنين الثالث والسادس هـ / التاسع والثانى عشر م

الجزء الأول

تأليف

الدكتور أحمد عبد الكريم سليمان

مدرس تاريخ العصور الوسطى

بكلية التربية - جامعة القاهرة

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م

المسلمون والبيزنطيون

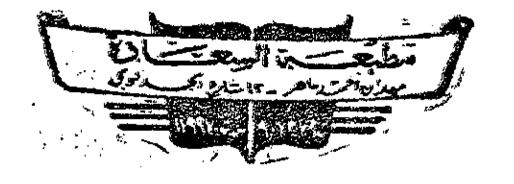
فى شرق البحر المتوسط

فيما بين القرنين الثالث والسادس هـ / التاسع والثانى عشر م

الجزء الأول

تأليف
الدكتور أحمد عبد الكريم سليمان
مدرس تاريخ العصور الوسطى
بكلية التربية - جامعة القاهرة

الطبعة الأولى
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م


مطبعة السعادة

فهرس الموضوعات

الموضوع　　　　　　　　　　　　صفحة

الموضوع — صفحة

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يسرنى أن أقدم للقارىء الجزء الأول[1] من كتاب «المسلمون والبيزنطيون فى شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس هـ/التاسع والثانى عشر م» ويتناول هذا الجزء تاريخ العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين فى شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والخامس هـ / التاسع والحادى عشر م .

ذلك أنه كان للامتداد النفوذ السياسى للدولة الإسلامية الناشئة على حساب الأقاليم التى كانت خاضعة للدولة البيزنطية ، كان لهذا الامتداد أثره فى التاريخ البيزنطى، بل إنه أصبح يمثل عصرا جديدا بالنسبة للامبراطورية البيزنطية،فلم ينس البيزنطيون أن امتداد الدولة الإسلامية كان على حساب أغنى أقاليمهم - مصر والشام وشمال أفريقيا - وأن هذه الأقاليم لم تصبح ضمن الدولة الإسلامية فقط، بل أصبحت أيضا قواعد أمامية ومناطق وثوب لاستئصال شأفة الامبراطورية البيزنطية بأسرها ، ومن هذا المفهوم تحددت السياسة البيزنطية تجاه الدولة الإسلامية ، وهى سياسة قامت فى جوهرها على العداء ومحاولة استغلال كافة الظروف والمصاعب التى تحيط بالمسلمين من أجل استرداد الأراضى البيزنطية المفقودة .

وإذا كانت الدولة الإسلامية فى فترة عنفوانها لم تمكن البيزنطيين من تحقيق أحلامهم فى استرداد هذه الأقاليم ، فإن هذه الأحلام لم تمح أبدا من ذاكرة البيزنطيين ولم يطوها النسيان ، فما أن بدأت عوامل الضعف تدب فى جسد الخلافة العباسية منذ منتصف القرن الثالث الهجرى «التاسع م» حتى بدأ البيزنطيون فى ظل حكم الأسرة المقدونية ٨٦٧م — ١٠٥٦م الاتجاه شرقا

---

(١) صدر الجزء الثانى من هذا الكتاب للدكتور عبد الحفيظ محمد على - دار النهضة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٢ م .

لتحطيم القواعد الإسلامية الأمامية ـ الثغور ـ تمهيداً للاستيلاء عليها بالكامل ثم الزحف منها إلى ماوراءها فى عمق الأراضى الإسلامية .

والواقع أن العلاقات الإسلامية البيزنطية منذ القرن الثالث هـ (التاسع م) قد شهدت أحداثاً ضخمة جديرة بالدراسة لإظهار تفاصيلها وبيان غموضها وتشابك عناصرها ، ذلك لأن الصراع الذى دار بين الجانبين فى شرقى البحر المتوسط كان فريداً فى نوعه ، فهو صراع دار بين أكبر امبراطوريتين وحضارتين متجاورتين ، وشمل كافة الوسائل المتاحة لكل منهما عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ، ومن هنا استوجبت دراسة هذا الموضوع تتبع ذلك الصراع فى شتى أشكاله وميادينه على البر وفى البحر ، ثم توضيح الخط البيانى لميزان القوى بين الجانبين ، وأخيراً النتائج التى انتهى إليها ذلك الصراع .

لقد كان لكل من الجانبين فى هذا الصراع عناصر قوة وعناصر ضعف ، فالخلافة العباسية كانت تحارب على حدودها عدواً واحداً هو البيزنطيون ، لكن أعداءها الداخليين كانوا كثيرين ، فضعف شخصية الخليفة وزوال سيطرته على الجيش مفتاح القوة فى أى دولة ، والتنافس والتناحر بين قادة الجيش والتمرد على السلطة المركزية فى بغداد ، والفتن والثورات من علويين وقرامطة وزنج وصفاريين ، وأخيراً تمزق الدولة الإسلامية نفسها إلى دويلات مستقلة وشبه مستقلة ، كل هذه العوامل أضعفت من إمكانية المواجهة الحاسمة للامبراطورية البيزنطية ، وأصبحت هذه المواجهة تتمثل فى مواقف فردية لولاة الثغور ، أو الدويلات المستقلة مثل الحمدانيين فى حلب ، حتى إذا جاء عصر السلاجقة تغير الموقف مع البيزنطيين لمصلحة الجانب الإسلامى .

أما الجانب البيزنطى فإن الأسرة المقدونية التى تولت الحكم منذ سنة ٨٦٧م حتى سنة ١٠٥٦م نفخت فى الدولة البيزنطية روحاً جديدة ، وعزم أباطرتها على وضع حد للهجمات الإسلامية التى تشن على أراضيهم فى الجبهة الشرقية ، كما قرروا القضاء على سيطرة المسلمين البحرية فى شرقى البحر المتوسط التى كانت قائمة منذ سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م بعد استيلاء المسلمين على جزيرة كريت

وبدء فتح صقلية فى نفس العام . وبرغم أن أعداء الامبراطورية البيزنطية كانوا على حدودهم فى الشمال والغرب بالإضافة إلى المسلمين فى الشرق ، فإن إصلاح الجيش والأسطول البيزنطى كان كفيلا بإحراز التفوق فى الصراع مع المسلمين حتى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى «منتصف الحادى عشر م» .

لقد شهد الصراع بين الامبراطورية البيزنطية والمسلمين شرقى البحر المتوسط منذ القرن الثالث الهجرى أحداثاً بارزة على البر وفى البحر كان لها نتائجها الخطيرة على مجريات ذلك الصراع ، فالنشاط الذى أبداه ولاة الثغور الإسلامية حتى منتصف القرن الثالث هـ «حوالى منتصف التاسع م» تم إحباطه نتيجة الهجمات المركزة على إمارة ملطية بعد أن قتل أميرها «عمرو بن عبيد الله الأقطع» سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م . وبرغم استمرار مقاومة هذه الإمارة للهجمات البيزنطية فإنها سقطت فى النهاية سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م ، واستتبع سقوطها استيلاء البيزنطيين على كثير من الحصون التى كانت تعتمد عليها فى الدفاع عن منطقة أعالى الفرات . ومنذ أن استولى «سيف الدولة الحمدانى» على حلب أصبح بطل الجهاد الإسلامى ، وغزا أكثر من أربعين غزوة نجح فى بعضها وأخفق فى البعض الآخر ، لكن المحصلة النهائية كانت أيضا لمصلحة البيزنطيين الذين استولوا على ثغور الشام - الحدث وأذنة والمصيصة وطرسوس - .

وقد أدرك البيزنطيون أن تشتيت قوتهم فى الحرب مع المسلمين فى البر والبحر عامل مهم من عوامل استمرار مقاومة المسلمين ، ومن هنا اتجهت السياسة البيزنطية نحو تحطيم السيادة البحرية للمسلمين فى شرق البحر المتوسط ، وتحقق للبيزنطيين هذا الهدف فى انتصارين حاسمين ، الأول هو انتصار الأسطول البيزنطى بقيادة «رادينوس» على الأسطول الإسلامى بقيادة «ليو الطرابلسى» ٣١١هـ/٩٢٢—٩٢٣م . ولما لم يكن لليو الطرابلسى خلفاء من بعده على نفس مستوى كفايته الحربية ، فقد انفرد البيزنطيون بجزيرة

كريت ، وحققوا انتصارهم الثانى عندما نجح « نقفور فوقاس » فى استردادها وإعادتها إلى حظيرة المسيحية مرة أخرى سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م ، ثم أعقبها استيلاء البيزنطيين على قبرص سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م ، وبذلك عادت السيادة البيزنطية على المياه الشرقية فى البحر المتوسط وواجهوا الخلافة الفاطمية فى القاهرة بقوة بحرية خطيرة .

وهكذا تفرغ البيزنطيون بعد ذلك لمواجهة المسلمين فى البر ، وشن الأباطرة « نقفور فوقاس » ثم ابن الشمشقيق » وبعده « باسيل الثانى» هجمات عنيفة على الشام والعراق ، ولم تفلح قوة الفاطميين فى القضاء عليهم ، وأصبح الصراع بين البيزنطيين والفاطميين من أجل السيطرة على حلب التى أصبح أميرها فى كثير من الأحيان تحت الحماية البيزنطية .

ولم يستمر ذلك التفوق البيزنطى فى البر بعد انتهاء حكم الأسرة المقدونية ، فقد تعرضت الامبراطورية البيزنطية منذ حكم الامبراطور باسيل الثانى ٩٧٦ — ١٠٢٥م لعوامل انهيار شتى لم تظهر نتائجها السلبية إلا فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى « منتصف القرن الحادى عشر م » : فضم ممالك أرمينيا ونقل المواطنين الأرمن إلى آسيا الصغرى ترتب عليه اختلاف التركيب العرقى وانهيار البناء الثقافى فى ذلك الإقليم ، فإذا أضفنا إلى ذلك سياسة الأباطرة بعد « باسيل الثانى » فى إضعاف الجيش ، وانهيار النظام الإقطاعى فى آسيا الصغرى ، فإن كل هذه العوامل كانت السبب فى انهيار قوة البيزنطيين أمام السلاجقة الذين نجحوا فى تغيير ميزان القوى لمصلحة المسلمين ، وألحقوا الهزيمة بالبيزنطيين فى معركة « مانزكرت » سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م .

وإذا كانت الحرب هى السمة الغالبة على علاقات المسلمين بالبيزنطيين فإن ذلك لم يمنع أيضاً وجود علاقات قائمة على أساس السلام ، فالعلاقات الحضارية من ثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية يفرضها الوجود المشترك للشعوب

المختلفة التى تقطن منطقة جغرافية واحدة .وهكذا تأثرت الحضارة الإسلامية فى جانبها المادى بالحضارة الهلينستية التى كانت سائدة فى الأراضى التى استولى عليها المسلمون ، كما أن حالة الحرب بما يتبعها من فترات هدنة أدت بالضرورة إلى الاتصال المباشر بين المسلمين والبيزنطيين فى منطقة الحدود المشتركة ، وفى السفارات المتبادلة ، وفى الاتفاقيات التجارية التى تمت بين الجانبين .

وهكذا فإنه برغم أهمية هذه الفترة الحاسمة فى التاريخ الإسلامى والبيزنطى لما جرى فيها من أحداث ضخمة وعلاقات حضارية متفاوتة فى التأثير والتأثر ، برغم ذلك فإن هذه الفترة لم تحظ من قبل بدراسة مستفيضة ومستقلة بذاتها ، إنما جاء تناولها ضمن موضوعات أخرى أكبر وأشمل أو مفرقة فى أبحاث مختلفة يصعب الجمع بين أشتاتها لرسم صورة واحدة لموضوع يجب أن يكون فى إطار واحد لارتباط أحداثه بعضها ببعض . وإنى آمل أن يعين هذا البحث بما تضمن من دراسة تحليلية لكافة الأحداث التاريخية والسياسية التى حفلت بها تلك الفترة التاريخية ، آمل فى أن يعين على رسم صورة صحيحة عن هـذه الفترة فى تاريخ العلاقات الإسلامية البيزنطية .

ولقد تطلبت طبيعة دراسة هذا الموضوع الاعتماد على كثير من المصادر الأصلية العربية والبيزنطية فضلا عن المراجع الحديثة العربية والأوربية التى اعتمدت بوجه خاص على المصادر البيزنطية الأصلية .

وفى مقدمة هذه المصادر كتاب « تاريخ الأمم والملوك » « لمحمد بن جرير الطبرى » المتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م والذى كان معاصرا للأحداث الخاصة لفترة كبيرة من القرن الثالث الهجرى « التاسع الميلادى » ومن هنا استطاع الطبرى أن يقدم مادة تاريخية صحيحة عن أحوال الخلافة العباسية فى هـذا القرن ، وبوجه خاص فيما يتعلق بالفتن الداخلية التى تعرضت لها الخلافة مثل ثورات العلويين والزنج ، كذلك ألقى الطبرى ضوءا واضحا على عـلاقات الخلفاء العباسيين مع الأباطرة البيزنطيين . ويعتبر كتاب الطبرى مصدرا أساسيا لتصوير

حالة الثغور الإسلامية فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى «التاسع الميلادى» ونشاطها الحربى ضد البيزنطيين ، وبوجه خاص فيما يتعلق بدور ثغرى ملطية وطرسوس ، ومع ذلك فهناك حوادث مهمة لم يذكرها الطبرى مثل هزيمة الامبراطور ميخائيل الثالث عند سميساط سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م بل أورد نصا غامضا هو «وفيها أغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا نحوا من خمسمائة»[١]. وقد فسر بعض المؤرخين الأوربيين هذا النص على أنه يعنى إنتصار الامبراطور ميخائيل الثالث فى المعركة[٢] ويرى الباحث أن المصادر البيزنطية فى هذه النقطة أوفى من الطبرى ، وبوجه خاص كدرينوس وزوناراس اللذان أوردا تفاصيل دقيقة عن هزيمة الامبراطور ميخائيل الثالث عند سميساط ، ولا يوجد مبرر للأخذ بوجهة النظر التى تقول بأن المصادر البيزنطية تعمدت إخفاء النصر الذى أحرزه الامبراطور ميخائيل الثالث عند سميساط .

وسار على نهج الطبرى فى حولياته كل من عريب بن سعد القرطبى فى الصلة ثم محمد بن عبد الملك الهمدانى فى التكملة ، فأوردا تفاصيل أحوال الخلافة العباسية فى عهد المقتدر والعلاقات بينه وبين الامبراطورة زوى وسفارتها إلى بغداد سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م ، وهجمات القرامطة على البصرة والكوفة سنة ٣١١هـ/٩٢٣م وسنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م .

ويعتبر كتاب تجارب الأمم لمسكويه «أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب ٤٢١هـ/١٠٣٠م» صورة صحيحة إلى حد كبير عن أحوال الخلافة العباسية فى القرن الرابع الهجرى «العاشر م».وقد أورد سفارة الامبراطور رومانوس ليكابينوس إلى المقتدر سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م ، وإنذار رومانوس إلى ولاة الثغور الإسلامية بدفع الخراج له والدخول فى طاعته ، وكذلك هجمات

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٢١٨

(٢) ومن هؤلاء المؤرخين فازيليف وجاريجوار . انظر فازيليف: العرب والروم ص ٢٠٦ – ٢٠٧ ، Cambriade Medieval Histsry, vol. IV, I, P. 110

كوركواس ونقفور فوقاس على منطقة الثغور . وتعرض مسكويه لأحوال الحمدانيين فى الموصل وعلاقتهم بالبويهيين من ناحية ، وعلاقتهم بالبيزنطيين من ناحية أخرى ، وبوجه خاص موقف أبى تغلب الحمدانى وعلاقته مع الثائر البيزنطى برداس سكليروس .

أما تكملة كتاب سعيد بن البطريق المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لمؤلفه يحيى بن سعيد الأنطاكى : ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦ م الذى عاش بعد العصر الحمدانى فى حلب بفترة قصيرة وعاصر الخلافة الفاطمية، فإن أخباره عن هذه الفترة دقيقة إلى حد كبير .وقد أورد الأنطاكى بعض حملات سيف الدولة وغلامه نجا ، وكذلك حملات ابن الشمشقيق على المصيصة سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤ م ثم استيلاء نقفور فوقاس عليها سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م ، كما تعرض الأنطاكى لعلاقات البويهيين بالبيزنطيين ، كما قدم مادة تاريخية طيبة عن حلب أواخر العصر الحمدانى والصراع عليها بين الفاطميين والبيزنطيين ، وأورد الأنطاكى تاريخين مهمين هما تاريخ وصول حملة نقفور فوقاس إلى كريت «جمادى الأولى سنة ٣٤٩هـ/ يوليه ٩٦٠م وتاريخ استيلائه عليها » ١٥ محرم سنة ٣٥٠هـ/مارس ٩٦١ م .

وانفرد كتاب المجالس والمسايرات للقاضى النعمان أبى حنيفة ابن حيون ٣٦٣هـ/ ٩٧٤ م بذكر حقائق تاريخية هامة عن كريت منها ماذكره صراحة بأن أهل كريت كانوا يقيمون الدعوة لبنى العباس ، ومنها رسالة الخليفة المعز لدين الله إلى كافور الاخشيدى لاجتماع أساطيلهما المشتركة فى مرسى طنبة من أرض برقه فى ربيع الآخر سنة ٣٥٠ هـ لإرسال النجدات إلى كريت .

ومن الكتب المتخصصة فى تاريخ حلب كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب لمؤلفه ابن العديم : كمال الدين أبو حفص عمر ٦٦٠ هـ/١٢٦٢م فهو مصدر أصلى لكتابة تاريخ الحمدانيين بها ، وأهم ماتضمنه هذا الكتاب هو حملات سيف الدولة وبوجه خاص غــزوة المصيبة سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م ، وهجوم نقفور

فوقاس على حلب سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م ، ومعركة تل الدم التى قتل فيها عدد كبير من الطرسوسيين . كذلك وضح ابن العديم الروح الصليبية التى ظهرت فى حملات نقفور فوقاس من تدمير المساجد وبوجه خاص فى طرسوس عندما اعتلى منبرها وقال لرجاله إن منبر طرسوس كان يمنعهم من منبر بيت المقدس . وذكر ابن العديم الاتفاقية التى عقدها البيزنطيون مع قرعويه حاكم حلب بعد وفاة سيف الدولة وأصبحت حلب بموجبها محمية بيزنطية ، وهذه الاتفاقية لم ترد بالتفصيل فى المصادر العربية الأخرى .

ومن المصادر المتخصصة أيضا فى تاريخ الحمدانيين كتاب أخبار الدول المنقطعة لمؤلفه ابن ظافر الأزدى : ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م ، فهو يتناول فى أحد فصوله تاريخ الدولة الحمدانية بأسرها كوحدة مستقلة وبالتالى جاء كتابه خلوا من الأحداث الجانبية الأخرى ، واهتم ابن ظافر بأخبار سيف الدولة وحملاته وحملات غلامه نجا على ديار بكر سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م بعد هزيمة سيف الدولة فى مغارة الكحل ، ثم حملة سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م لنجا ووصوله إلى ملطية . كذلك ذكر ابن ظافر أحوال الدولة الحمدانية بعد سيف الدولة وموقف القوى الثلاث التى كانت تتصارع على حلب وهم : البيزنطيون والفاطميون والبويهيون .

ويعتبر أبو فراس الحمدانى « الحارث بن سعيد » ٣٥٧هـ / ٩٦٨م من شعراء الحرب فى بلاط سيف الدولة ومن مرافقيه ، فهو لذلك شاهد عيان على كثير من المعارك التى شهدها أو اشترك فيها بنفسه ، وأنشأ قصائد عن هذه المعارك وعن فترة أسره فى القسطنطينية ، وهى القصائد المعروفة بروميات أبى فراس . ومقدمات هذه القصائد على جانب كبير من الأهمية لأنها تصف خط سير بعض الحملات العسكرية التى لم ترد فى المصادر الأخرى ، وقد قام أبو فراس شخصيا بقيادة فرقة أعادت بناء ثغر رعبان سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢ م ، واشترك فى معركة مع البيزنطيين الذين حاولوا إعاقة عملية البناء . كذلك تضمن ديوان أبى فراس معلومات وافية عن هزيمة الدمستق برداس فوقاس وأسر ابنه قنسطنطين سنة ٣٤٢هـ / ٩٥٣ م على يد سيف الدولة ، وعن قيام سيف الدولة

ببناء ثغر الحدث سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م . وأمدتنا قصائد أبى فراس عن كيفية معـــاملة الأسرى المسلمين فى القسطنطينية . وعن المناظرات التى تمت بين أبى فراس وبين الدمستق .

وكان المتنبي « أبو الطيب » ٣٥٤ هـ / ٩٦٦م شأنه شأن أبي فراس فهو من مرافقى سيف الدولة وشاهد عيان على كثير من المعارك ، وانفرد بذكر حملة سيف الدولة سنة ٣٤٠ هـ/٩٥٢م التى وصل فيها إلى سمندو وتهيب جيشه لقاء العدو ، ثم انسحاب سيف الدولة بسبب حلول فصل الشتاء ، وقد أنشأ المتنبى قصيدتين فى هذه الحملة . ومن المعلومات التاريخية المهمة التى تضمنها ديوان المتنبى السفارات البيزنطية التى وردت إلى سيف الدولة سنة ٣٤١ هـ/ ٩٥٣ م وسنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م .

ومن المصادر المتخصصة فى تاريخ بلاد الشام بوجه عام ودمشق بوجه خاص كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى « أبو يعلى حمزة » ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ، وقد تميز عن باقى المؤرخين بذكر التفاصيل الخاصة بحملة الإمبراطور ابن الشمشقيق على بلاد الشام سنة ٣٦٤ هـ/٩٧٥ م وموقف الفتكين التركى حاكم دمشق منها . كذلك أورد ابن القلانسى المحاولات المتعددة للخليفة الفاطمى العزيز بالله السيطرة على حلب عن طريق بكجور الذى طرده سعد الدولة من حلب إلى الرقة ، من ذلك ماحدث سنة ٣٧٣هـ/٩٧٣م وسنة ٣٨١هـ/٩٩١م . ثم محاولة العزيز عن طريق منجوتكين والى دمشق، واستنجاد سعيد الدولة الحمدانى بالإمبراطور باسيل الثانى سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢م ثم سنة ٣٨٤هـ ٩٩٤م ؛ وتدخل حاكم أنطاكية البيزنطى لصالح سعيد الدولة والهزيمة التى لحقت بهما ، أى أن ابن القلانسى تعرض للعلاقات الفاطمية البيزنطية من خلال الصراع بينهما للسيطرة على حلب .

ومن الموضوعات الأخرى التى أوردها ابن القلانسى فى كتابه الفتن الداخلية التى نشبت فى مصر وبلاد الشام فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وعلى نحو خاص

فى دمشق وصور وأفامية وتدخل البيزنطيين فى هذه الأحداث . والخلاصة أن ابن القلانسى يعتبر المصدر الرئيسى لتاريخ دمشق والشام فى عصر الفاطميين .

أما المصادر البيزنطية فيأتى على رأسها كتاب يوحنا كمنياتى Ioannes Cameniata « سقوط سالونيك » De Excidio Thessalonicensi[1]، وترجع أهمية هذا الكتاب بالنسبة للبحث فى أن يوحنا كمنياتى وهو قس ومرشد دينى كان موجودا فى سالونيك فى أثناء الهجوم الذى قام به ليو الطرابلسى - غلام زرافة - على هذه المدينة سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ، وقد تم أسر يوحنا كميناتى مع أفراد عائلته على يد القوات الإسلامية . وهكذا كان وصف يوحنا كمنياتى للهجوم الإسلامى وصف شاهد عيان ، وهو تقريبا المصدر الوحيد لسرد ما حدث على أرض سالونيك عقب نزول المسلمين إليها .

وبصرف النظر عن المبالغات التى تضمنها كتاب يوحنا عن شراسة المهاجمين ووحشيتهم فإننا عرفنا من كتابه إجراءات الدفاع التى قام بها حاكم المدينة والارتباك الذى سيطر على الامبراطور ليو السادس فجاءت أوامره متضاربة . وعرفنا من وصف كمنياتى أيضا خط سير الحملة فى أثناء رحلة العودة ومرور الأسطول الإسلامى على الجزر التابعة لكريت والتى توضح مدى سيطرة المسلمين على جزر بحر إيجة التى كان بعضها مثل ناكسوس Naxsus يؤدى الجزية لحاكم كريت . وأفادنا كتاب كمنياتى أيضا عن مدى التعاون الذى كان بين الأساطيل الإسلامية فى شرق البحر المتوسط - أساطيل الشام ومصر وكريت - فقد أشار كمنياتى إلى اشتراك سفن من الأسطول المصرى فى هذه الحملة ، فقد ذكر عن نفسه بأنه أسر ونقل على ظهر سفينة مصرية إلى طرسوس .

أما كتاب صلة ثيوفان Tőephanes Contiuuatus لمؤلف مجهول ، فهو تتمة لكتاب ثيوفان الذى انتهى عند أحداث القرن التاسع الميلادى .

---

(١) نشر ضمن مجموعة التاريخ البيزنطى الـ Corpus Scriptorium Byzantinae باليونانية مع ترجمة لاتينية له طبعة بون سنة ١٨٢٨م وما بعدها .

ويبدأ كتاب صلة ثيوفان بأحداث سنة ٨١٣ م فى عهد الإمبراطور ليو الأرمنى وانتهى سنة ٩٦١ م ، وهناك شك فى أن يكون هـــذا الكتاب من تصنيف الامبراطور قسطنطين السابع[1]. وتضمن كتاب صلة ثيوفان أخبارا عن فتح المسلمين لجزيرة كريت وعن الحملات التى أرسلها الامبراطور ميخائيل الثانى لاستردادها ، وهذه الحملات لم ترد فى المصادر العربية . وتضمن الكتاب أيضا معلومات وافية عن نشاط مسلمى كريت ضد شواطىء آسيا الصغرى وهجماتهم على الجزر البيزنطية فى عهد الإمبراطور ثيوفيل والإمبراطور باسيل الأول المقدونى . كذلك أشار كتاب صلة ثيوفان إلى المعارك البرية التى دارت بين الأمير عمرو بن عبيدالله الأقطع أمير ملطية وبين البيزنطيين، وتحدث عن هزيمة الإمبراطور ميخائيل الثالث عند سميساط سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م وعن مقتل الأمير عمرو أثناء غزوه الأراضى البيزنطية سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م ، وعن العمليات العسكرية التى تمت فى منطقة الثغور الشامية عند طرسوس .

أما ليو الشماس Leo diaconus صاحب كتاب « التاريخ » Historiae فإن كتابه الذى ألفه فى نهاية القرن العاشر الميلادى تناول فيه أحداث الفترة من سنة ٩٥٩ م إلى سنه ٩٧٦ م ، ويعتبر كتاب ليو الشماس المصدر الرئيسى لوصف حملة نقفور فوقاس على كريت التى بدأت سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م حتى تم الاستيلاء عليها أوائل سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م وأمدنا بمعلومات وافية عن مقاومة الكريتيين وعن المصاعب التى صادفها نقفور على أرض الجزيرة . كذلك يعتبر ليو الشماس مصدرا مهما عن حملات الإمبراطور ابن الشمشقيق على منطقة الجزيرة فى أعالى العراق ، ويؤخذ عليه فى هذه الناحية اختلاط الأمر عليه فتحدث عن الحملتين سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٠ م وسنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م على أنهما حملة واحدة ، كما لم يذكر ليو شيئا عن مساعدة ملك أرمينيا آشوت الثالث للامبراطور ابن الشمشقيق .

---

(١) The New Encyclopedia Britanica, II, P. 939.

أما كتاب الإمبراطور قنسطنطين السابع (المراسيم) **De ceremonii Aulae Byzantirae** فترجع أهميته بالنسبة للبحث إلى ما تضمنه من معلومات مفصلة عن الحملتين اللتين أرسلتا إلى كريت سنة ٩١١ م ، سنة ٩٤٩ م فقد عاصرهما الامبراطور قنسطنطين السابع . وجاء كلام قنسطنطين عن الحملة الأولى تحت عنوان : الحملة على كريت أهلكها الله والمصاريف وعدد الجنود المأجورين ، وقد تمت أيام ليو حبيب المسيح تحت قيادة البطريق همريوس .

والحملة الثانية تحت عنوان : حملة على كريت سنة ٩٤٩م وسلاح الأسطول والفرسان أيام قنسطنطين ورومانوس .

ولم ترد أية بيانات مفصلة عن هاتين الحملتين سوى ما ورد فى كتاب المراسيم .

أما المؤرخ جنزيوس .Genesius, J فقد عاش فى القرن العاشر الميلادى وكتب تاريخه (تاريخ الملوك Basilieai) بناء على طلب الامبراطور قنطسنطين السابع وشمل الحوادث من عصر الإمبراطور ليو الأرمنى سنة ٨١٣م حتى نهاية عصر الإمبراطور باسيل الأول سنة ٨٨٦م[١] . وترجع أهمية كتاب جنزيوس إلى ما تضمنه من معلومات عن كريت ، وحملات الإمبراطور ميخائيل الثالث العمورى .

أما جورج كدرينوس .Cedrenus. G وكتابه « خلاصة التاريخ » **Historiarum Compendium** فقد عاش فى القرن الحادى عشر م، وربما كان راهبا وكتب كتابا فى التاريخ العام منذ بدء الخليقة حتى سنة ١٠٥٧م[٢]. وتضمن الجزء الثانى من كتابه معلومات تاريخية عن فتح المسلمين لجزيرة كريت وعن حملات

---

(١) The New Encyclopedia Britanica, IV, P. 463
وانظر أيضا الإختلافات المذكورة عن اسم يوسف جنزيوس فى المقدمة الواردة عنه فى طبعة : P. G. 109 p. 985—986, Migne.

(٢) The New Encyclopedia Britanica, II, P. 666.

الإمبراطور ميخائيل الثانى لاستردادها وهجمات مسلمى كريت على الشواطىء والجزر البيزنطية فى عهد الامبراطور باسيل الأول المقدونى ، كذلك تعرض كدرينوس للمعارك البحرية بين أسطول الطرابلسى والأسطول البيزنطى ، وعن حملة قسطنطين جونجيلس باختصار ، وعن حملة نقفورفوقاس على كريت سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م . كما قدم كدرينوس معلومات عن المعارك بين الحمدانيين والبيزنطيين .

أما عن زوناراس Zonaras, J. صاحب كتاب موجز التـــاريخ Epitomae Historiarum فقد عاش فى النصف الأول من القرن الثانى عشر م وشغل وظيفة مهمة تحت حكم الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين ثم أصبح راهبا، وقد كتب كتابا فى التاريخ العام منذ بدء الخليقة حتى سنة ١١١٨م . وتضمن الجزء الثالث من كتابه معلومات وافية عن الإمبراطورية البيزنطية فى القرون التاسع والعاشر والحادى عشر الميلادية .

أما رسائل البطريرك نيقولا مستيكوس Nicolai Constantinopolitani Epistolae وهى تضم ـ ضمن ماتشتمل عليه من رسائل أخرى ـ ثلاث رسائل موجهة من البطريرك نيقولا مستيكوس إلى الحكام المسلمين . وهناك خلاف على الرسالة الأولى ، فهى معنونة إلى أمير كريت لكن سياق الرسالة يؤكد أنها مرسلة إلى الخليفة العباسى المقتدر[1] . والرسالة الثانية بعنوان « إليه أيضا » أما الثالثة فبعنوان إلى رئيس أمة السراكين ومملكتهم . والمقصود الخليفة العباسى وهو أيضا الخليفة المقتدر . وترجع أهمية هذه الرسائل فى أن الأولى تضمنت معلومات عن حملة داميان على قبرس سنة ٢٩٨ هـ/٩١١م بسبب تعاون سكانها مع همريوس قائد الأسطول البيزنطى الذى قام بهجوم على اللاذقية وكريت، ويحتج البطريرك فى رسالته على تصرفات داميان فى الجزيرة ويطلب إعادة القبارصة الأسرى إلى ذويهم . والرسالة الثانية تتعلق بنفس الموضوع تقريبا لأنها تنصب على إطلاق سراح الأسرى المسيحيين .

---

(١) انظر الملحق رقم ١

أما الرسالة الثالثة فينفى فيها البطريرك ما أشيع عن هدم مسجد القسطنطينية وعن المعاملة السيئة التى يلقاها الأسرى المسلمون ، فالرسالة تلقى ضوءاً على كيفية معاملة البيزنطيين للأسرى المسلمين .

وأخيراً أقـــدم شكرى إلى الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، والأستاذ الدكتور محمد محمد أمين ، والأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع ، فهم الذين شجعونى على مواصلة البحث ، وقدموا لى كل معاونة ممكنة ، كما أقدم شكرى إلى كل من قـــدم لى يد المساعدة من العاملين فى الهيئات العلمية ومراكز البحوث والمكتبات العامة .

والله ولى التوفيق ،

دكتور
أحمد عبد الكريم سليمان

ديسمبر سنة ١٩٨١

الفصل الأول

العلاقات بين الدولة البيزنطية والخلافة

العباسية قبيل القرن العاشر / م

* اتجاه الخلافة العباسية إلى ناحية الشرق وأثره على العلاقات الإسلامية البيزنطية .
* الحدود الإسلامية البيزنطية فى العصر العباسى .
* مـــيزان القوى بين الجانبين .

اتجاه الخلافة العباسية إلى ناحية الشرق

وأثره على العلاقات الإسلامية البيزنطية

بسقوط الخلافة الأموية عام ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م وقيام الخلافة العباسية بدأ عصر سياسي جديد في الدولة الإسلامية يختلف في كثير من خصائصه عن العصر الأموي الذي سبقه ، فقد صاحب قيام الخلافة العباسية انتهاء الشعور بالاتجاه إلى عالم البحر المتوسط ، وبعبارة أخرى فان الخلافة العباسية غيرت اتجاهها من البحر المتوسط وتطلعت إلى ناحية الشرق[١] ، فنتج عن ذلك أن أصبحت تلك الخلافة امتدادا للتراث الآسيوى ولا سيما للساسانيين[٢] ، فالمؤثرات الفارسية التي تحكمت في قيام الخلافة العباسية فرضت عليها نقل عاصمة الدولة الإسلامية من دمشق - مركز العصبيات الأموية - إلى بغداد القريبة من فارس فضعف بذلك الأثر الهيلينستى في الحضارة الإسلامية ، في حين ازداد فيها أثر الحضارات الشرقية كالفارسية والهندية والصينية (٣) .

وترتب أيضا على الاتجاه شرقاً ونقل عاصمة الدولة الإسلامية من دمشق إلى بغداد حدوث تغيير في سياسة الخلفاء تجاه العدو التقليدى وهو الإمبراطورية البيزنطية ، فبعد أن كان هدف الخلفاء الأمويين هو الاستيلاء على القسطنطينية واحتواء الإمبراطورية البيزنطية ، وأرسلوا من أجل ذلك عدة حملات عسكرية كبرى آخرها تلك التي انتهت في سنة ٩٩ هـ / ٧١٨ م ، نجد أن سياسة الخلفاء

---

(١) فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضارى — الكتاب الأول ص ٢٩١ ،

Demombynes, G., et Platonov; Le Mond Musulman et Byzantin jusqu aux Croisades p. 271, 320.

(٢) GABRIELI. F, Greeks & Arabs in the Central Mediterranean area, In Dumbarton oaks Papers No. 18—1964, P. 59.

(٣) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ١٣٧

العباسيين اقتصرت على حماية حدود دولتهم وإظهار هيبتهم الشخصية ، فلم يعد فتح القسطنطينية بالنسبة لهم سوى حلم من أحلام المجد[١]، أما البحر المتوسط فقد رفعوا أيديهم عنه ؛ وأصبحت شواطئه فى نظرهم بمثابة حدود ونهايات لدولتهم ينبغى الدفاع عنها ، لا أبواب وثغور يقفز منها إلى ما وراء البحر من بلدان »[٢] .

والسياسة الجديدة للخلفاء العباسيين باعتبار البحر المتوسط خط دفاع لا هجوم، وبعد عاصمة دولتهم عن ساحله مع التخلى عن محاولات فتح القسطنطينية جعل هؤلاء الخلفاء لا يهتمون كثيرا بدعم الأسطول الإسلامى فى البحر المتوسط[٣] إذ لم يعد سندا أساسيا لعملياتهم العسكرية البرية فى آسيا الصغرى كما كان الحال فى العصر الأموى ، لذا صارت مسئولية الدفاع عن الشواطىء الإسلامية الشرقية على البحر المتوسط تقع على عاتق أساطيل ذات طابع محلى، مثل أسطول طرسوس الذى أصبح جزءا من قوات الحدود[٤] ، وحتى ذلك الأسطول نفسه لم يسلم من نقمة أحد الخلفاء العباسيين — وهو المعتضد — فأمر بحرقه سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م فمنيت البحرية الإسلامية من جراء ذلك بخسارة كبيرة[٥] .

ونتيجة للضعف الذى لحق الأسطول الإسلامى فى العصر العباسى غلب الطابع البرى على العمليات الحربية التى قام المسلمون بها ضد البيزنطيين . وقد تمثل

(١) Demombynes, op. cit. p : 320.

(٢) فتحى عثمان : المرجع السابق — الكتاب الأول ص ٢٧٩

(٣) Demombynes, op. cit. p. : 320.

(٤) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ — ١١٠٠م) ترجمة أحمد محمد عيسى ص ١٦٠

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ١٠ ص ٨٠ ، المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٨٦ . وكان ذلك بسبب مكاتبة مكان طرسوس لأحد القادة الثائرين على الخليفة .

ذلك الطابع فى حملات موسمية تخترق الحدود البيزنطية فى تواريخ محددة مرتين أو ثلاث مرات كل عام ، عرفت باسم الصوائف والشواتى. فالأولى حملة الربيع وهى تقع لعشرة أيام تخلو من آيار/مايو بعد أن تكون خيول الغزاة قد تحسنت أحوالها لوفرة الكلأ والمراعى ، وتستمر هذه الغزوة ثلاثين يوما وهى بقية آيار (مايو) وعشرة أيام تخلو من حزيران (يونية)، ففى تلك الفترة يكون الكلأ وفيرا فى أرض العدو ، والحملة الثانية تتم فى الصيف وتبدأ لعشرة أيام تخلو من تموز (يوليه) وتستمر ستين يوما . أما حملة الشتاء وهى الثالثة فتحدث فى حالة الضرورة ، وتبدأ فى آخر شباط (فبراير) إلى أيام تمضى من آذار (مارس) مع مراعاة ألا يتوغل الغزاة فى حملة الشتاء أكثر من عشرين ليلة، ويقدر ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره[1] .

(١) قدامة بن جعفر: نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة. ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ص٢٥٩ ، فتحى عثمان: المرجع السابق الكتاب الثانى ص٣٢٠ .

الحدود الإسلامية البيزنطية فى العصر العباسى :

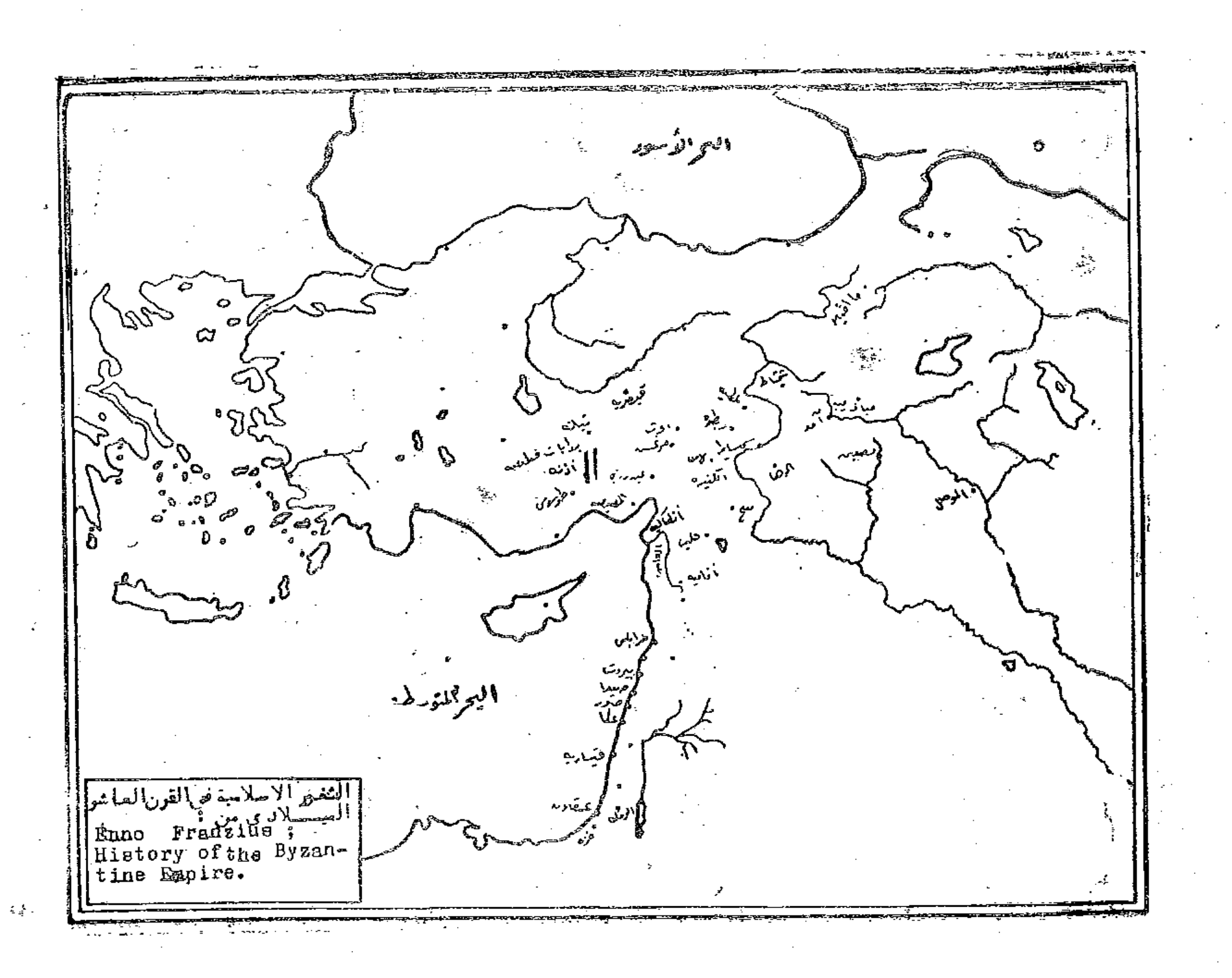
اكتمل رسم الحدود بين الجانبين الإسلامى والبيزنطى فى العصر العباسى الأول ، إذ اهتم الخلفاء وبخاصة الخليفة « هارون الرشيد » بإنشاء وتحصين الكثير من القلاع التى أطلق عليها أسم الثغور ، وشحنها بالجند[1] .

وقد انقسمت الثغور الإسلامية فى منطقة الحدود الإسلامية البيزنطية بوجه عام إلى أقسام ثلاثة : ثغور برية ، وأخرى بحرية ، وثالثة يجتمع فيها الأمران فهى برية وبحرية . وكانت الحدود البرية بين الجانبين تتألف من سلسلتى جبال طوروس وطوروس الداخلة . ويعين هذه الحدود ويحميها خط طويل من القلاع يمتد من ثغر ملطية على الفرات الأعلى إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط ، وكان البيزنطيون يحتلون تلك القلاع تارة والمسلمون تارة أخرى ، فالفريقان فيها بين كر وفر ، وقد انقسم خط القلاع إلى مجموعتين : إحداهما تحمى منطقة الجزيرة وتسمى ثغور الجزيرة وهى الشمالية الشرقية ، والثانية تحمى منطقة الشام وتسمى الثغور الشامية وهى الجنوبية الغربية[2] . ويفصل جبل اللكام بين ثغور الجزيرة وثغور الشام ، وكلاهما من الشام لأن كل ما هو غربى الفرات فمن الشام ، وإنما سمى بعضها من ملطية إلى مرعش بثغور الجزيرة لأن الجند المقيمين فيها كانوا من العراق أو من الجزيرة[3] . ومن الثغور التى اتفق على أنها من الشام طرسوس وأذنة والمصيصة وعين زربى والكنيسة والهارونية وبياس . ويقابل تلك الثغور

(١) المسعودى : المصدر السابق ج ٢ ص ٥١٥/٥١٦ .

(٢) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ص ١٦٠

(٣) ابن العديم: بغية الطلب فى تاريخ حلب. مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة رقم ١٥٦٦ ج ٢ ورقة ٣٠٦ ، ابن حوقل : صورة الأرض القسم الأول ص ١٦٨ .



الثغور الاسلامية في القرن العاشر الميلادي من:
Enno Franzius ; History of the Byzantine Empire.

الشامية فى أرض العدو جند أو ثغر القبادق والناطليق من ناحية البر، ثم سلوقية من ناحية البحر . أما ثغور الجزيرة فقد اشتملت على مرعش والحدث وزبطرة وكيسوم وحصن منصور وشمشاط وملطية ، ويقابلها فى أرض العدو جند خرشنة والخالدية[١] .

ويقطع جبال طوروس دروب كثيرة سلك المسلمون اثنين منها بوجه خاص فى غزواتهم السنوية للأراضى البيزنطية ، أولهما درب الحدث وهو فى الشمال الشرقى ويمتد من مرعش إلى أبلستين ، وكان يحمى ذلك الدرب حصن الحدث Adata . أما الدرب الثانى فهو درب الأبواب القيليقية Pylae Ciliciae الضارب شمالا من طرسوس فى اتجاه الطريق العام إلى القسطنطينية ، ويعرف فى قسمه الجنوبى باسم درب السلامة وهو متصل بالأبواب القيليقية ، وكان يحمى ذلك الدرب من جهة الشمال عدة حصون هامة منها حصن اللؤلؤة وإلى شمالها تيانة أو طوانة ثم حصن الصفصاف وهو فى طريق القسطنطينية ، وترجع أهمية ذلك الدرب إلى أنه كان الطريق الذى سلكه سعاة البريد ، ومرت منه وفود الإمبراطور البيزنطى أو الخليفة، هذا بالإضافة إلى أنه كان طريق الغزو الذى استعمله كلا الجانبين[٢] . ويلى ثغور الجزيرة مجموعة أخرى تعرف بالثغور البكرية نسبة إلى ديار بكر بالجزيرة وأهمها سميساط وحانى وملكين وعدة حصون منها حوران وجمح والكلاس ، وتنتهى الثغور البكرية فى أقصى الشمال منها بثغر « قاليقلا » أو « أرزن الروم » ، ويقابل الثغور البكرية من أجناد الروم الأرمنياق وبعض أجزاء من الخالدية[٣] .

(١) قدامة بن جعفر : المصدر السابق ص ٢٥٣ ، الباز العرينى : أجناد الروم ص ١٥ / ١٦ .

(٢) لسترنج : المرجع السابق ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، د . علية الجنزورى الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى ص ١٣–١٧ .

(٣) قدامة بن جعفر : المصدر السابق ص ٢٥٤، ٢٥٥ ، د. الباز العرينى المرجع السابق ص ١٦ .

وقد كون الخليفة هارون الرشيد خطا دفاعيا آخر خلف مناطق الثغور سمى بالعواصم ، ومن مدنه منبج ودلوك ورعبان وقورس وأنطاكية وتوزين وباليس . وكانت منبج عاصمة له ثم استبدلت بها أنطاكية فيما بعد[1] .

وكانت الخلافة الإسلامية فى فترة قوتها تزود مناطق الثغور بالجند والأموال اللازمة للصرف على وسائل الدفاع الخاص بها ، والقيام بالغزوات بالإضافة إلى ما يتحصل من ارتفاع تلك المناطق ، فالثغور الشامية بلغ ارتفاعها فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) حوالى مائة ألف دينار كل عام تنفق فى مصالحها مثل المراقب والحرس والفواثير والركاضة والموكلين بالدروب والمخائض والحصون بينما كانت نفقاتها المخصصة كرواتب الجند والغزاة فى الصوائف والشواتى فى البر والبحر تبلغ ما بين مائتى ألف وثلاثمائة ألف دينار كل عام[2] فلما ضعف أمر الخلافة أهمل شأن الثغور فاستولى العدو على أكثرها . كذلك ساهمت التبرعات التى يرسلها المحسنون إلى الثغور فى نفقات الدفاع عنها[3] . أما الثغور البحرية فاشتملت على الموانى التى تقع على ساحل البحر المتوسط فى الشام ومصر ، وأهمها أنطرطوس وبلنياس واللاذقية وجبلة وطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وصور وعكا ، وكان بصور صناعة السفن الحربية ، ثم قيسارية وأرسوف ويافا وعسقلان وغزة ثم سواحل مصر : رفح والفرما والعريش[4] .

وفى مقابل الثغور العربية التى اتخذها المسلمون قواعد للهجوم على الأراضى البيزنطية ، وملاجىء يتحصنون بها عند الدفاع ، اتخذ البيزنطيون نظاما خاصا بمناطق الحدود خارجا عن النظام المعروف لديهم باسم ألوية الثغور Themes .

(١) Le Strange, Pales Tine Under The Moslems. p. 36—37.

(٢) قدامة بن جعفر : المصدر السابق ص ٢٥٣ .

(٣) د. علية الجنزورى : المرجع السابق ص ١٠ .

(٤) قدامة بن جعفر : المصدر السابق ص ٢٥٥ .

فقد خضعت مناطق الحدود البيزنطية لاحتلال عسكرى دائم وكانت تسمى باسم مناطق الثغور Kleisourai أو Clissurae وقائدها باسم قائد الثغور Clissurarch [(١)]. ولما ازدادت الغارات الإسلامية على مناطق الثغور دعمت تلك المناطق بحاميات أطلق عليها اسم حراس الحدود Akritai وتمتع هؤلاء الحراس بقدر معين من الاستقلال عن السلطة المركزية لأن حالة الحرب فى مناطقهم كانت هى الحالة العادية للحياة [(٢)].

واستخدم البيزنطيون للاخطار عن تحركات الجيوش الإسلامية المشاعل التى كانوا يشعلونها فوق المنارات أو الأبراج الخشبية، ابتداء من أول برج قريب من المواقع الإسلامية بالقرب من طرسوس، ثم تقوم باقى الأبراج المقامة على مسافات متباعدة بنقل الرسالة أى بإشعال النار، وهكذا حتى يصل الخبر إلى القصر الإمبراطورى فى العاصمة البيزنطية [(٣)].

على أن رجال الحدود لا ينتظرون الأوامر من العاصمة، فعند الانذار بهجوم إسلامى كان المدنيون يتمركزون فى الحصون، والعسكريون يتجمعون طبقاً للخطة الموضوعة، فيسرع المشاة إلى الممرات بينما رماة السهام ينهكون المهاجمين ويؤخرونهم حتى وصول القوات الرئيسية [(٤)]، وفى الوقت نفسه تحشد الثغور المجاورة جيوشها وتستعد للتجمع فى نقطة معينة يتفقون على أنها هدف الهجوم المتوقع، فإذا صح توقعهم وقع المغيرون فى كمين [(٥)].

---

(١) رانسيمان : الحضارة البيزنطية ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ص ١٦٤ .

(٢) Vasiliev, on the question of Byzantine feudalism, in Byzantion VIII 1933—f. 2 p : 600—601.

(٣) Theophanes Continuatus, p. : 197.

د. إبراهيم أحمد العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ص ٧٤ .

(٤) Enno Franzius, History of the Byzantine Empire p. 182.

(٥) د. الباز العرينى : المرجع السابق ص ١٣ .

ميزان القوى بين الجانبين :

مثل عصر الخليفة « هارون الرشيد » (١٧٠ — ١٩٣هـ/٧٨٦ — ٨٠٩م) عصر الذروة في المكانة التي تمتعت بها الخلافة العباسية في نظر الدول الأجنبية خصوصاً الأمبراطورية البيزنطية ، لما حققه من إنتصارات عليها حتى فرض على الأمبراطورة إيرين (٧٩٧ — ٨٠٢ م) جزية تؤديها له كل عام ، فكان ذلك سبباً للقول الذي جرى بأن الخليفة « هارون الرشيد » كان في سنة ١٨٦هـ/ ٨٠١م سيد الأمبراطورية البيزنطية .[1] وباعتلاء الخليفة « المأمون » الخلافة (١٩٨ هـ — ٢١٨هـ/ ٨١٣ — ٨٣٣ م) بدأ ميزان القوى في الاعتدال بين الجانبين بسبب ما واجهه كل منهما من أخطار داخلية وخارجية ، فبالنسبة للخلافة العباسية ثار العلويون في الكوفة واليمن ومكة[2] ، وحاول الخليفة « المأمون » استرضاءهم بتعيين ولي للعهد منهم وهو « علي بن موسى » ، لكن تلك الخطوة أدت إلى ثورة أحد العباسيين ضده وهو « إبراهيم بن المهدي » الذي بايعه أهل بغداد وخلعوا طاعة المأمون الذي أقام في مرو ، ولم يدخل بغداد إلا في سنة ٢٠٣هـ / ٨١٨ م بعد وفاة ولي العهد العلوي وخلع أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي ومبايعة المأمون[3] .

على أن أخطر الثورات التي نشبت ضد الخليفة المأمون كانت ثورة بابك الخرمي التي نشبت في اذربيجان سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م ثم إمتدت إلى أرمينيا فيما بعد ، واستنفذت الكثير من جهود الخليفة المأمون . ومات ولم تخمد بعد ،

---

(١) فازيليف : بيزنطية والإسلام — ملحق رقم ٢ ضمن كتاب الامبراطورية البيزنطية لنورمان بينز تعريب د . حسين مؤنس ، محمود يوسف زايد ص٣١٦،٣٦٢ .

(٢) الطبري : المصدر السابق جـ ٨ ص٥٢٨، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٤٠ .

(٣) نفسه جـ ٨ ص ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٤ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ .

حتى انتهت فى سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٦ م فى عهد الخليفة المعتصم الذى واجه أيضاً ثورة أحد العلويين فى خراسان(١) .

أما الجانب البيزنطى فقد واجه فى تلك الفترة البلغار الذين إزداد خطرهم منذ أواخر القرن الثامن الميلادى، ثم أخذوا يقومون بهجمات عنيفة فى جوف تراقيا تحت قيادة ملكهم « كروم » Krom حتى اضطر الامبراطور نقفور (٨٠٢ — ٨١١ م) إلى النزول بنفسه إلى الميدان لكنه قتل فى حروبه ضدهم سنة ٨١١م ، وتلت ذلك فترة من التدهور فى أحوال الامبراطورية البيزنطية بعد أن تولى العرش الامبراطور «ميخائيل الأول» الذى وصف بالجبن والتردد والتشكك فيمن حوله ،وفضلاعن سياسته الدينية التى أدت إلى اضطهاد وعزل اللايقونيين من مناصب الدولة العليا فى الجيش والإدارة، فقدمنى بهزيمة نكراء أمام البلغار ، فاضطر الجيش البيزنطى عندئذ إلى عزله وتولية « ليو » الأرمنى العرش الأمبراطورى سنة ٨١٣ م — ٨٢٠ م ، فأنزل هزيمة ساحقة بالبلغار سنة ٨١٤ م جعلتهم يطلبون الصلح ولايجرءون على مهاجمة الأراضى البيزنطية قبل عدة سنوات(٢) . وبعد قيام الأسرة العمورية التى أسسها ميخائيل الثانى العمورى سنة ٨٢٠م شهدت الامبراطورية أخطاراً أخرى ، منها غزو العرب لإقليم دالماشيا ، واستيلاء المسلمين على كريت سنة ٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م ، وبدء فتح صقلية منذ سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م(٣) . على أن أكبر خطر واجه الإمبراطورية فى أثناء حكم ميخائيل العمورى تلك الثورة الداخلية التى أعلنها توماس السلافى (٨٢١ — ٨٢٤م) ورفع فيها شعار الحزب الأيقونى وتمكن من محاصرة القسطنطينية ، وكاد أن يستولى عليها لولا نجاح ميخائيل العمورى فى صده وهزيمته ، لكن ثورة توماس السلافى مع ذلك تركت آثاراً خطيرة

(١) الطبرى المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٥٠٦، جـ ٩ ص ٧، ٣١، ٥٠ .

(٢) د. عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٩٨ ، ٣٩٩ ،

Oman, The Dark ages, pp : 480—482.

(٣) Thompson, Thd Middle ages, vol, I, p: 544.

على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعيـــة والعسكرية فى الامبراطورية البيزنطية[1].

ولا يعنى توازن القوى بين الجانبين أن العمليات العسكرية قد توقفت على الحدود بينهما فى تلك الفترة ، فقد قام الخليفة المأمون بثلاث غزوات متتابعة (٢١٥هـ ، ٢١٦ ، ٢١٧هـ/٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢م) برغم مشاغله[2] . كذلك فإن الامبراطور البيزنطى ثيوفيل — الذى فشل فى استرداد كريت ، كما فشل فى منع الأغالبة من مواصلة فتح صقلية — استغل إنشغال الخليفة المعتصم فى إخماد ثورة بابك الخرمى واستجاب لمراسلة ذلك الثائر ، وهاجم الأراضى الإسلامية عند زبطرة وملطية منذ ٢٢٣هـ/٨٣٧م ، فرد عليه الخليفة المعتصم بمهاجمة عمورية فى قلب إقليم فريجيا بآسيا الصغرى سنة ٢٢٣هـ٨٣٧ — ٨٣٨م وفتحها بالسيف[3] .

والأمر الملاحظ فى حملة الخليفة المعتصم هو أنه برغم وصول القوات الإسلامية إلى ذلك العمق من الأراضى البيزنطية إلا أنها أسرعت بالانسحاب دون الاستفادة من ذلك الموقف العسكرى المنهار فى الجانب البيزنطى ، فاستردت الامبراطورية عندئذ أراضيها مرة أخرى حتى جبال طوروس[4] . ثم حاول الامبراطور ثيوفيل أن يجد له حليفاً فى الغرب سواء من الفرنجة أو من المسلمين فى أسبانيا لكن جهوده لم تكلل بالنجاح[5]، فأدى فشله هذا وانشغاله بمشاكله الداخلية إلى عقد هدنة مع الخليفة المعتصم استمرت حتى وفاة الاثنين عام ٢٢٧هـ/٨٤٢م[6] .

(١) Oman, op. cit. p. 484—485; Thompson, op. cit. p. 544-545

(٢) الطبرى : المصدر السابق ج ٨ ص ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ٦٢٨ .

(٣) الطبرى : المصدر السابق ج ٩ ص ٥٥ ، ٥٧ ، ٧٠ .

(٤) د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٣ ،

Oman, op. cit., p. 487.

(٥) Thompson, op. cit., vol. I, p. 546.

(٦) د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٣

وتميز عهد الخليفة الواثق (٢٢٧ – ٢٣٢هـ / ٨٤٢ – ٨٤٧م) بميل الجانبين إلى إقامة علاقات سلمية بينهما ، واسترخاء النشاط الحربى فى منطقة الحدود ، فقد انشغل الخليفة الواثق فى إخماد الثورات الداخلية التى قامت بها القبائل العربية حول المدينة وفى فدك ، والخوارج فى ديار ربيعة والأكراد فى مناطق أصبهان والجبال وفارس[١] . أما فى الجانب البيزنطى فـإن وفاة الامبراطور ثيوفيل (٢٢٧هـ/٨٤٢م) أعقبه تولى ابنه الصغير «ميخائيل الثالث» وهو طفل لم يتجاوز عمره أربع سنوات، تحت وصاية مجلس رأسته أمه ثيودورا التى انصب اهتمامها على الشئون الدينية[٢] . وقد توالت الهزائم على الامبراطورية البيزنطية فى تلك الفـترة ، فهزم جيشها فى مسينا بصقلية سنة٢٢٧هـ/٨٤٢م[٣]. كما فشلت حملة القائد البيزنطى ثيوكتستوس Theoctistus على كريت وسحق جيشه سنة٢٢٨هـ/٨٤٣م[٤] . ثم هزم ثيوكتستوس مرة أخرى أمام «عمرو» أمير ملطية سنة٢٢٩هـ/٨٤٤م[٥]. ونتيجة لتلك الهزائم المتكررة التى لقيتها الجيوش البيزنطية بادرت الامبراطورة ثيودورا بإرسال سفرائها إلى الخليفة الواثق فى أواخر سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م تطلب عقد الهدنة وتبادل الأسرى ، فتمت موافقة الخليفة على ذلك وأجرى التبادل سنة ٢٣١هـ/٨٤٦م ولم يكن ذلك قد حدث منذ سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م[٦] .

وانتهى العصر العباسى الأول بوفاة الواثق سنة ٢٣٣هـ / ٨٤٧م وتولى

---

(١) الطبرى : المصدر السابق ج٩ص١٢٩، ١٣١، ١٣٤، ١٤٥، ١٤٦ .

(٢) كانت ثيودورا من مشجعى الأيقونات على عكس زوجها ثيوفيل ، فدخلت فى صراع مع الكنيسة ورجال الدين وطردت البطريرك وكل القساوسة اللاأيقونيين .

أنظر : د. عاشور : أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ٤٠٣ ؛

Oman, op. cit. p. : 489.

(٣) Foord, The Byzantine Empire — P. 231.

(٤) Theophanes Continuatus. P. ; 203—, Monachus, G. Vitae Imperatorum recentiorum P. 814—15.

(٥) Symeon Magister, Annales P. : 654—; Camb. IV, I, P. 712

(٦) الطبرى : المصدر السابق ج ٩ ص ١٤١ ، ١٤٢

«المتوكل» الخلافة سنة ٢٣٣هـ — ٢٤٧هـ/٨٤٧ — ٨٦١م فدخلت الدولة الإسلامية منذ ذلك الوقت فى طور جديد تضاءل فيه نفوذ الخليفة ، إذ لم يعد يتولى بنفسه قيادة العمليات الحربية ضد العدو، بل أناب عنه قائداً من قواد الجيش، وبخاصة من الترك الذين جلبهم «المعتصم» لحمايته ، فطغوا على الحياة السياسة والعسكرية فى بغداد، أو قام بتلك المهمة ولاة الثغور فى مناطق الحدود الأمامية.

وقد شهد عهد المتوكل اضطرابات خطيرة فى أرمينيا فى سنة ٢٣٧هـ/٨٥٢م فاضطر الخليفة إلى إرسال قوات عسكرية ضخمة لإعادة الأمور إلى نصابها[١] وفى بغداد بلغت مؤامرات الترك إلى حد أنهم قتلوا الخليفة نفسه فى سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م[٢] ونتيجة لتلك الأوضاع السياسية والعسكرية التى باتت فيها الخلافة العباسية فقد وقع عبء الدفاع عن الحـــدود الإسلامية بصفة أساسيه على عاتق ولاة الثغور الأمامية . وبرز من هؤلاء الولاة كل من : عمرو ابن عبيدالله الأقطع «أمير ملطية بالجزيرة» و «على بن يحيى» الأرمنى أمير طرسوس بالثغور الشامية . وقد استفاد هذان الأميران من حالة العداء التى كانت بين البيزنطيين وطائفة البيالصة[٣] المتمركزه فى مدينة تفريك Tephrike

(١) كان بقراط بن اشوت أحد بطارقة أرمينية قد خرج على واليها «يوسف ابن محمد» فتمكن يوسف من القبض عليه وعلى أبنه وأرسلها إلى الخليفة فى بغداد، فاجتمع ابن أخ بقراط مع سائر بطارقة أرمينية على قتل «يوسف بن محمد» وحاربوه وتمكنوا من قتله وقتل كل من كان معه ، فوجه المتوكل إليهم «بغا الشرابى» على رأس جيش كبير فاستطاع إخضاعهم فى سنة ٢٣٧هـ / ٨٥٢م أنظر الطبرى : المصدر السابق ج ٩ ص ١٨٧ ، ١٨٨ Grousset R., Histoire de l, Armenie des Origines, A 1071, P. 358—360; Lillian Etmekjian, "The impact of Arab domination on Armenian Religious and political institutions", in The Armenian review vol, 28—Autumn 1975 P. 320.

(٢) الطبرى : المصدر السابق ج ٩ ص ٢٣٠ .

(٣) البيالصة : طائفة تنتحل مذهب البياصة أو البيلقة نسبة إلى بولس الشمشاطى وهو يقول بأن المسيح إنسان فقط وأن الله تبناه . وقد حاول البيزنطيون فرض =

على حدود أرمينية فى تلك الفترة ، فاشترك هؤلاء البيالصة مع الأميرين فى غزواتهما داخل الأراضى البيزنطية[1] .

وفى فترة الاضطرابات التى مرت بالامبراطورية البيزنطية عقب وفاة ثيوفيل سنة ٨٤٢م والهزائم العديدة التى لحقت بالجيوش البيزنطية فى صقلية[2] غزا على بن يحيى الأرمنى الأراضى البيزنطية ثلاث صوائف متتابعة من ٢٣٧ — ٢٣٩ هـ / ٨٥١ — ٨٥٣ م[3] .

ولما أدركت الامبراطورة ثيودورا تفوق القوات البرية الإسلامية فى منطقة الحدود ، إعتمدت على الأسطول البيزنطى فى توجيه الضربات المضادة فقام رجال ذلك الأسطول بهجوم مفاجىء على مدينة دمياط سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م أثناء خلوها من حاميتها التى إستدعاها والى مصر عنبسة بن إسحاق للاشتراك فى أحد الاحتفالات . واستولى البيزنطيون فى ذلك الهجوم على مخزون السلاح المقرر إرساله إلى كريت ، والأقمشة المقرر إرسالها إلى العراق كما أسروا عددا من السكان وأحرقوا الجامع والكنائس[4] .

= المذهب الأرثوذوكسى على البيالصة بالقوة لكنهم رفضوا ذلك فاضطهدهم البيزنطيون أنظر : الأب ميشيل يتيم ، أغناطيوس ديك : تاريخ الكنيسة الشرقية ص ٦١ .

وعن اضطهاد البيزنطيين للبيالصة أنظر :

Alexander P. J., "Religious persecution and resistance in the Byzantine empire of the Eighth and ninth Centuries" in Speculum April 1977, pp. 252—253, 255—256.

(١) **Theophanes continuntus, p. 166.**

(٢) هاجم المسلمون فى سنة ٢٣٣هـ/٨٤٩ — ٨٥٠م قصريانة، وفى سنة ٢٣٨هـ/٨٥٣م هاجم المسلمون جنوب شرق صقلية وأخضعوا بوتيرا ، وكانوا قد أستولوا من قبل على راجيز وليونتينى .

أنظر : فازييف : العرب والروم ص ١٨٠، ١٨٣، ٣٩٦ .

(٣) الطبرى : المصدر السابق ج ٩ ص ١٩١، ١٩٥، ١٩٦ .

(٤) نفسه : ج ٩ ص ١٩٣ — ١٩٥ ، اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص ٤٨٨ .

وبرغم نجاح الهجوم البيزنطى على دمياط وقيام البيزنطيين بهجوم برى آخر على عين زربى بالشام سنة ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م إلا أن ثيودورا أدركت أن من الأفضل لها عقد هدنه مع الجانب الإسلامى، فتمت مراسيم تبادل الأسرى على نهر اللامس فى نفس العام سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م[١]. ثم تجددت المعارك مرة أخرى فى العام التالى سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م عندما غزا على بن يحى الصائفة من الثغور الشامية ، فرد البيزنطيون على ذلك بالهجوم على ثغور الجزيرة من ناحية شمشاط حتى قاربوا آمد، فلما نفر إليهم عمرو بن عبيدالله الأقطع أمير ملطية وقربياس زعيم البيالصة بادر البيزنطيون بالهرب ، فكتب إلى على بن يحى بالغزو شاتيا[٢] كما كلف الخليفة المتوكل القائد بغا بالتوجه من دمشق للغزو صائفة فتمكن بغا من فتح حصن صمله عام ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م[٣]

ونتيجة لازدياد هجمات ولاة الثغور الاسلامية أدرك الامبراطور ميخائيل الثالث بعد أن أصبح زمام الأمر فى يده منذ سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م أنه لا بد من تحركه بنفسه وقيادة الجيش فى حملة عسكرية كبيرة لدرء الخطر المتزايد على حدوده الشرقية من ناحية عمرو أمير ملطية. وفى الوقت الذى كان الامبراطور يعد فيه لتلك الحملة استخدم الدبلوماسية وسيلة لإخفاء نواياه ، فأرسل إلى الخليفة العباسى المتوكل سفارة فى عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩م يطلب فيها عقد الهدنة وتبادل الأسرى بين الجانبين[٤] .

وبرغم موافقة الخليفة على ذلك وإرسال سفيره إلى القسطنطينية لعقد

---

(١) الطبرى : المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٠١ — ٢٠٣ .

(٢) الطبرى : المصدر السابق جـ ٩ص ٢٠٧ ، وذكر مؤلف صلة ثيوفان أن هجوما بيزنطيا قاده بترو ناس قائد ثغر تراقيا ردا على هجمات «عمرو» أمير ملطيه وحليفه قربياس أنظر : Theophanes Continuatus, p. 167

(٣) الطبرى : المصدر السابق جـ ٩ ص ٢١٠ .

وتقع صمله ولها أسماء أخرى متعددة شمال شرق خليج اسكندرونه. أنظر : الشابشتى الديارات تحقيق كوركيس عواد ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٤) الطبرى : المصدر السابق جـ ٩ ص ٢١٣ .

الاتفاقية — التي لم تتم إلا في سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠م — فإن الامبراطور هاجم سميساط وحاصرها في نفس العام ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م لكن الحامية المدافعة عن المدينة أغلقت الأبواب لمدة ثلاثة أيام ثم فتحتها فجأة وهاجمت القوات الغازيه من كل ناحية فلاذت بالفرار ، وكاد الامبراطور نفسه يقع أسيرا لولا سرعة انسحابه بعد أن نهب معسكره بكل مافيه[١]. وأراد الامبراطور أن يثأر لنفسه في العام التالي ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م فزحف على رأس جيشه قاصدا ملطية وتفريك معقل البيالصة لكنه ما إن غادر العاصمة حتى تلقى تحذيرا من نوابه في القسطنطينية باقتراب الروس لحصارها[٢]، فعاد أدراجه ليجد الأسطول الروسي قد أحاط بالعاصمة البيزنطية منذ ١٨ يونية ٨٦٠م[٣]. وقد استغل ولاة الثغور الإسلامية المركزي العسكري الحرج الذي أصبح فيه الامبراطور ، فغزا الصائفة عام ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م كل من «عمرو بن عبيد الله الأقطع ، أمير ملطيه وعلى بن يحيى الأرمني أمير طرسوس وقائد ثالث هو «بلكاجور» هذا فضلا عن الهجوم الذي شنه قربياس زعيم البيالصة[٤] . وتتبع عمرو بن عبيد الله الامبراطور ميخائيل

---

(١) Theophanes Continuatus, p. 176-177- ; Zonaras, Epitomae Historiarum, III, p. 394 — 396.

ويرى المؤرخان فازيليف وجارجوار أن الأمبراطور ميخائيل قد انتصر في هذه الحملة بدليل النقوش التي سجلها الأمبراطور على أسوار قلعة أنقرة توضح انتصاره ، وبدليل صمت المصادر العربية عن ذكر انتصار المسلمين على ميخائيل . فرواية الطبري عن تلك المعركة تقول « وفيها أغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا نحواً من خمسمائة» لكننا نرجح رواية المصادر البيزنطية بسبب كثرة التفاصيل الدقيقة التي أوردتها. انظر : الطبري : المصدر السابق ج ٩ ص ٢١٨ ، فازيليف : العرب والروم ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، هامش « ٥ » في نفس الصفحتين .

Camb., IV, I. p. 110

(٢) Camb., IV, I, p. 111

(٣) Obolensky, D., The Byzantine Commonwealth, Eastern Europe, 500—1453, p. 182—183.,

د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٤٠٤ .

(٤) الطبري : المصدر السابق ج ٩ ص ٢١٩ .

الثالث الذى أسرع لصد المهاجمين لكنه لقى هزيمة ثانية وكاد أن يقبض عليه لولا أن بدل ثيابه فاستطاع الإفلات باتجاه عاصمته فتراجع عمرو بعد ذلك(١) أما فى المجال البحرى فقد هاجم الأسطول الإسلامى بقيادة « الفضل بن قارن حصن أنطالية البيزنطى فى نفس العام ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م(٢) .

ووقعت أحداث فى الجانب الإسلامى شغلته عن القيام بعمليات عسكرية جادة حتى سنة ٢٤٩ هـ/٨٦٣ م فكانت فتنة قتل الخليفة المتوكل فى سنه ٢٤٧ هـ ٨٦١ م ، ثم خلفه ابنه المنتصر الذى مات بعد سته أشهر فتولى بعده المستعين بالله . كما أن على بن يحيى الأرمنى والى الثغور الشامية النشط أبعد إلى ارمينية وأذربيجان سنة ٢٤٨ هـ/٨٦٢م واستبدل به «وصيف» أحد المتآمرين على قتل المتوكل ، ثم لم يلبث «على بن يحيى» أن عزل عن أرمينية أيضا فى أوائل سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م .(٣)

أما الجانب البيزنطى فقد زال الخطر عنه مؤقتا بعد انسحاب الأسطول الروسى الذى كان يحاصر القسطنطينية سنة ٨٦٠م(٤) ، وبذلك أصبح الإمبراطور ميخائيل الثالث مستعداً لمواجهة «عمرو» أمير ملطية الحاكم الوحيد الذى يخشى بأسه فى منطقة الثغور بعد عزل «على بن يحى الأرمنى» وجاءت لميخائيل الفرصة عندما اخترق عمرو الأراضى البيزنطية بجيش ضخم فى عام ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م

---

(١) **Theophanes Continuatus, p. 178—179**

(٢) الطبرى : المصدر السابق ج ٩ ص ٢١٩ .

(٣) الطبرى : المصدر السابق ج ٩ ص ٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، المسعودى : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩، ٣٩٨، ٤٠٧، ٤٥١ .

(٤) **Obolensky, op. cit., p. 183**

وقد ذكر المؤرخ فورد أن الامبراطور ميخائيل الثالث قام بحملة ناجحة ضد بلغاريا سنة ٨٦١ م أدت إلى اعتناق ملكها بوريس Baris العقيدة المسيحية ، وبذلك هدأت تلك الجبهة أنظر :

Foord, op. cit., p. 234.

وصل حتى أميسوس Amisus فدمرها ، فانزعج لذلك الامبراطور ميخائيل وأرسل القائد بتروناس على رأس الجيش البيزنطى، فحاصر بتروناس عمرو من كل الجهات وضيق الخناق عليه ، وعبثا حاول عمرو أن يفتح ثغرة للخروج وأصيب فى إحدى محاولاته وقتل[١] . ثم شدد البيزنطيون هجماتهم على الثغور الجزرية عقب مقتل عمرو حتى وصلوا إلى قرب ميافارقين من ديار بكر ، فلما بلغ ذلك عليا بن يحيى الأرمنى وكان قافلا من أرمينية بعد عزله خرج إليهم فى جماعة من رجال ميافارقين لكنه قتل هو الآخر ، وقد عظم على المسلمين آنذاك مقتل هذين القائدين ، فقد كان بأسهما شديداً ، وحفظا الثغور الإسلامية فى مواجهة البيزنطيين فى الوقت الذى انشغل فيه بقية القادة فى بغداد بالفتن وقتل الخلفاء أو عزلهم حسب أهوائهم ، لذا ضجت العامة فى بغداد بالصراخ ونادوا بالنفير[٢] .

أدى مقتل « عمرو بن عبيد الله الأقطع » و « على بن يحيى الأرمنى » مع الأحداث التى ألمت بالخلافة فى بغداد بعد ذلك إلى اضطراب الأمور فى منطقة الثغور الجزرية والشامية لعدة سنوات . حتى أن ملطية لم تستطع الصمود فى وجه البيزنطيين ومواصلة دورها فى القيام بالغزوات قبل سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م عندما أوقفت زحف الإمبراطور باسيل الأول المقدونى عليها ، فقد واجه الخليفة المستعين ثورات العلويين فى الكوفة وطبرستان والرى منذ سنة ٢٥٠ هـ ٨٦٤ م ، ثم هاجت الفتنة فى بغداد ووقعت الحرب بين أهل بغداد وجند الخليفة

(١) Theophanes Continuatus, pp. 179—183

وفى رواية الطبرى أن تلك المعركة وقعت عند مكان يسمى « أرز » من مرج الأسقف وأن عمرو قتل ومعه ألفان من المسلمين فى يوم الجمعة للنصف من رجب سنة ٢٤٩ هـ. والمسعودى يذكر أن عمرو قتل ومن معه من المسلمين إلا اليسير . أما مؤلف صلة ثيوفانو فيبالغ إذ يذكر أن عمرو قتل وجيشه البالغ أربعين ألفا ولم ينج أحد . أنظر : الطبرى المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٦١ ، المسعودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٥١ .

(٢) الطبرى : المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

فنادى الجند فى « سامرا » بالمعتز خليفة « منافسا » للمستعين الذى اضطر إلى التنازل عن الخلافة فى سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦م ، وما أن دخل المعتز بغداد حتى عادت الفتنة من جديد بعد شهور قلائل وطالب الجند برواتبهم عن أربعة أشهر وأعلنوا العصيان وقتلوا وصيفاً - وهو أحد كبار القادة - فى سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م وانتهى الأمر بخلع المعتز وقتله فى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م وإقامة « المهتدى بالله » مكانه فى رجب من العام نفسه ، ولم يكن حظ المهتدى أحسن من سابقه إذ لم تدم خلافته إلا عاما واحداً ، ثم عزل وقتل هو الآخر فى أثناء ثورة الجند ومقتل قائد الترك بايكباك[١] .

وما أن تولى الخليفة « المعتمد » بعده حتى تجددت ثورة العلويين فى سنة ٢٥٦ هـ/٨٦٩ م[٢] على أن أخطر الثورات التى هددت الخلافة حتى قرب نهاية القرن الثالث الهجرى هى ثورة الزنج التى بدأت منذ سنة ٢٥٥ هـ /٨٦٩م فى البصرة ثم امتدت إلى مناطق عديدة واستمرت خمس عشرة سنة هزمت خلالها جيوش الخلافة غير مرة حتى تمكن الموفق أخو الخليفة المعتمد من القضاء عليها سنة ٢٧٠ هـ/٨٨٣ م بعد أن نشرت الخراب والدمار فى سواد العراق[٣] . هذا بالإضافة إلى ثورة « يعقوب بن الليث » الصفار التى نشبت سنة ٢٦١ هـ/٨٧٤م فى خراسان ، وكان يعقوب يطمح فى الاستيلاء على بغداد لكنه هزم ففر إلى فارس فى السنة التالية ٢٦٢ هـ/٨٧٥[٤] .

وكان طبيعيا أن تنعكس أوضاع الخلافة العباسية المتدهورة على الموقف

---

(١) الطبرى : المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٦٦ ، ٢٧٠ – ٢٧٥ ، ٢٨٣ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٤٥٦ – ٤٥٩ .

(٢) نفسه جـ ٩ ص ٤٧٤ .

(٣) الطبرى : المصدر السابق جـ ٩ ص ٤١٠ ، ٤٧٠ – ٤٧٣ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٨ ، ٥١٣ ، ٥٢٠ ، ٥٣٤ ، ٥٥٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٤ ، ٦٠٣ ، ٦١٤ ، ٦١٩ ، ٦٢٣ ، ٦١٣ ، ٦٢٦ ، ٦٢٩ ، ٦٠٤ .

(٤) نفسه : جـ ٩ ص ٥١٤ ، ٥١٧ ، ٥١٨ .

فى منطقة الثغور بعد أن جردت من معظم حامياتها للاشتراك فى حماية الخلافة وإخماد الفتن، وهكذا عندما استأنفت ملطية عملياتها العسكرية سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م فشل الهجوم الذى قاده أميرها الجديد «محمد بن معاذ» بل أسر ذلك الأمير نفسه(١). أما الثغور الشامية فقد دبت فيها الفوضى، فلما كتب الموفق إلى أخيه الخليفة المعتمد بأن الثغور الشامية ضائعة، وأنها تحتاج إلى من يقيم فيها ويغزو بأهلها أرسل الخليفة إليها والياً هو «محمد بن هارون» التغلبى لكنه قتل قبل أن يصل إليها، فعين الخليفة والياً ثانياً هو «محمد بن يحيى» فثار عليه أهل طرسوس وطردوه، فأرسل إليها والياً ثالثاً هو «أرخوز» لكنه كان سيء السيرة، فلما وصل إليها تشاغل عنها وأخذ لنفسه كل ما أستطاع(٢).

وفى مقابل حالة التمزق والضعف التى صارت إليها الخلافة العباسية بعد عصر المتوكل دخلت الامبراطورية البيزنطية فى مرحلة جديدة من الانبعاث العسكرى بروح شابة عندما تولت الأسرة المقدونية الحكم بعد أن أستولى باسيل الأول على العرش البيزنطى سنة ٢٥٣ هـ/٨٦٧ م، فقد أخذ أباطرة تلك الأسرة يعملون على إحياء مجد الدولة الحربى، وساعدهم على تحقيق ذلك استمرار توارثهم الحكم حتى سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م، وهو ما ضمن للامبراطورية فترة طويلة من استقرار الأوضاع السياسية فى الداخل(٣)، فكان لذلك نتائجه المهمة على الصراع مع المسلمين، إذ رجح ميزان القوى إلى الجانب البيزنطى خلال القرن العاشر ومنتصف القرن الحادى عشر الميلادى إلى أن قدم السلاجقة واصطدموا بالبيزنطيين.

ولا يعنى قيام باسيل الأول فى الحكم سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م التحول المفاجىء فى الموقف العسكرى على الحدود الإسلامية البيزنطية، فقد ظل ميزان القوى

---

(١) الطبرى: المصدر السابق: ج ٩ ص ٢٧٧

(٢) البلوى: سيرة أحمد بن طولون تحقيق محمد كرد على ص ٨٩ – ٩١.

(٣) د. عاشور: المرجع السابق ج ١ ص ٥٤.

يتأرجح بين الجانبين وفق الظروف السياسية والعسكرية الطارئة على الحدود ، لكن الأمر الملاحظ هو أن هجمات الجانب البيزنطي في عهد باسيل الأول قد أصبحت أكثر تركيزاً وعمقاً من ذى قبل ، فوصلت إلى ملطية ذاتها مرتين ، وإلى قرب طرسوس مرة .

وأدرك باسيل الأول أن الخطوة الأولى لتدمير ملطيـــة هي القضاء على حلفائها من البيالصة الذين — برغم فقد قائدهم قارياس سنة ٢٤٩هـ / ٨٦٣م — وجدوا زعيماً أكثر شجاعة وخطورة هو كريسوكير Chrysocheir ، وقد توغل القائد الجديد بقواته في الأراضي البيزنطية حتى وصل إلى نيقوميديا ونيقية وإفسوس ، واعتقد أن بإمكانه عندئذ الاستيلاء على آسيا الصغرى[1] لكن الإمبراطور باسيل الأول الذى كانت علاقته سلمية مع جيرانه الروس والبلغار في الشمال ، ومع البندقية والألمان في الغرب[2] ، أصبح مستعداً للقاء البيالصة والقضاء عليهم ، وكان أن تمكن باسيل بالفعل من الزحف على تفريك في الوقت الذى هاجم كريسوكير أنقرة ، إلا أنه أمكن القبض عليه وتشتيت البيالصة الذين تحول فريق منهـــم إلى الأرثوذكسية في حين ذهب فريق آخر إلى ملطية للعمل مع المسلمين . واحتفل باسيل الأول بانتصاره سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٢م[3] .

وكانت النتيجة المباشرة للقضاء على البيالصة أن أصبح باسيل الأول أمام القوات الإسلامية في ملطية وجهاً لوجه ، واعتقد باسيل الأول أن الوقت قد أصبح مناسبا لاحتلال ملطية ، وبخاصة في أثناء انشغال الخليفة المعتمد في القضاء

---

(١) Camb., IV, I, p. 119 — 120

(٢) Vasiliev, History of the Byzantine Empire vol. I, p. 303 ; Camb., IV, I, p. 714

وعن حروب باسيل الأول وعلاقته بمختلف الجهات أنظر : د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٣) Camb., IV, I, pp. 119 — 120

على ثورة الزنج التى امتدت إلى الأهواز، فهاجم باسيل سميساط واستولى عليها، ومنها اتجه إلى ملطية وفرض عليها الحصار فى العام نفسه ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م، لكنه فوجىء بمقاومة شديدة من حاميتها التى ألحقت به الهزيمة[١]. ولكى يخفى باسيل الأول فشله أمام ملطية غزا أراضى البيالصة مرة أخرى ثم عاد إلى القسطنطينية ليقيم احتفالات النصر[٢].

وإذا كانت ملطية — بالثغور الجزرية — قد استطاعت الصمود فى وجه البيزنطيين فإن الموقف كان مختلفاً بالنسبة للثغور الشامية التى ازداد موقفها تدهوراً، فواليها أرخوز كان سيىء السيرة حتى أنه استولى على الأموال المخصصة لحامية حصن لؤلؤة مما كان يجمع لها من طرطوس، فاضطرت الحامية إلى تسليم الحصن للبيزنطيين سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م، فلما بلغ الخليفة « المعتمد » ذلك كتب إلى « أحمد بن طولون » لتدبير أمر الثغور الشامية وضبطها كما يرى، ثم عزل أرخوز[٣].

وقبل أن يتحرك « أحمد بن طولون » من مصر حاول « عبد الله بن كاوس » أمير طرسوس إنقاذ الموقف، فهاجم الأراضى البيزنطية سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧م ولكن بطارقة سلوقية وخرشنة وغيرهم حاصروه عند البذندون قرب طرسوس فى أثناء عودته وقتلوا عدداً من رجاله وأسروه[٤]، ثم إن محاولة « أحمد بن طولون » ضبط أمر الثغور الشامية لم يقدر لها النجاح، فرحلته إلى الشام التى بدأها فى شوال سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م لم تسفر عن دخول طرسوس لأن أهلها رفضوه، فغادرها قاصداً غزو الأراضى البيزنطية لكنه فوجىء بخلاف ابنه العباس عليه فى مصر وأخذه الأموال والسلاح وهروبه إلى برقة، فترك

---

(١) الطبرى : المصدر السابق ج ٩ ص ٤٧٢، ٥٠٦

(٢) Camb., IV, I, p. 120

(٣) البلاذرى : المصدر السابق ص ٩٠، ٩١

(٤) الطبرى : المصدر السابق ج ٩ ص ٥٢٣ — ٥٢٤

« أحمد بن طولون » أمر الغزو وعاد سريعاً إلى مصر لمعالجة الموقف[١] .

انتهز البيزنطيون ذلك الاضطراب فى منطقة الثغور الشامية وهاجموا أذنة عام ٢٦٥ هـ/٨٧٨ م ، وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها وأسروا عدداً آخر ، منهم أرخوز الوالى السابق ، وفى العام التالى نقلوا نشاطهم إلى منطقـــة الجزيرة وهاجموا منطقة ديار ربيعة ، ثم إن العمليات العســكرية التى قام بها نواب « أحمد بن طولون » بالثغور فى السنوات ٢٦٦ — ٢٦٨ هـ/ ٨٧٩ — ٨٨١ م جعلت الإمبراطور باسيل الأول يهاجم ملطية مرة ثانية فى سنة ٢٦٨ هـ/٨٨١ م لأنه كان يدرك أنها مفتاح الطريق إلى منطقة الثغور كلها ، ففيها يتركز الدفاع عن منطقة الجزيرة ، ومنها يسهل الزحف إلى ثغور الشام . وما أن اقترب الإمبراطور منها حتى تدخلت حاميات مرعش والحدث لمساعدة حامية ملطية فتمكنوا مجتمعين من صد الإمبراطور وهزيمته[٢] .

ثم أخذت أحوال الثغور الشامية تتحسن منذ أن تولى « يازمان » إمرة طرسوس سنة ٢٦٩ هـ / ٨٨٢ م[٣] ، فواصل سياسة مهاجمة الأراضى البيزنطية براً وبحراً ، وعندما هاجم البيزنطيون بقيادة « أندرياس » طرسوس سـنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م أنزل « يازمان » بهم الهزيمـة عند باب قلميـة — على مسافة ستة أميال من طرسوس — وقتل منهم أعداداً غفيرة وغنم مغانم كثيرة[٤] . وحوالى ذلك التاريخ أيضاً أرسل يازمان أسطول طرسوس للهجوم على قلعة إيوريب Eurip عند مدينة خالكيس Chalkis وكاد يستولى عليها بعد أن فرض

---

(١) البلوى : المصدر السابق ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١

(٢) الطبرى : المصدر السابق ج ٩ ص ٥٤٤ ، ٥٤٩ ، ٥٥٣ ، ٦١٢

(٣) الطبرى : المصدر السابق ج ٩ ص ٦١٣ ، ٦١٤

(٤) نفسه : ج ٩ ص ٦٦٦ — أما مؤلف صلة ثيوفان فيذكر أن أندرياس انتصر على يازمان فى بداية الأمر إلا أن الامبراطور باسيل الأول عزله . وعين مكانه سيستا Cesta وكان متهوراً فهزمه يازمان . انظر :

Theophanes Continuatus, pp.284 — 288

عليها الحصار ، لكن أونياتس Ooniates قائد ثغر الهيلاد Helladis إستعان بجنود من مختلف بلاد اليونان حتى تمكن من صد الهجوم فانسحبت السفن الإسلامية بعد أن جرح قائد الهجوم نفسه(١) .

ولا شك أن الإمبراطور باسيل الأول - بعد هزيمته شخصيا أمام أسوار ملطية مرتين فى سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م ، ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م ثم هزيمة قائد جيشه أندرياس قرب طرسوس سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م — أدرك صعوبة النيــل من هاتين الجهتين ، لذا ولى وجهه شطر أرمينيا عسى أن يجد فيها حليفاً له فى حروب الحدود مع المسلمين ، وعلى ذلك بادر باسيل الأول بالاعــتراف بآشوت البغراتى ملـكا على أرمينيا سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م كما فعلت الخلافة العباسية من قبل(٢) .

ولم يلبث الإمبراطور باسيل الأول أن توفى فى سنة ٢٧٣ / هـ ٨٨٦ م فخلفه ابنه ليو السادس الذى لم يكن فى مقدرة أبيه الحربية ، كما أنه كان ميالا

---

(١) تجاهلت المصادر العربية هذه المعركة البحرية دون سبب معروف ، أما المصادر البيزنطية فقد أشارت إليها بالتفصيل وذكرت أن الهجوم قاده Esmanus وأنه قد فشل ، واختلف المؤرخون المحدثون فى تحديد تاريخ هذه المعركة ، فذكر كنار وأرشيبالد لويس أنها حدثت سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م وذكرت أسمت غنيم أنها حدثت سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م ، لكننا نرجح أن المعركة وقعت حوالى سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣م لأن يازمان لم يستول على طرسوس إلا سنة ٢٦٩هـ / ٨٨٢م ، كما أن مؤلف صلة ثيوفان ذكرها عقب هزيمة البيزنطيين بالقرب من طرسوس سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٢ انظر :

Theophanes continuatus, p. 298—299; Cedrenus, Historiarum Compendium, II p. 225—226; **Zonaras, op. cit. III p. 429 ; Camb., IV, I, p. 714.,**

أرشيبالد لويس : المرجع السابق ص ٢٢٥ ، د . أسمت غنيم : الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ص ١١٤ — ١١٧

(٢) كان الخليفة المستعين قد منح آشوت البغراتى سنة ٢٤٨ هـ/٨٦٢ م لقب أمير الأمراء كما منحه الخليفة المعتمد لقب ملك أرمينيا سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٥-٨٨٦م . أنظر :

Grousset, op. cit. p. 372—373, 394—395 ; Camb., IV, I, p. 715.

إلى التأمل والبحث حتى نال لقب الحكيم[١]. وقد أدت سياسية ليو السلمية — حيث لم يظهر على رأس جيشه قط أمام المسلمين — إلى استفادة « يازمان » أمير طرسوس من ذلك الموقف ، فشدد من هجماته على الأراضى البيزنطية ، وغزا الصوائف فى عام ٢٧٣ﻫ / ٨٨٦ م ، ٢٧٤ ﻫ / ٨٨٨ م ، ثم قام بهجـــوم بحرى على الأسطول البيزنطى سنة ٢٧٥ ﻫ / ٨٨٨ م أسر فيه أربع مراكب حربية[٢] ، وعندئذ أدرك الإمبراطور ليو السادس — مثلما أدرك أبوه من قبل — تفوق قادة الثغور الإسلامية ولا سيما « يازمان » أمير طرسوس على الجيوش البيزنطية العاملة فى تلك المناطق ، لذا فإنه اتجه هو الآخر شطر أرمينية ليجد فيها نصيرا وحليفا له ضد المسلمين ، وعلى ذلك جدد اعترافه بآشوت البغراتى ملكا على أرمينية فى سنة ٢٧٤ ﻫ / ٨٨٧ م ثم دعاه لزيارة القسطنطينية ، وعقد معه معاهدتين : إحداهما سياسية والأخرى تجارية[٣] بل إن ليو السادس حاول أيضا توسيع شقة الخلاف بين « محمد بن أبى الساج » الذى استولى على أذربيجان والأقاليم العربية فى أرمينيا وبين الخليفة « المعتضد » فأرسل إلى ذلك الوالى الهدايا الثمينة[٤] . ولعل ذلك هو السر فى أن الخليفة « المعتضد » أسرع فى عام ٢٨٥ ﻫ / ٨٩٨ م بتولية « محمد بن أبى الساج » المناطق التى استولى عليها برغم عصيانه[٥] .

ظل يازمان أمير طرسوس يواصل غزواته داخل الأراضى البيزنطية ، وكانت آخر غزوة له تلك التى وصل فيها حتى حصن سلندو فى سنة ٢٧٨ﻫ/٨٩١م ،

---

(١) Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 215

(٢) الطبرى : المصدر السابق ج ١٠ ص ١١ ، ١٢ ، ١٤ .

(٣) Tournebize, F. R, Histoire politique et religieuse de l'Armenie p. 106 — 107.

(٤) القاضى الرشيد : كتاب الذخائر والتحف تحقيق محمد حميد الله ص ٥٤ ، Canard, M. " Les relations politiques et sociales entre Byzance et las Arabes," in D. O. P. N. 18—1964. p. 54.

(٥) الطبرى : المصدر السابق ج ١٠ ص ٦٨

وأصيب فى أثناء حصار الحصن وقتل ، فانسحبت قواته إلى طرسوس[١] . ثم واصل خلفاؤه شن هجماتهم على الأراضى البيزنطية مستفيدين من الخطر الجديد الذى دهم الإمبراطورية البيزنطية وهو البلغار ، ذلك أن الخلافات التى نشبت بين البيزنطيين والبلغار بسبب نقل سوق التجارة البلغارية من القسطنطينية إلى سالونيك وزيادة الضرائب عليها أدت إلى نشوب الحرب بين الجانبين من سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٤ م حتى سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٦ م ، وانتهت بهزيمة البيزنطيين ، وفرض سيمون ملك البلغار شروطه على ليو السادس ، ومنها دفع جزية سنوية لملك البلغار[٢] . وانتهز أمراء الثغور الشامية فرصة تلك الحرب فواصلوا غزواتهم الأراضى البيزنطية حتى تم عقد معاهدة لتبادل الأسرى بين الجانبين وأجرى الفداء فى سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٧ م[٣] . غير أن طرسوس تعرضت لخسارة كبيرة عندما أمر الخليفة « المعتضد » بحرق أسطولها فى سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م بسبب ما بلغه من مكاتبة أهلها إلى « وصيف » أحد قادة « محمد بن أبى الساج » والى أرمينية وأذربيجان الثائر على الخليفة[٤] .

---

(١) الطبرى : المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٧

(٢) Ostrogorsky, Op. Cit., p. 227, Obolensky, op. cit., p. 105—106

(٣) الطبرى : المصدر السابق ج ١٠ ص : ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٦

(٤) نفسه : ج ١٠ ص ٨٠

الفصل الثاني

العلاقات بين الدولة البيزنطية والخلافة

العباسية في القرنين العاشر والحادي عشر / م

- تفوق بحرى إسلامى فى البحر المتوسط .
- تعديل الحدود البيزنطية الإسلامية فى عصر ليو السادس .
- توازن القوى بين الجانبين .
- الأخطار التى واجهت الخلافة العباسية .
- تفوق بيزنطى برى وبحرى .
- الحمدانيون فى الجزيرة ومقاومة الزحف البيزنطى .
- حملات الإمبراطور ابن الشمشقيق على الجزيرة .
- العلاقات بين البويهيين والإمبراطور باسيل الثانى .

تفوق بحرى اسلامى فى البحر المتوسط .

تعرضت الخلافة العباسية منذ أواخر القرن الثالث الهجرى (العاشر م) لمزيد من الفتن والثورات الداخلية مما حال دون قيام ولاة الثغور الاسلامية بالغزوات البريه الموسمية على نطاق فعال . فقد هاجم القرامطة البصرة منذ سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م والكوفة سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م والرقة وبلاد الشام سنة ٢٩٠ هـ – ٢٩١ هـ / ٩٠٢ – ٩٠٣ م (١) ، كما خرج والى أرمينيا محمد بن أبى الساج الملقب بالافشين على طاعة الخلافة منذ سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م (٢) ، هذا فى الوقت الذى أصبح فى إمكان الامبراطورية البيزنطية بعد عقد معاهدة الصلح مع البلغار فى سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م (٣) نقل الكثير من قواتها البريه للعمل ضد المسلمين فى منطقة الحدود حتى وصلوا فى هجماتهم إلى قرب طرسوس فى الثغور الشامية سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م وتمكنوا من أسر أميرها أبى ثابت (٤) ولما حاول والى طرسوس الجديد نزار بن محمد الانتقام فى العام التالى ٢٨٨ هـ ٩٠١ م هاجم البيزنطيون كيسوم فى الثغور الجزرية ثم شنوا هجوما بحريا على قواعد اسطول طرسوس (٥) ، فاضطر الخليفة المكتفى ٢٨٩ هـ – ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ هـ – ٩٠٨ م عندئذ إلى تبادل السفارات مع الامبراطور ليو السادس ٢٧٣ هـ – ٢٩٩ هـ / ٨٨٦ – ٩١٢ م وأسفرت الجهود عن عقد هدنة وتبادل

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ٧٧ – ٧٨ ، ٨٦ ، ٩٧ – ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ – ١٠٤ ، ١٠٨ – ١٠٩ .

(٢) نفسه : ج ١٠ ص ٧٧ ، ٧٩ .

(٣) Obolensky The Byzantine Commonwealth 500—1453 p. 106
Combridge Medieval History vol. IV, part I, p. 128.

(٤) الطبرى : المصدر السابق ج ١٠ ص ٧٥ – ٧٦

(٥) الطبرى : المصدر السابق ج ١٠ ص ٨٥ ولم يحدد الطبرى مكان الهجوم البحرى ويرجح أنه وقع على طرسوس بعد أن احترق معظم اسطولها ولم يكن قد تمكنت من تجديده وقد اكتفى الطبرى بالقول بأن الروم قد وافت فى مراكب كثيرة .

للاسرى بين الجانبين سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م [١] لكن البيزنطيين الذين شعروا بقوتهم وبحرج مركز المسلمين نقضوا الهدنة وهاجموا ثغور الجزيرة مرة أخرى عند الحدث فى العام التالى ٢٩١ هـ / ٩٠٣ - ٩٠٤ م [٢].

ولما وجد ولاة الثغور الاسلامية أنه ليس فى وسعهم مواصلة الغزوات برا بسبب عدم امداد الخلافة لهم بقوات كافية كان من الضرورى الاعتماد على الاسطول الاسلامى الذى أصبحت قاعدته الرئيسية فى طرابلس بعد حريق أسطول طرسوس فقام والى طرابلس ليو الطرابلسى المشهور بغلام زرافة بهجوم بحرى كبير على عدد من الموانى البيزنطية ثم اقتحم سالونيك المدينة الثانية فى الامبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م [٣]

بدأ ليو الطرابلسى حملته بأن توجه بأسطوله إلى أتاليا أو أضاليا Attalia فى ثغر كيبريوتس Cipyriots فاستولى عليها ؛ ثم أعلن عزمه على الاستيلاء على القسطنطينية [٤] ولم يكن ذلك إلا من قبيل المناورة العسكرية بقصد خداع البيزنطيين ليتم سحب قطع الاسطول البيزنطى من كافة المـــوانى للدفاع عن العاصمة [٥]، وما أن علم الامبراطور ليو السادس بهجوم المسلمين حتى كلف القائد

(١) الطبرى : المصدر السابق : جـ ١٠ ص ٩٨ ، ١٠٧

(٢) نفسه : جـ ١٠ ص ١١٦ .

(٣) المعلومات المتوافرة عن شخصية ليو الطرابلسى فى المصادر العربية ضئيلة للغاية، وتكاد تقتصر على ما أورده المسعودى بأن ليو أو « لاوى » كان يلقب « أبو الحرب غلام زرافه » ، وأنه كان واليا على طرابلس وقائد أسطولها فى البحر المتوسط، ويبدو أن ليو قد أصبح له الإشراف على أساطيل الموانى الشامية كلها فى عصره ، وتشير المصادر البيزنطية إلى أن ليو كان من مدينة أتاليا Attalia أو « أضاليا » ثم اعتنق الإسلام ودخل فى خدمة المسلمين . أنظر المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٧٨ ، ١٩٨ - ١٩٩ ، التنبيه والإشراف ص ١٥٣ ،

Theophanes Continuatus. p. 366.

(٤) Brehier, L., Vie et Mort de Byzance p. 150

(٥) المعروف أنه لم يكن يتوفر للمسلمين فى ذلك الوقت قوات بحرية كافية لمهاجمة —

البحرى ايوستاثيوس Eustathius بالتصدى للأسطول الاسلامى ومنعه من مواصلة الزحف باتجاه القسطنطينية ، لكن القائد البيزنطى لم ينجح فى مهمته ودخل ليو الطرابلسى الهيللسبونت Hellespont «الدردنيل» واستولى على موانى ابيدوس Abedus ثم باريوس Barius فسببت تلك الأخبار ازعاجا شديدا للامبراطور الذى أسرع بتكليف قائد الأسطول همريوس Hemrius بالاشتباك مع ليو الطرابلسى وايقاف تحركه ، ولم يجرؤ همريوس باسطوله على الدخول فى معركة مع الاسطول الاسلامى الذى انسحب من الهيللسبونت « الدردنيل » فى إتجاه هدفه الحقيقى ، واكتفى همريوس بمتابعة تحركات ليو الطرابلسى حتى أدركه عند جزيرة ثاسو Thasos فى البحر الايجى فأدرك عندئذ همريوس أن سالونيك هى هدف الهجوم الاسلامى وأسرع باخطار الامبراطور بذلك [(١)] وقد بادر الامبراطور ليو السادس بارسال مندوبين إلى سالونيك لتحذير السكان من قدوم المسلمين ولتنظيم الدفاع عن المدينة ، وحاول المندوبون الحصول على مساعدات من قائد ثغر ستريمون Strymon المجاور على ساحل مقدونيا أو من السلاف فى البلقان إلا أنهم لم يحصلوا على شىء [(٢)] ، كما فشل الاسطول البيزنطى فى تقديم أى معاونة للسكان لأن ليو الطرابلسى أسرع باحكام الحصار حول مداخل المدينة ، ثم نجح فى اقتحامها فى رمضان سنة ٢٩١ هـ / يوليه ٩٠٤ م ، وظلت قواته داخل المدينة عشرة أيام تجمع الاسرى والغنائم [(٣)] . وبعد أن حقق ليو هدفه انسحب باسطوله

= القسطنطينية بل أن ليو الطرابلسى بعد نجاحه فى الإستيلاء على سالونيك انسحب بسرعة ولم يحاول الاحتفاظ بها :

(١) Theophanes Contin., p. 366 — 367

(٢) Ioannes Cameniata, De Excidio Thessalonicensi p. 508-515

(٣) ويلاحظ على رواية يوحنا كمنياتى جنوحه إلى المبالغة فى وصف اقتحام المسلمين للمدينة ، من ذلك قوله أن المسلمين كانوا يقتلون كل إنسان دون النظر إلى السن أو الجنس وأنهم كانوا يحصدون كل شىء كما يحصد الزرع فى الحقول مما جعل المدينة تبدو خالية بعد أن كانت تغص بالسكان أنظر :

Ioannes Cameniata, op. cit. p. 515—543, 576—577.

عائدا وهو يحمل عددا كبيرا من الاسرى وفى أثناء العودة مر ليو الطرابلسى باسطوله على عدة جزر منها ناكسوس Naxus التى كانت تابعة لكريت وتؤدى الجزية لها [1] . وكان هدف ليو الطرابلسى من المرور بتلك الجزر أما تموين سفنه أو بيع أسراه أو خداع هميريوس قائد الاسطول البيزنطى الذى أكتفى بمراقبة تحركات السفن الاسلامية من جزيرة لمنوس Lemnos [2] وأخيرا عاد ليو الطرابلسى عن طريق كريت بعد أن مكث فيها عدة أيام اشترى خلالها الكريتيون عددا من الاسرى والغنائم [3] .

كان لهذه الهزيمة القاسية التى لحقت بالامبراطورية البيزنطية على يد الاسطول الاسلامى أثر كبير على هيبة الامبراطورية ومركزها بين جيرانها . والحق أنها لواحدة من أسوأ الكوارث فى التاريخ البيزنطى إذا كانت الخلافة العباسية فى تلك الفترة فى مركز لم يسمح لها بالاستفادة من ذلك الوضع لتطويق الامبراطورية البيزنطية ونشر النفوذ الاسلامى فى البلقان ، فان أعداء الامبراطورية الآخرين من البلغار والروس أسرعوا بالاستفادة من ذلك الموقف السيء الذى أضحت فيه ، فعقب إنسحاب المسلمين من سالونيك حاول سيمون ملك البلغار الاستيلاء عليها لكنه فشل [4] ، ومع ذلك فقد أجبر البيزنطيين على تعديل حدود مملكته حتى وصلت إلى قرب سالونيك نفسها [5] ، أما الروس فان أميرهم أوليج Oleg ظهر فى عام ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م أمام القسطنطينية باسطول كبير فاضطر البيزنطيون عندئذ إلى الدخول معه فى

---

(١) goannes Cameniata : op. cit. p., 568—583

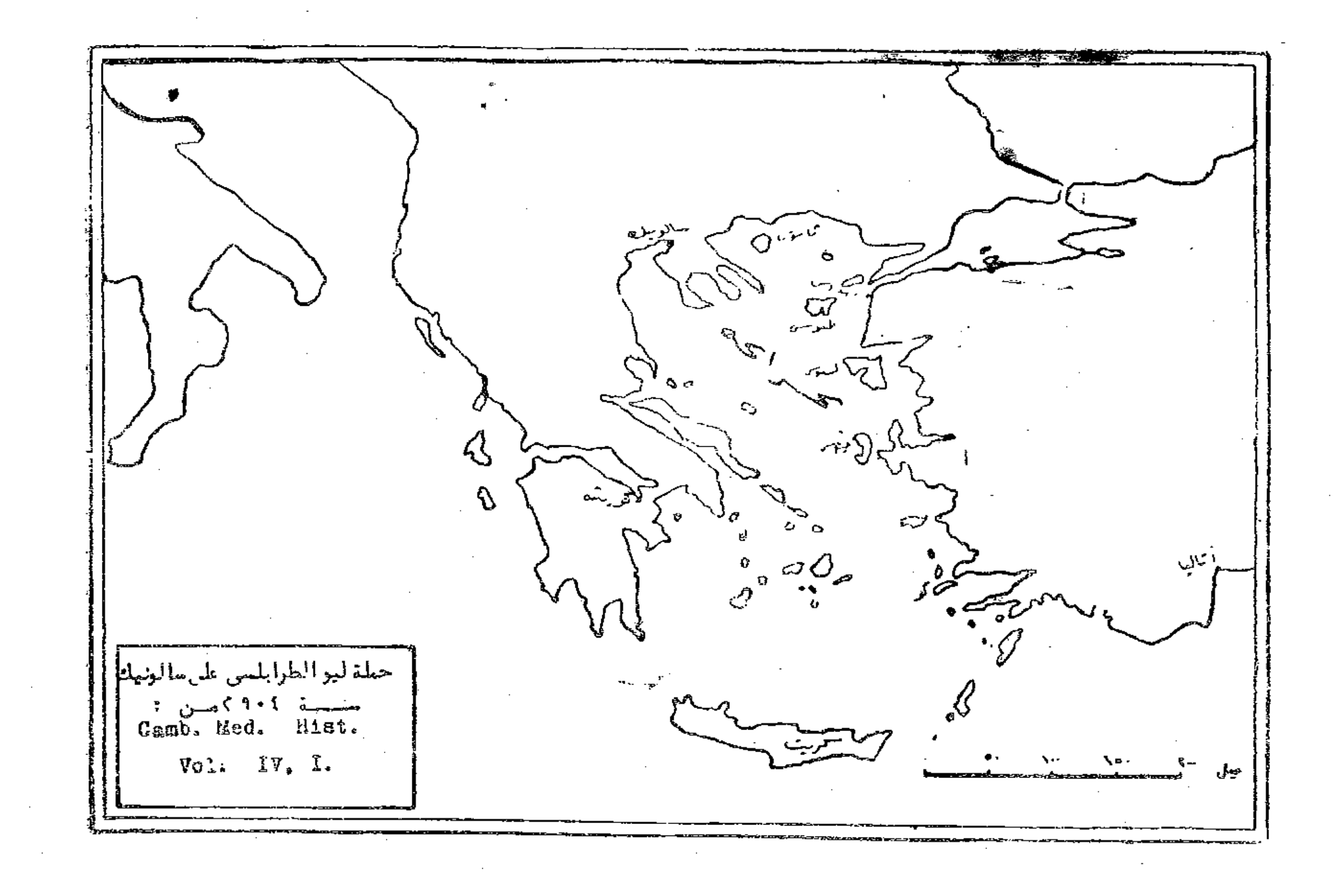
(٢) Theophanes Contin., p. 368

(٣) ويستفاد أيضا من رواية يوحنا كمنياتى أن بعض الأسرى تم توزيعهم على عدد من الموانى الشامية ، فيوحنا نفسه أسر ونقل إلى طرسوس فى سفينة مصرية ونقلت أخته إلى صيدا . أنظر :

Cameniata, : op. cit. p. 583, 589—590, 597—598.

(٤) Obolensky, op. cit. p. 107

(٥) Oatrogorsky, History of the Byzantine State p. 228.


حملة ليو الطرابلسي على سالونيك
سنة ٩٠٤م عن :
Camb. Med. Hist.
Vol. IV, I.
أتاليا

مفاوضات أسفرت عن عقد معاهدة ضمنت المركز القانونى للتجار القادمين من روسيا إلى القسطنطينية[1]، كما لم ينسحب أوليج إلا بعد أن دفع البيزنطيون له مبلغا كبيرا من المال [2]، وقد جددت المعاهدة الروسية البيزنطية فى سنة ٢٩٩ هـ/ ٩١١ م فنشأت بذلك علاقات تجارية منتظمة بين الجانبين. هذا فضلا على أنها أعطت الروس الحق فى الاشتراك فى الحملات البيزنطية كما حدث فى الحملة على كريت سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م [3].

أما عن نتائج هزيمة سالونيك داخل الامبراطورية البيزنطية نفسها فان الإمبراطور ليو السادس أدرك بعد تلك الهزيمة ضرورة إجراء إصلاحات عسكرية كثيرة ، فأقام التحصينات فى سالونيك واتاليا وهما المدينتان اللتان غزاهما ليو الطرابلسى بأسطوله[4]، كما جهز الإمبراطور فى مياه البحر الإيجى ما بين أربعين وستين سفينة حربية على أهبة الاستعداد[5].

أراد البيزنطيون الانتقام من هزيمة سالونيك فكلفوا قائد ثغر الأناضول أندرونيقوس دوقاس للقيام بحملة تدمير فى منطقة الثغور الإسلامية ، فهاجم ذلك القائد مرعش وضواحيها فى المحرم سنة ٢٩٣ هـ/ نوفمبر ٩٠٤ م[6] فى الوقت الذى كانت قوات الخليفة العباسى المكتفى مشغولة بالحرب ضـــد الأمير الطولونى هارون بن خمارويه من أجل استعادة مصر للتبعية المباشرة للخلافة العباسية ، ثم فى إخماد الثورة التى نشبت عقب القضاء على الطولونيين وتزعمها الخليجى ، الأمر الذى أدى إلى إرسال المزيد من قوات المكتفى إلى مصر

(١) Ostrogorsky, op. cit. p. 229.

(٢) Obolensky, op. cit., p. 184 — 185.

(٣) Obolensky, op. cit. p. 185 — 186

وعن نتائج حملة ليو الطرابلسى على سالونيك أنظر : د . أسمت غنيم : الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٤) Ostrogorsky, op. cit. p. 229

(٥) Foord, The Byzantine Empire p. 246

(٦) الطبرى : المصدر السابق جـ ١٠ ص ١١٨

ولم تنته الحرب إلا فى أواخر سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥م . وأدى اضطراب الأمور فى بلاد الشام بسبب هجمات القرامطة على طريق الفرات ودمشق وطبرية منذ عام ٢٩٣ هـ / ٩٠٥م إلى نجاح البيزنطيين فى غاراتهم على الثغور الشامية والمناطق الخلفية لها حتى وصلوا إلى قورس — من أعمال حلب فقتلوا رؤساء القبائل بها وأحرقوا المسجد وأسروا كثيراً من السكان(١) .

وكانت عملية الانتقام الكبرى التى خطط لها البيزنطيون موجهة ضد طرسوس ، فقد تضمنت الخطة الموضوعة نقل قوات برية من ثغر الأناضول بقيادة أندرونيقوس دوقاس على أسطول يقوده همريوس والقيام بعملية إنزال فى طرسوس وتدمير قوتها على غرار عملية ليو الطرابلسى ضد سالونيك(٢) إلا أن تلك الحملة لم يقدر لها النجاح كما خطط لها ، بل كانت كارثة على البيزنطيين أنفسهم ، فقد وصلت شائعات إلى أندرونيقوس دوقاس أن الإمبراطور ليو السادس يشك فى ولائه ، وأنه بمجرد إبحاره على ظهر الأسطول سوف يقبض عليه وتسمل عيناه ،وعلى ذلك ما أن أبحر همريوس بأسطوله فى سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م ودعا أندرونيقوس دقاس لإحضار قواته والإبحار معه عند أتاليا Attalia حتى رفض الأخير التحرك وأعلن الثورة وتحصن فى أيقونيـة ، وعندئذ أبحر همريوس بأسطوله حتى وصل إلى مياه طرسوس واكتفى بالاشتباك مع أسطولها ، وأحرز انتصارا بحريا عليه خلال نفس العام ، أما أندرونيقوس فقد ظل متحصنا فى قلعة أيقونيه حوالى ستة شهور حتى أوائل عام ٩٠٦م ، وعندما علم أن جيشا بيزنطيا فى الطريق اليه اتخذ خطوة أخرى أضرت بالموقف العسكرى البيزنطى ،فقد راسل الخليفة المكتفى يطلب الأمان واللجوء إليه(٣) وعلى الفور كلف الخليفة المكتفى أمير الثغور الشامية رستم باصطحاب الثائر

---

(١) الطبرى : المصدر السابق جـ ١٠ ص ١١٨ – ١٢٢ ، ١٢٨ – ١٢٩

(٢) Jenkins, Byzantium The Imperial Centuries p. 204; Camb., IV. I. p. 716

(٣) Jenkins, op. cit. p. 204 — 205

البيزنطى من أيقونيه، وتم نقله إلى طرسوس ثم إلى بغداد عام ٢٩٤هـ/٩٠٦م[١] وقد بادر الإمبراطور ليو السادس بإرسال سفارة إلى الخليفة يطلب عقد هدنة وتبادل للأسرى بين الجانبين إذ كان يطمع فى عودة أندرونيقوس ، فأقر الخليفة المكتفى طلب الهدنة ، لكنه لم يوافق على إطلاق سراح أندرونيقوس[٢] .

كان هروب أندرونيقوس إلى بغداد فرصة للمسلمين لتكثيف هجماتهم على الثغور البيزنطية بعد حالة الاضطراب التى سادت فيها ، وعلى ذلك قام القائد مؤنس الخادم بغزو الصائفة من طرسوس عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م ، ثم اتجه إلى ملطيه للقيام بغزوة أخرى من الثغور الجزرية ، لكنه علم بنشوب ثورة الليث بن على الصفار فى فارس ضد الخليفة المقتدر (٢٩٥هـ — ٣٢٠هـ / ٩٠٨ — ٩٣٢ م) ، فاضطر مؤنس إلى مغادرة ملطيه لقتال الصفاريين وحل محله فى القيادة القاسم بن سيما الذى نجح فى الغزو صائفتين متتاليتين سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م و ٢٩٨هـ / ٩١٠ م[٣] .

وإزاء الضغط الإسلامى البرى فى منطقة الثغور لجأت الحكومة البيزنطية إلى أسطولها الذى دعم بقدرات جديدة بعد كارثة سالونيك للقيام بغارات انتقامية على سواحل الشام فهاجم همريوس اللاذقية سنة ٢٩٨هـ/٩١٠ — ٩١١م[٤]

(١) الطبرى : المصدر السابق ج ١٠ ص ١٣٤ — ١٣٦

(٢) الطبرى : المصدر السابق ج ١٠ ص ١٣٥ ، ١٣٨ ، وقد أرسل الإمبراطور ليو السادس رسالة سرية إلى أندرونيقوس فى بغداد لإقناعه بالعودة لكن الرسالة تسربت أنباؤها إلى المسئولين فى بغداد فمنع أندرونيقوس من الهرب فى حين استطاع أبنـه — قنسطنطين — وكان قد لجأ إلى بغداد الفرار فاستقبله ليو السادس وعينه حاكما على ثغر خرسيانون أنظر :

Jenkins, op, cit, p. 205

(٣) الطبرى : المصدر السابق ج ١٠ ص ١٤٢ — ١٤٤

(٤) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٥١٢

فى غياب الأسطول الإسلامى الذى كان يقوم بجـولات تفتيشية فى البحـر الأيجى(١)، ثم اتجه همريوس إلى كريت وفرض عليها الحصار ستة أشهر إلا أنه أخفق فى اقتحامها ، ولما جاءته الأخبار بمرض ليو السادس قرر الانسحاب عائدا إلى القسطنطينية ، وفى أثناء عودته فوجىء همريوس بكمين بحرى نصبه له الأسطول الإسلامى بقيادة ليو الطرابلسى عند خيـوس Chios فتم سـحق الأسطول البيزنطى وهرب همريوس نفسه بالـكاد إلى ميتلين Mitylene فـكانت تلك الأخبار بمثابة ضربة بالنسبة للامبراطور ليو السادس(٢) .

وأتاح تحطيم الأسطول البيزنطى فى خيـوس ٢٩٨ هـ / ٩١١ م فرصة للأسطول الاسلامى لتصعيد عملياته البحرية ، فقام داميان وهو أحد قادة الأسطول الإسلامى بالهجوم على جزيرة قبرس ، فى حملة تأديبية فى ذات العام، لأن همريوس كان قد مر بها قبل هجومه على اللاذقية مما حـل على الاعتقـاد بأنه لقى معاونة من سكانها المسيحيين ، فاعتبر المسلمون ذلك خرقا للاتفـاقية المعقودة مع سكان قبرس منذ العصر الأموى بأن تكون الجزيرة مناصفة بين المسلمين والبيزنطيين ، وألا يعين سكانها أحدا من الطرفين ضد الآخر ، وقد ظل داميان أربعة شهور فى الجزيرة يفتح الحصون ويسبى السكان . وعندعودته إلى طرسوس حمل معه كثيرا من الأسرى والغنائم(٣) . وقد أدى تصـرف داميان فى الجزيرة وأسره بعض سكانها إلى قيـام القديس ديمتريانوس Demetrianus ، أسقف الجزيرة بالسفر إلى بغـداد والشـكوى إلى الخليفة

---

(١) لم يحدث اشتباك بين أسطول همريوس والأسطول الإسلامى فى أثناء هجوم همريوس لأن ليو الطرابلسى تحرك بأسطوله إلى مياه البحر الإيجى للاعداد لـكمين بحرى ضد همريوس عند جزيرة خيوس Chios كما سيتضح بعد ذلك .

(٢) Jenkins, op. cit. p. 210, Ostrogorsky. op. cit., p. 229

(٣) المسعودى : المصدر السابق ج ٢ ص ٥١٢ ، د . عاشور . قبرص والحروب الصليبية ص ٧ — ١٥

المقتدر ، كما أرسل البطريرك نيقولا مستيكوس بطريرك القسطنطينية رسالة من قبله إلى الخليفة يطلب فيها إطلاق سراح أسرى قبرص ، فاستجاب المقتدر لذلك وأصدر عفوا عنهم (١) .

---

(١) Jenkins "The mission of St. Demetrianus of Cyprus to Baghdad" in Annuaire IX 1949 p. 267 — 269

وقد أثبت جنكز أن رسالة البطريرك نيقولا مستيكوس كانت موجهة إلى الخليفة في بغداد وليس إلى أمير كريت كما هو شائع عند كثير من المؤرخين والواقع أن عبارات الرسالة ولهجتها ومحتوياتها تقطع بصحة رأى جنكز أنظر نص الرسالة في الملحق رقم ؟

تعديل الحدود البيزنطية الإسلامية فى عصر ليو السادس :

بالرغم من الهزائم الخطيرة التى ألحقها المسلمون بالبيزنطيين فى أثناء حكم ليو السادس حتى يمكن القول بأن تلك الفترة كانت على الإجمال ظهورا للمسلمين على البيزنطيين وبوجه خاص فى البحر[1] ، فان عصر ليو السادس قد شهد أيضا من ناحية أخرى تحقيق مكاسب للجانب البيزنطى ، فبالإضافة إلى الانتصارات العسكرية المحدودة التى حققها البيزنطيون فى المعارك فقد أدخلوا تعديلات جوهرية على الحدود المشتركة بين الجانبين، فكان لها أثرها الإيجابى لمصلحة البيزنطى فيما بعد ومن تلك التعديلات إنشاء ثغر ليكاندوس Theme de Lycandus فى شمال ملطيه شرقى قيليقيا ، وكذلك ثغر أعالى العراق Theme de Mesopotamie [2] وقد نشأ الثغر الأول بعد أن أسس القائد البيزنطى مليح الأرمنى الحصن المعروف باسم تزاماندوس Tzamandus ثم انتزع أجزاء من الأراضى الإسلامية شمال شرقى قيليقيا وأضافها إلى الحصن فتشكل منها الثغر الذى عين مليح قائدا له، وقد ترتب على إنشاء ثغر ليكاندوس نتائج عسكرية بالغة الخطورة على أمن الثغور الإسلامية لأنه قطع طريق الاتصال المباشر بين ثغرى ملطيه وطرسوس[3] ، أما ثغر أعالى العراق فنشأ عن تنازل ثلاثة من أمراء الأرمن عن إقطاعاتهم شمال ملطيه للامبراطور ليو السادس حوالى سنة ٩٠٠م[4] .

---

(١) شهد حكم ليو السادس أيضا سقوط تارمينا سنة ٩٠٢ م آخر حصن بيزنطى فى صقليه فى يد المسلمين . كما هاجم مسلمو كريت ديمترياس على شاطىء تساليا فى ذات العام ٩٠٢ م . بالإشتراك مع داميان أحد قادة أسطول طرسوس . كما هوجمت لمنوس فى بحر ايجه أيضا . أنظر :

Symeon Magister, Annales p. 703—704 ; Ostrogorsky, op. cit. p. 228 ; Levtchenko, Byzance des origines à 1453 — p. 182

(٢) Oman. The dark ages p. 494

(٣) Foord, op. cit, p. 247

(٤) Jenkins, Byzantium The Imperial centuries p. 207, Foord, op. cit. p. 247

توازن القوى بين الجانبين :

تلت وفاة الإمبراطور ليو السادس سنة ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م فترة من الاضطرابات الداخلية فى الامبراطورية البيزنطية ، فأخوه الكسندر الذى خلفه ٩١٢ – ٩١٣م كان قصير النظر فى سياسته عندما رفض الاعتراف بالمعاهدة المعقودة بين ليو السادس وسيمون ملك البلغاره[١] ، فاتخذ سيمون من ذلك ذريعة لغزو الأراضى البيزنطية ، وشاء حسن حظ سيمون أن يموت الامبراطور الكسندر ويتولى بعده امبراطور قاصر فى السابعة من عمره هو قنسطنطين السابع – بوصاية البطريرك نيقولا مستيكوس – فى الوقت الذى أعلن الثورة ضد الامبراطور الجديد أحد القادة الطامعين فى العرش وهو قسطنطين دوقاس ، وعلى ذلك أصبحت الظروف ملائمة لسيمون كى يحقق أهدافه ، فاخترق تراقيا على رأس جيش كبير ، ثم اتجه إلى القسطنطينية وحاصرها سنة ٩١٣م ، فاستغل المسلمون ذلك الموقف العسكرى الحرج وهاجموا الأراضى البيزنطية ، ففى الوقت الذى كان البطريرك نيقولا مستيكوس يتفاوض فيه مع سيمون من أجل الانسحاب وإنهاء الحصار المفروض على العاصمة البيزنطية[٢] فى ذلك الوقت غزا الحسين بن حمدان – حاكم ديار ربيعه – الأراضى البيزنطيه وقام بجولة ناجحة فى منطقة الحدود البيزنطية المواجهة للثغور الإسلامية من ملطيه حتى طرسوس[٣] ، وبرغم انسحاب سيمون فى ذلك العام من أمام القسطنطنية بعد وعود تلقاها من البطريرك نيقولا ، إلا أن سيمون لم يكن مطمئنا لموقف الامبراطوره زوى التى آلت إليها الوصاية فقد أدرك أن زوى لن تسمح بتنفيذ وعود نيقولا له ، وعلى ذلك عاد سيمون لمهاجمة الأراضى البيزنطية فى العام التالى ٣٠٢هـ/٩١٤م واستولى على أدريانوبل ، وأخذ

(١) Jenkins, Byzantium... p. 227 — 228

(٢) Obolensky, ep. cit 107 — 108

(٣) الطبرى : المصدر السابق جـ ١٠ ص ١٤٧ ،
Canard, Histoire de la dynastie des Hamdanides p. 724

يزحف باتجاه العاصمة ، فلجأت الإمبراطورة زوى عندئذ إلى إغراء البشناج لغزو بلغاريا ، فلما أحس سيمون بأنه سوف يقع بين نارين أوقف الزحف على العاصمة البيزنطية ودخل فى مفاوضات من أجل الانسحاب[١]. وبطبيعة الحال فإن أستمرار التهديد البلغارى لم يسمح للبيزنطيين بنقل قواتهم إلى الجبهة الإسلامية لمواجهة غزوات ولاة الثغور،فاستطاع بشر والى طرسوس عندئذ غزو الأراضى البيزنطية من ناحيـــة الثغور الشامية فى شتاء سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤م[٢].

أما فى أرمينيا فقد حققت الإمبراطورة زوى نجاحا ضد السياسة التى اتبعها يوسف بن أبى الساج والى أذربيجان وأرمينية ، فاستطاعت زوى إعادة آشوت الثانى بن سمباد إلى عرشه ٣٠٣هـ / ٩١٥م بعد أن كان قد هرب إلى القسطنطينية[٣] ، وتم الاعتراف بآشوت ملكا من قبل العناصر المنافسة له من بين بيت ارتسرونى Artsruni . وهكذا وضعت زوى أساس سياسة بيزنطية نشطة فى أرمينيا سوف تتزايد فيما بعد ضد محاولات سيف الدولة الحمدانى السيطرة عليها[٤]، حتى انتهت تلك السياسة بضم الممالك الأرمينية إلى الإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور باسيل الثانى .

---

(١) وكان البطريرك نيقولا قد وعد سيمون بتتويجه إمبراطورا على البلغار وأن يزوج الإمبراطور قنسطنطين السابع من إحدى بنات سيمون . أنظر :

Obolensky, op. cit. p. 107 — 110.

(٢) الطبرى المصدر السابق جـ ١٠ ص ١٤٩ — ١٥٠ .

(٣) **Camb, IV op. cit I, p. 136**

(٤) **Canard,** op. **cit. p. 724 — 725**

وعن علاقة يوسف بن أبى الساج بامراء أرمينية والحروب التى دارت معهم أنظر :

Grousset, R., Histoire de **l'Armenie de Origines** â 1071,p. **435—443**

الأخطار التي واجهت الخلافة العباسية في تلك الفترة:

توقفت الهجمات التي شنها ولاة الثغور الإسلامية على الأراضي البيزنطية في أثناء غزو البلغار لها، وذلك أن أخطارا جديدة بدأت تهدد الخلافة العباسية، فمن ناحية بدأ الفاطميون حملاتهم على مصر منذ سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، فاضطر الخليفة المقتدر أن يرسل أكفأ قادته مؤنس الخادم على رأس جيش كبير إلى مصر للتصدي لهم[١]، ومن ناحية ثانية تمرد الحسين بن حمدان حاكم ديار ربيعة على الخليفة المقتدر في عام ٣٠٣ هـ / ٩١٥م فأرسل الخليفة ضده القائد رائق الكبير ثم مؤنس الخادم — بعد طرد الفاطميين من مصر — الذي تمكن من هزيمة الحسين بن حمدان وأسره[٢]، ثم إن يوسف بن أبي الساج والي أذربيجان وأرمينيا كان لا يزال هو الآخر على عصيانه منذ سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٥ م، ولم تفلح الحملات التي وجهت ضده في هزيمته أو إخضاعه وأصبح شبه مستقل بالمناطق التي يحكمها[٣]. وهكذا أصبحت قوى الخليفة المقتدر مشتتة بين مواجهة الثوار في الداخل والتصدي للغزو الفاطمي الذي يهدد بفصل مصر عن الخلافة العباسية.

وبرغم علم الامبراطورة زوى بما تعانيه الخلافة العباسية من اضطراب وحروب داخلية إلا أنها كانت ترى في التهديد البلغاري الذي لا يزال قائما في البلقان الخطر العاجل عليها، وبوجه خاص بعد أن فشلت المفاوضات مع سيمون الذي رفض الانسحاب، وأخذ الطرفان البلغاري والبيزنطي يستعدان للحرب[٤]. وقد رأت الامبراطورة زوى أن مصلحة الامبراطورية تقتضي في تلك

---

(١) الطبري: المصدر السابق ج ١٠ ص ١٤٩ — ١٥٠

(٢) القرطبي: صلة تاريخ الطبري ص ٥٥

(٣) نفسه: ص ٢٥، ٦٤

(٤) Obolensky, op. cit. p. 110

الظروف الصعبة عقد صلح مع المسلمين وتجميد النشاط العسكري على الحدود الإسلامية لتتمكن من نقل القوات العسكرية المرابطة في آسيا لمواجهة البلغار في الشمال[١] ، وعلى ذلك أرسلت سفراءها إلى بغداد سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م لعقد الهدنة[٢] فرحب الخليفة المقتدر على الفور ليتفرغ هو الآخر لمشاكله الداخلية . وهكذا أصبح في إمكان زوى نقل عدد كبير من الوحدات العسكرية البيزنطية العاملة على الجبهة الإسلامية إلى تراقيا تحت قيادة ليوفوقاس[٣] في حين استطاع الخليفة المقتدر مواصلة أرسال الحملات إلى أرمينيا بقيادة عبدالله بن حمدان ومؤنس الخادم لإخضاع واليها المنشق[٤] وبذلك هدأت جبهة القتال على الحدود الإسلامية البيزنطية بصفة مؤقتة .

ولم ينجح البيزنطيون في مواجهة البلغار وواجهوا فشلا ذريعا عسكريا وسياسيا، فقد رفض البشناج إغراءات البيزنطيين بعبور الدانوب وغزو بلغاريا، كما هزم ليوبوقاس عند إنخيالوس Anchialus في ذات العام ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م على به سيمون الذى أنساب بقواته فى تراقيا فى اتجاه القسطنطينية وعندما حاول البيزنطيون التحالف مع أمير صربيا ضد سيمون أستطاع الملك البلغارى هزيمة أمير صربيا سنة ٣٠٦هـ /٩١٨ م فأصبح سيمون بذلك مسيطرا من الناحية الفعلية على البلقان وظل يمثل التهديد المباشر للقسطنطينية طيلة ست سنوات — أى حتى سنة٣١٢هـ/٩٢٤ م— وإن لم يتمكن من الاستيلا عليها[٥] .

---

(١) Theophanes Contin., p. 388

(٢) القرطبي : المصدر السابق ص ٦٢ ، مسكويه : تجارب الأمم ج ٥ ص ٥٣ — ٥٥ ، القاضي الرشيد كتاب الذخائر والتحف ص ١٣٠ — ١٣٢ ،
Theophanes contin., p. 388

(٣) Theophanes contin., p. 388 — 389

(٤) القرطبي : المصدر السابق ص ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٢ . وقد تمكنت قوات الخليفة من أسر يوسف بن أبي الساج سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م

(٥) Obolensky, op. cit. p. 110 — 111

وفى داخل الأمبراطورية البيزنطية نشأ صراع على الحكم بين ليوفوقاس قائد الجيوش البريه وبين رومانوس ليكابينوس قائد الأسطول إنتهى بالقبض على ليوفوقاس وسمل عينيه فى حين أصبح رومانوس أمبراطور شريكا لقنسطنطين السابع سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م وبدأ مرحلة جديده من الواجهة مع المسلمين(١) .

(١) Jenkins, Byzantium ... p. 235 — 237

تفوق بيزنطى برى وبحرى :

بقيام الامبراطور رومانوس ليكابينوس فى الحكم ٣٠٨ هـ — ٣٣٣ هـ / ٩٢٠ — ٩٤٤م بدأت فترة نشاط عسكرى كبير فى الجانب البيزنطى قابلها فتره ركود واسترخاء من جانب الخلافه العباسية ، ذلك أن رومانوس حول الجهد العسكرى البيزنطى إلى عمليات هجوميه مستمره أكثر منها دفاعيه بفضل اختياره القائد الكفء يوحنا كوركواس الأرمنى الأصل . وقد تحددت استراتيجية البيزنطيين العسكرية فى تلك الفترة فى الاستيلاء على الثغور الإسلامية الأمامية ، وكذلك مهاجمة المدن التى تقع خلف تلك الثغور ثم إنشاء قوة بيزنطيه حازمه فى أرمينيه[1] .

لم يستطع رومانوس ليكابينوس خلال السنوات الخمس الأولى من حكمه تنفيذ خططه ضد المسلمين بسبب استمرار التهديد البلغارى فى البلقان من ناحية ، ومن ناحية أخرى كانت الخلافه العباسية قد تخلصت مؤقتا من مشاكلها فى أرمينيا ومصر ، وبدأ ولاة الثغور استئناف غزواتهم ، فغزا مؤنس الخادم بعد عودته من مصر سنة ٣١١هـ/٩٢٣م ، وفى المجال البحرى قام ليو الطرابلسى بمحاولة للهجوم على لمنوس Lemnos سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م لكن الأسطول البيزنطى نجح بقيادة رادينوس Radinus فى هزيمة ليو الطرابلسى ،[2] ثم قام ثمال والى طرسوس فى العام التالى بمحاولة جريئة عندما توغل بأسطوله حتى بحر مرمره واتصل بالبلغار الذين اقتربوا من أسوار القسطنطينية وأصبحوا فى حاجة إلى حليف يساعدهم بأسطول لأحكام الحصار على العاصمة البيزنطية[3] .

---

(١) Jenkins, Byzantium ... p. 246

(٢) Cedrenus, Historiarum Compendium II, p. 303, L. Brehier, op. cit. p. cit. 170

(٣) Canard «Arab et Bulgars au debut de X siecle» «in Byzantion XI 1936, F. I. p. 213 — 223»

ونظرا لإن الاتصالات بين سيمون ملك البلغار وثمال والى طرسوس لم تؤد إلى نتيجة إيجابيه ، فإن سيمون إتصل بالفاطميين فى شمال أفريقيا، وأرسل لهم سفارة فى ذلك الشأن ذهبت سرا بواسطة البحر ، ثم عادت السفارة ومعها وفد مفوض بعقد الإتفاقية ، إلا أن السفارة سقطت فى أثناء عودتها فى يد رجال الأسطول البيزنطى فى ثغر كلابريا Clabre وذهبت أسيره إلى القسطنطينية . وهنا لم يرغب رومانوس فى إثارة الفاطميين،ففى الوقت الذى سجن فيه السفراء البلغار أعاد أعضاء الوفد الفاطمى محملين بالهدايا إلى أميرهم[١] .

ولما أشتد الضغط البلغارى فى البلقان وخشى البيزنطيون استغلال المسلمين لذلك الموقف لجأ رومانوس إلى الدبلوماسية لتحسين علاقته مع بغداد إلى أن يتم التخلص من تهديدات سيمون حتى لا تقع الأمبراطورية بين عدوين فى وقت واحد . ولم يكن الخليفة العباسى المقتدر من ناحيته أقل رغبة فى العلاقات السليمة بسبب هجات القرامطه على البصره سنة ٣١١هـ/٩٢٣م وعلى الكوفه سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م[٢] وعلى ذلك رحب الخليفة المقتدر بسفارة الأمبراطور رومانوس فى سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م ، وتم عقــــد الهدنه وتبادل الأسرى بين الجانبين[٣] ، فتفرغ رومانوس عندئذ لمواجهة البلغار .

غير أن افتقار سيمون ملك البلغار إلى أسطول يحكم به الحصار على القسطنطينيه كان سببا فى فشـــل هجومه فى الوقت الذى احتشدت فيه القوات البيزنطية بأسرها فى مواجهته بعد عقد الهدنه مع المسلمين ، فاضطر سيمون عندئذ إلى الدخول فى مفاوضات مع رومانوس ليكابينوس من أجل توقيع معاهدة بين الطرفين ومع أن تلك المعاهدة لم تتم إلا بعد وفاة سيمون نفسه سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م

---

(١) Canard. op. cit. p. 214 — 215

(٢) القرطبى : المصدر السابق ص ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٧

(٣) مسكويه : المصدر السابق جـ ٥ ص ١٣٩ ، Camb., IV, I, p. 717

إلا أن المفاوضات بين الجانبين أدت إلى فتور وتراخي في الحرب بعد أن أدرك سيمون أنه لن يستطيع تحقيق أهدافه[١] .

وما أن شعر رومانوس بتحسن الموقف العسكري على الجبهة البلغارية حتى عاد إلى تنفيذ خطته على الجبهة الإسلامية فنقض الاتفاقية المعقودة سنة ٣١٢هـ /٩٢٤م مع الخليفة المقتدر ، وأرسل إلى ولاة الثغور الإسلامية إنذارا يطلب منهم أداء الخراج إليه طاعة له ، وإلا هاجمهم،[٢] ثم أعقب أنذاره باجتياح الجيوش البيزنطية بقيادة كوركواس لملطيه في منطقة الثغور الجزريه سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥ م ، ثم كرر الهجوم على ملطيه في العام التالي ٣١٤هـ/٩٢٦م ، وفي المرة الأخيره ظلت القوات البيزنطية ستة عشر يوما تنشر الخراب حتى هرب أهل ملطيه إلى بغداد مستغيثين مما نزل بهم[٣] ولم يستطع الخليفة العباسي المقتدر تقديم أي مساعده لملطيه أو غيرها في تلك الفترة إذ كان معظم قادته مشغولين في الحرب ضد القرامطه الذين استمرت هجماتهم حتى سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨ م ، وهددوا الكوفه والبصره وبغداد وديار ربيعه ومكه[٤] .

وكانت النتيجة الطبيعية لذلك الضغط البيزنطي المتزايد على ملطية أن اضطر أميرها أبو حفص — وكان حفيدا للشهيد عمرو بن عبيد الله الأقطع — إلى التفاوض مع كوركواس وذهب بنفسه ومعه قائده العسكري أبو الصلت إلى القسطنطينية وعقد مع الأمبراطور رومانوس ليكابينوس سنة ٣١٦هـ/٩٢٧م معاهدة تشترك بموجبها قوات ملطية في صفوف الجيش البيزنطي[٥] .

(١) Canard, Histoire de la dynastie ... p. 726

(٢) مسكويه : المصدر السابق جـ ٥ ص ١٤٦ — ١٤٧

(٣) الهمداني : المصدر السابق ص ٢٤٨ — ٢٤٩ ، مسكويه المصدر السابق جـ ٥ ص ١٤٦ — ١٤٧

(٤) القرطبي : المصدر السابق ص ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩

(٥) Theophanes Contin., p. 415—416; Cedrenus, op. cit. II, p. 310; = Camb., IV. I, p. 139

وسرعان ما نقض سكان ملطية إتفاقهم مع البيزنطيين عقب وفاة الأمير أبي حفص ، فاضطر كوركواس إلى مهاجمتها من جديد سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م وفرض عليها غرامة مالية كبيرة[1] ، ومع ذلك استمرت مقاومة المسلمين في ملطيه قائمه ، واستنجدوا بسعيد بن حمدان حاكم ديار ربيعه الذى هرع إلى نجدتهم سنة ٣١٩هـ/٩٣١م ، وعين عليهم أميرا من قبله بعد أن هربت الحاميه البيزنطيه[2] ، وقد ظلت ملطية في يد المسلمين حتى هاجمها كوركواس مرة أخرى سنة ٣٢٣ هـ/٩٣٤م في خمسين ألفا من جنوده مستغلا اضطراب أحوال الخلافة العباسية في ذلك الوقت[3] ، وفرض كوركواس الحصار على ملطيه مدة طويلة حتى هلك أكثر أهلها جوعا ، فتمكن عندئذ من الاستيلاء عليها وطرد بقية سكانها المسلمين[4] ولجأ كوركواس إلى تجريد ملطيه من طابعها الإسلامى عندما نقل إليها مواطنين من الأرمن لاستيطانها بدلا من سكانها المسلمين[5] ولتأمين الطريق من ملطيه إلى مانزكرت في أرمينيا عبر تارون Taron أقام البيزنطيون إلى الشرق من ملطيـــه حصنا قويا أطلق عليـــه حصن رومانوبوليس

= ولم تشر المصادر العربية إلى تلك المعاهدة باستثناء ابن الأثير الذى قال « وكان أهلها — أهل ملطية — قد ضعفوا فصالحوا الروم وسلموا مفاتيح البلد إليهم فحكموا على المسلمين » انظر ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٢١٧ .

(١) Theophanes Contin., p. 416 — 417

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٦ ص ٢١٧ ،

Canard, Histoire de la dynastie ... p. 734

(٣) قتل الخليفة المقتدر أثر فتنة اشترك فيها مؤنس الخادم سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م وتولى بعده الخليفة القاهر الذى قبض على مؤنس الخادم ، لكن الجند ثاروا من جديد وقبضوا على القاهر وسملوا عينيه وعزلوه عن الخلافة ، فتولى مكانه الراضى بن المقتدر سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م انظر القرطبي المصدر السابق ص ١٤٢ — ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، والهمدانى : المصدر السابق ص ٢١٨ — ٢٨٤

(٤) ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٣ ،

Canard, Histoire de la dynastie ... p. 735

(٥) Charanis, P. « Armenians & Greeks in the Byzantine Empire » In Armenian Review vol XXV 1972 p. 25.

Romanopolis(١) وهكذا أصبح فى إمكان البيزنطيين بعد أستيلائهم على ملطيه شن هجمات على باقى المناطق المجاوره لها ، فهاجموا سميساط فى ذات العام ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م(٢) كما إستولوا على حصن زياد(٣) ، وبذلك أصبح للبيزنطيين فى منطقة الفرات قوة هجومية لها خطورتها .

أما فى أرمينيا فقد سعى الأمبراطور رومانوس ليكابينوس إلى مساعدة الأمير البغراتى أشوت الثانى الذى كان مهددا دائما من والى إذربيجان وبوجه خاص من «سبك» خليفة يوسف بن أبى الساج الذى أحتلت قواته دوين Dwin(٤) وقد بدأ كوركواس حملاته على أرمينيا بأن هاجم أقليم فاسيان Phasiane(٥) ومنه اتجه إلى دوين سنة ٣١٥هـ/٩٢٧ م التى فرض عليها الحصار إلا أن حامية المدينة بالتعاون مع سكانها أستطاعوا هزيمة البيزنطيين وطردوهم وكبدوهم خسائر فادحه ، وبعد أن أدرك كوركواس صعوبة الاستيلاء على دوين اتجه عام ٣١٦هـ/٩٢٨م إلى جنوب أرمينيا أى إلى المناطق الإسلامية فى أقليم بحيرة وان والمتاخمة لمنطقة الجزيرة ، فهاجم كوركواس فى ذلك الإقليم أخلاط وبدليس ودمر مسجديهما ، فاضطر سكان المدينتين إلى مصالحته مقابل أنسحابه ، على أن كوركواس كان مصمما على تدمير المناطق الإسلامية فى أرمينيا فعاد إليها من جديد سنة ٣١٧هـ/٩٢٩ م فهزمه مفلح الساجى — وإلى اذربيجان وأرمينيه

(١) Grousset, L'Empire du Levant p. 11 2; Jenkins, Byzantium p. 247.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق جـ ٦ ص ٣٤٣

(٣) استولى البيزنطيون على حصن زياد فى الفترة مابين سنة ٣٢٢ — ٣٢٦ هـ / سنة ٩٣٤ — ٩٣٨ م لأن ابن ظافر يتحدث فى عام ٣٢٦ هـ عن قيام سيف الدولة بفتح ذلك الحصن : انظر ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة مخطوط بدار الكتب بالقاهرة رقم ٨٩٠ تاريخ . حوادث سنة ٣٢٦ هـ .

(٤) Canard, Histoire de la dynastie ... p. 739

(٥) يقع إقليم فاسيان إلى الشرق من قاليقلا عند منابع أحـد فروع نهر الرس Arax أنظر :

Canard op. sit., P. 739

الجديد ، فهاجمها مرة ثالثه بالاتفاق مع جاجك Gagik أمير فاسبور كان — وتسميه المصادر العربيه ابن الديرانى — وخرب كوركواس فى هجومه الأخير بركرى وأخلاط وأسر وقتل عددا كبيرا من السكان ، فانتقم مفلح الساجى بأن قام بغاره على فاسبور كان فى نفس العام ٣١٩هـ / ٩٣١م[١] .

وإذا كانت هجمات كوركواس قد حققت نجاحا ملحوظا فى تثبيت النفوذ البيزنطى فى منطقة ثغور الجزيرة بالاستيلاء على ملطيه وحصن زياد. كما حققت نجاحا نسبيا فى أرمينيا بأضعاف نفوذ الأمراء المسلمين فيها .فإن منطقة الثغور الشامية لم تلق نفس الاهتمام من كوركواس فاتاح ذلك لثمال الخادم وإلى طرسوس القيام بهجومين ناجحين على الأراضى البيزنطيه سنة ٣١٩هـ / ٩٣١ م فى وقت أنشغال كوركواس فى أرمينيا[٢] إلا أن هجمات ثمال كانت مع ذلك محدوده النتائج ، ولم تؤد إلى تغيير ميزان القوى فى القتال على الحدود بين الجانبين ، وبوجه خاص بعد أن قل نشاط بحرية طوسوس بعد وفاة قادتها العظام مثل ليو الطرابلسى وداميان .

الحمدانيون فى الجزيره ومقاومة الزحف البيزنطى :

سيطر الحمدانيون على منطقة الموصل فى الجزيره منذ عهد الخليفة الراضى « سنة ٣٢٢ هـ — ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ — ٩٤٠ م » وأصبح عبء الدفاع عن تلك المنطقة يقع على عاتقهم ، وكان سعيد بن حمدان حاكم ديار ربيعه قد قتل سنة ٣٢٢هـ/٩٣٥ م على يد ابن أخيه الحسن بن عبد الله الذى استولى على الموصل، وكاتب الخليفة الراضى بأستعداده لأرسال مال الضمان المقرر ، فوافق الخليفة

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٦ ص١٨٩ ، ١٩٠،١٩٨،١٩٩، ٢١٦،٢١٧،
Canard, Histoire de la dynastie ... p. 739—740.

(٢) القرطبى : المصدر السابق ص ١٤١ ، ابن الأثير المصـــدر السابق ج ٦ ص ٢١٦ — ٢١٧ .

على ذلك[١]. وقد شرع سيف الدولة الحمدانى الذى كان يعمل تحت قيادة أخيه الحسن بن عبد الله « ناصر الدولة » فى غز الأراضى البيزنطيه وإسترداد بعض الحصون التى أستولى عليها القائد البيزنطى كوركواس .

وكانت أولى العمليات التى قام بها سيف الدولة موجهه ضد حصن زياد القريب من ملطيه من ناحية وشمشاط من ناحية أخرى فسار سيف إليه فى سنة ٣٢٦هـ /٩٣٧م وحاصره سبعة أيام حتى أوشك على فتحه، فأسرع كوركواس لإنقاذ الحصن على رأس جيشه ، فأنسحب عندئذ سيف الدولة والبيزنطيون فى فى أثره إلى أن وصل إلى موضع بين حصنى زياد وسلام حيث دارت المعركة بين الطرفين فانتصر سيف الدولة أنتصارا حاسما على كوركواس[٢] .

وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه المعركة بين كوركواس وسيف الدولة فى سنة ٣٢٦ هـ/٩٣٨ م بالقرب من حصن زياد بالجزيره ، فى ذلك الوقت كانت تتم عملية تبادل للاسرى فى منطقة الثغور الشامية بين المسلمين والبيزنطيين نتيجة للاتصالات التى حدثت من قبل مع الخليفة الراضى[٣] ، فالسياسة البيزنطية سعت فى ذلك الوقت إلى تهدئه منطقة الثغور الشاميه كى تستطيع التركيز بقواتها العسكرية فى منطقة الجزيرة. ويؤكد ذلك أن الأمبراطور رومانوس أرسل إلى الأمير محمد بن طغج الاخشيد أمير مصر والذى تقع الثغور الشامية تحت نفوذه المباشر أرسل إليه رسالة لإقامة علاقات وديه بينهما ، وهنا ينبغى أن نذكر أن الأمير محمد بن طغج الاخشيد لم يذهب فى رده إلى أبعد مما تقتضيه قواعد الدبلوماسية والمصالح التجارية بين الجانبين[٤] .

---

(١) الهمدانى : المصدر السابق ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٧

(٢) ابن ظافر : المصدر السابق حوادث ٣٢٦ هـ ص ١ ، ٢ ،

Canard, Histoire de la dynastie . p. 743.

(٣) المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٦٤ ، الهمدانى : المصدر السابق ص ٢١٦

(٤) انظر نص الرسالة فى صبح الأعشى للقلقشندى ج ٧ ص ١٠ — ١٨ ومما جاء فيها : « وأما ما أنفذته للتجارة فقد أمكنا أصحابك منه واذناهم فى البيع و =

واستمرارا للسياسة البيزنطية فى الاستيــلاء على الثغور فى منطقة الجزيره أقام البيزنطيون حصنا بالقرب من ثغر قاليقلا يسمى حصن هفجيج Hafjij بهدف إعاقة وصول الامدادات الإسلامية إلى الثغر وتمهيدا للاستيلاء عليه ، فلما سمع سيف الدولة بخطة البيزنطيين سار من نصيبين لانقاذ قاليقلا أواخر عام ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م فأسرع البيزنطيون عندئذ بتدمير الحصن الذى بنوه وانسحبوا منه إلا أن سيف الدولة كان مصرا على الغزو ، فأقام فى أرزن حتى مر الشتاء وانحسر الثلج وأصبحت الطرق سالكة فدخل أرمينيا وتحالف مع أمرائها الأرمن ، كما تسلم منهم حصونا كانت خطيرة على أمن الثغور الإسلامية .

ودخل سيف الدولة الأراضى البيزنطية من أرمينيا مخترقا ثغر خالديا Chaldia وتوغل فيه حتى وصل إلى مدينة كولونيا Coloneia فأحرق أسوارها وسلب ضياعها وواسل منها الإمبراطور البيزنطى فى نحو وكبرياء ، وفى أثناء انسحابه تتبعه كوركواس إلا أن سيف الدولة أوقع به الهــزيمة(١) وكان لانتصار سيف الدولة ونجاحه فى غزو الأراضى البيزنطية إلى هذا العمق أثر كبير على البيزنطيين ، فنظروا إليه منذ ذلك الوقت على أنه العدو الخطير لهم ، لأن أحدا غيره من قادة المسلمين لم يصل إلى تلك الأماكن منذ وفاة عمرو بن عبيد الله الأقطع .

غير أن سيف الدولة لم يستطع مواصلة غزواته فى الأراضى البيزنطية بعد

= ابقاع ما أرادوه واختاروه لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظر علينا دين ولا سياسة » .

وكان محمد بن طغج الاخشيد قد تقلد إمارة مصر والشام فى سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م خلفا لأحمد بن كيغلغ أنظر : الهمدانى : المصدر السابق ص ٢٩٨

(١) ابن ظافر : المصدر السابق حوادث سنة ٣٢٨هـ ويلاحظ أن ابن ظافر ذكر وقوع تلك الحادثة فى سنة ٣٢٨هـ — ٩٤٠م لكن الهمدانى الذى أشار إليها باختصار ذكر بأن أخبار انتصار سيف الدولة وصلت بغداد فى مستهل المحرم سنة ٣٢٨هـ مما يقطع بأن المعركة حدثت أواخر سنة ٣٢٧هـ . انظر الهمدانى المصدر السابق ص ٣٢٠ ،

Canard, Histoire de la dynastie ... p. 744—746

انتصاره فى كولونيا بسبب اشتراك الأمراء الحمدانيين فى الصراع على السلطة فى بغداد ، وقد أسهم سيف الدولة بنصيب وافر فى ذلك الصراع الذى استمر قرابة ثلاث سنوات تنقل خلالها سيف الدولة بين بغداد وواسط وتكريت وحران والموصل حتى تمكن من الاستيلاء على حلب سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م وبدأ مرحلة جديدة من النضال ضد البيزنطيين[١] .

وفى الوقت الذى كانت الخلافة العباسية مشغولة فيه بصراعاتها الداخلية أصبحت الظروف السياسية والعسكرية للامبراطورية البيزنطية مواتيـــة لاستئناف هجماتها على الجبهة الإسلامية ، ففى الشمال كانت العلاقات ودية مع البلغار منذ وفاة سيمون سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م . كما فشل الهجوم الذى شنه الأمير الروسى إيجور Igor سنة ٣٢٩ هـ/ ٩٤١ م ونقل بسببه كوكواس من جبهة القتال ضد المسلمين لمواجهة الروس فى شواطىء بيثينيا[٢] ، وعلى ذلك أصبح فى إمكان البيزنطيين مهاجمة الجزيرة ، فأغاروا على أرزن وميافارقين ودارا عام ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م[٣] وسبوا عددا من السكان ، كما حاصر البيزنطيون الرها فى نفس العام ولم ينسحبوا إلا بعد أن حصلوا على المنديل المقدس الذى يقال بأنه يحمل صورة السيد المسيح والمحفوظ فى بيعتها مقابل إطلاق سراح عدد من أسرى المسلمين[٤] ، وفى العام التالى هاجم البيزنطيون رأس

---

(١) الهمدانى : المصدر السابق ص ٢٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ .

(٢) Obolensky, op. cit., p. 187-188; Levtchenko, op. cit., p.184

(٣) الصولى : أخبار الراضى والمتقى ص ٢٣٢ — ٢٣٣

(٤) يحيى بن سعيد الانطاكى : تكملة كتاب التاريخ المجمـــوع على التحقيق والتصديق ج ١ ص ٩٨ — ٩٩ ،

Canard, Histoire de la dynastie ... p. 748-751.

وذكر مؤلف صلة ثيوفان أن سكان الرها هم الذين طلبوا من البيزنطيين الانسحاب مقابل تسليم المنديل : انظر :

Theophanes Contin., p. 432

وتذكر الأساطير عن المنديل المشار إليه أن أبجر Abgar ملك أرمينيا =

العين(١)، وبذلك وصلت القوات البيزنطية في تقدمها حتى قلب إقليم الجزيرة، كما ترتب على هذه الهجمات أن كثيرا من المدن الإسلامية في تلك المنطقة قد أصبحت في وضع شبه مستقل — مثل الرها وحران وساروج — ودخلت في علاقات سلمية مع البيزنطيين(٢).

غير أن الانتصارات التي أحرزها كوركواس في القتال ضد المسلمين جعلت منه بطل الموقف في بيزنطه، وأزعجت شعبيته الحكومة البيزنطية فعزل من منصبه(٣)، كذلك فإن الإمبراطور رومانوس ليكابينوس خلع عن العرش، وتولى الإمبراطور الشرعي قسطنطين السابع الحكم بمفرده من سنة ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م حتى وفاته سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩(٤).

أما في الجانب الإسلامي فان معز الدولة بن بويه استطاع السيطرة على بغداد والاستئثار بالسلطة عام ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م، وعزل الخليفة المستكفي وولى مكانه المطيع لله(٥)، هذا في الوقت الذي كان ناصر الدولة الحمداني قد تولى حكم الموصل منذ سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م(٦)، كما استطاع سيف الدولة الحمداني تثبيت نفوذه في حلب سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٤ م بعد حروب مع

= « ٤ ق م — ٥٠ م » أرسل إلى السيد المسيح يدعوه للحضور إلى مدينته، فأرسل له المسيح رسالة ومنديلا مسح به وجهه فانطبعت صورته أنظر :

Jones W. R. « The legend and letters of Abgar king of Armenia» in Armenian Review 28 XXVIII 1975 pp. 39—44 ; Jenkins Byzanium ... p. 247.

(١) الصولي المصدر السابق ص ٢٥١، الهمداني : المصدر السابق ص ٣٤٣

(٢) Canard, Histoire de la dynastie ... p, 751

(٣) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, vol I p. 306—307

(٤) Levtchenko, op. cit., p. 185

(٥) مسكويه : المصدر السابق ص ٨٦ — ٨٧

(٦) الهمداني : المصدر السابق ص ٣٤٢

الأخشيديين[1] ، فوقع عبء الجهاد ضد البيزنطيين على عاتقه سواء في منطقة الجزيرة أو أرمينيا أو الشام، فلما توفى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م ضعفت أمارة حلب بعده حتى أن قرعويه الوصى على سعد الدولة — ابن سيف الدولة — دخل فى اتفاق مع البيزنطيين ، وأصبحت حلب فى عهــده تقع تحت الحماية البيزنطية[2] ، فتمكن البيزنطيون عندئذ من العمل بحرية فى منطقة الجزيرة وأرمينيا .

(١) ابن العديم : زبده الحلب من تاريخ حلب ج ١ ص ١٢٠.
(٢) نفس المصدر ص ١٦١ - ١٦٩.

حملات الإمبراطور ابن الشمشقيق على الجزيرة :

عقب وفاة الإمبراطور قسطنطين السابع سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م تولى ابنه رومانوس الثانى الحكم ، فتم فى عهده فتح جزيرة كريت الإسلامية على يد القائد البيزنطى نقفور فوقاس سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، ثم استطاع نقفور أن يستولى على الحكم فى القسطنطينية وواصل الحرب ضد المسلمين بنفس الجهد الذى بذله من قبل الإمبراطور رومانوس ليكابينوس والقائد حنا كوركواس وفى حين كان كوركواس يعمل بصفة رئيسية فى الشمال والوسط من جبهة القتال مع المسلمين إذ كان التهديد صادرا من ملطية ، فان جهود نقفور فوقاس تركزت فى القطاع الجنوبى من الجبهة — ناحية قيليقيا وطرسوس وحلب وأنطاكية — نظرا لأن التهديد الإسلامى فى عصر نقفور فوقاس جاء من ناحية حلب[1] .

ولم يلبث نقفور فوقاس أن قتل ضحية مؤامرة فى القصر الإمبراطورى دبرتها زوجته ثيوفانو بالاشتراك مع ابن الشمشقيق قائد ثغر أعالى العراق فى سنة ٣٥٩ هـ/٩٦٩م الذى استولى على الحكم وأعلن إمبراطورا فى نفس العام[2] ومما يذكر أنه عند اعتلاء ابن الشمشقيق العرش كان المد البيزنطى ضد المسلمين فى الشرق قد وصل إلى ذروته . ذلك أن سقوط كريت فى يد البيزنطيين سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م أدى إلى تركيز الجهد العسكرى البيزنطى فى أماكن أخرى ، فعلى جبهة قيليقيا سقطت طرسوس سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥ م على يد نقفور فوقاس وفى نفس العام سقطت قبرص وانفرد البيزنطيون بالسيادة عليها بعد أن تحولت إلى ثغر بيزنطى ، كما سقطت أنطاكية أيضا سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م ، أما

---

(١) Jenkis, Byzantium ... pp. 275—279

(٢) Enno Franzius, History of the Byzantins Empire p. 240-241

حلب فقد أصبحت — كما سبق القول — فى عهد خلفاء سيف الدولة محمية بيزنطية[١] .

وتحددت أهداف حملات ابن الشمشقيق العسكرية على الأراضى الإسلامية فى المحافظة على فتوحات تقفور فوقاس من قبل ، والتصدى لزحف الفاطميين من مصر إلى الشام[٢] ثم إخضاع الأمراء الحمدانيين فى الموصل ، وتقليص نفوذهم إلى درجة التبعية كما حدث بالنسبة لحلب، مما يسمح للامبراطور بتوجيه ضربة قاتلة للخلافة العباسية فى بغداد[٣] .

ولم يستطع الإمبراطور ابن الشمشقيق فى بداية حكمه توجيه جهوده نحو جبهة القتال ضد المسلمين ، فمن ناحية وقع هجوم روسى جديد فى البلقان ومن ناحية أخرى أعلن القائد برداس فوقاس الثورة ضد الإمبراطور[٤] فلما تمكن ابن الشمشقيق من التغلب على تلك المصاعب نقل قواته من البلقان للعمل على الجبهة ضد المسلمين[٥] .

وكانت الظروف السياسية والعسكرية فى الجانب الإسلامى مواتية لابن الشمشقيق لكى يحقق أهدافه ، فأبناء ناصر الدولة الحمدانى فى الموصل كانوا منذ سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م فى شقاق وحروب فيما بينهم وخاصة بعد أن قبض

---

(١) Jenkins, Byzantium, p. 278—279

(٢) وكان القائد الفاطمى جعفر بن فلاح قد استولى على دمشق سنة ٣٥٩ هـ /٩٦٩م ثم أرسل جيشا لفتح أنطاكية سنة ٣٦٠ هـ/٩٧٠ م ، أنظر الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٨ — ١٣٩ .

(٣) Camb, IV, I, p. 163

(٤) Vasiliev : op. cit. vol. I, p. 310 .

(٥) Canard , « La date des expeditions mesopotamiennes des jean Tzimisces » in Annuaire, Tome X 1950,—p. 99—100
وكان الأمير الروسى سفاتسلاف قد اجتاح بلغاريا ثم هاجم الأراضى البيزنطية ، وعن تلك الحرب انظر :
Obolensky, op. cit. p. 128—130 ; Camb., IV, I, pp. 157—163

أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وحبسه فى قلعة ثم استولى على الحكم ، أما فى بغداد فقد كان الوزير عز الدولة بختيار مشغولا هو الآخر فى قتال الفرق العسكرية الأخرى من الأتراك والديلم[١] .

وكانت الحملة الأولى التى قادها الإمبراطور البيزنطى بنفسه موجهة ضد منطقة ديار ربيعة بالجزيرة حيث هاجم فيها نصيبين أواخر سنة ٣٦١هـ/٩٧١م فقتل كثيرا من سكانها ، وظل بها إلى أوائل عام ٣٦٢ هـ / ٩٧١ م ، ولم يجد البيزنطيون مقاومة منتظمة فى المدينة ، فقد قبض أبو تغلب بن ناصر الدولة على حاكمها محمد أبى الفوارس — وهو شقيقه — واعتقله عام ٣٦٠ هـ ٩٧٠ م ولما خشى أبو تغلب أن يتجه البيزنطيون من نصيبين إلى الموصل نفسها أسرع وأرسل إلى الإمبراطور الأموال مقابل انصرافه عن نصيبين وعقد هدنة بين الطرفين[٢] ، ومع ذلك فان ابن الشمشقيق اتجه إلى ميافارقين فى ديار بكر ، لكنها قاومته فانسحب من أمامها عائدا إلى بلاده ، وترك مليح الأرمنى قائدا لمنطقة الشرق[٣] .

وعلى أثر هجوم ابن الشمشقيق أسرعت وفود من سكان مناطق ديار بكر ، وديار ربيعة بالذهاب إلى بغداد ، وطالبت الخليفة المطيع بالقيام بواجب الجهاد فوعدهم أمير الأمراء بختيار البويهى بتحقيق ذلك ، وأخذ فى إعداد العدة وجمع الأموال لكنه لم يقم بالغزو كما وعد[٤] .

وأراد مليح الأرمنى أن يستكمل غزو الجزيرة ، فقاد جيشه من معسكره فى بطن هنزيط إلى آمد بديار بكر ، فتصدى له حاكمها هزارمرد وانضم إليه

(١) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٣٨ — ٢٣٩ ، ٢٥٤ ، ٢٩١ ، ٣٠٣

(٢) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٩ — ١٤٠ ، الهمدانى : المصدر السابق ص ٤٢٨

(٣) يحيى بن سعيد الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٠ ،
Canard, Histoire de la dynastie des Hamdanides, p, 841.

(٤) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ٣٠٣ — ٣٠٧

هبة الله بن ناصر الدولة ، وقد أوقع الإثنان الهزيمة بمليح وأسراه فى شهر شوال سنة ٣٦٢ هـ / يوليه سنة ٩٧٣ م حيث ظل محبوسا عنـد أبى تغلب فى الموصل إلى أن مات فى العام التالى[١] .

أما الحملة الثانية التى قام بها ابن الشمشقيق على منطقة الجزيرة فكانت بقصد الانتقام لموت مليح الأرمنى ، الذى أرسل وهو فى الأسر إلى الإمبراطور رسالة يحمله فيها مسئولية الأسرى الذين ماتوا فى أراضى الأعداء مالم ينتقم الإمبراطور لهم[٢] وقد وجد ابن الشمشقيق قبل القيام بحملته الثانية أن من الضرورى الإعداد لها جيدا ، لذلك اتجه أولا إلى أرمينية ، وحصل من ملكها آشوت الثالث على مساعدة عسكرية تتكون من فرقة من عشرة آلاف رجل أرمنى بكافة أسلحتهم، فضلا عن المؤن التى يحتاجها[٣] ثم زحف الإمبراطور البيزنطى على الجزيرة عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م ، فلم يجد مقاومة أمامه لأن أبا تغلب الحمدانى كان مشغولا بالحرب ضد عز الدولة بختيار[٤] ، فلما وصل

---

(١) الهمدانى : المصدر السابق ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ ، الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٠ ، وفى روايته أن المعركة كانت فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) Camb., IV 1, p. 165

ولم تذكر المصادر العربية شيئا عن حملة ابن الشمشقيق الثانية على منطقة الجزيرة واعتمد جريجوار فى سردها على متى الرهاوى وليو الشماس . علما بأن رواية ليو الشماس ليست دقيقة فهو لم يذكر مثلا المساعدة الأرمنية لابن الشمشقيق ويبدو أن ليو قد التبست عليه أحداث حملة ابن الشمشقيق الأولى سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م مع الثانيـة فذكر أحداثهما معا على أنها حملة واحدة . انظر :

Leo diacon, Historiae, p. 161—163

(٣) Grousset, Histoire des Croisades, vol. I, p. XVI-XVII,

د . عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٦٤

(٤) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ٣١٥ ـ ٣٢٣

Canard, Histoire de la dynastie ... p. 843.

ابن الشمشقيق إلى مدينة نصيبين وجدها مهجورة من سكانها ، فقد خشوا أن تلحقهم المعاملة التى أصيبوا بها من قبل فى حملة سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م ، ومع أن الطريق كان مفتوحا أمام الإمبراطور البيزنطى لاكتساح الجزيرة كلها ، إلا أنه اضطر إلى قطع حملته والتخلى عن فتوحاته ، وقرر العودة سريعا إلى القسطنطينية للاعداد لحملة ثالثة بعد أن بلغته أخبار تهديد الفاطميين لأنطاكية[١] .

(١) يذكر ليو الشماس أن الامبراطور كان باتجاه همدان ولكنه تراجع بسبب القحط ونقص المؤن بعد أن وجد الامبراطور نفسه فى صحراء جرداء ليس بها مياه وتسمى Carmantis لكن خطاب ابن الشمشقيق فى العام التالى إلى أشوت الثالث ملك أرمينيا يكشف أن الخطر الفاطمى على الشام لاسيا أنطاكيه كان هو السبب وراء أنسحاب ابن الشمشقيق ، والمعروف أن الفاطميين فى ذلك الوقت كانت لهم السيادة على دمشق وطرابلس وصيدا وبيروت . أنظر :

Leo diacon, op. cit., p. 162 ; Camb., I, IV p, 169 :

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٤ ، ١٤٢ .

الإمبراطور باسيل الثانى والبويهيون فى بغداد :

ولم يلبث الإمبراطور إبن الشمشقيق أن توفى سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م عقب عودته من حملته العسكرية على بلاد الشام وخلفه على العرش الإمبراطور باسيل الثانى ٣٦٥ هـ — ٤١٦ هـ / ٩٧٦ م — ١٠٢٥ م [1] . فتوترت العلاقات فى عهده مع البويهيين فى بغداد بسبب لجوء الثائر البيزنطى بردلس سكليروس إلى عضد الدولة البويهى ، وكان ذلك الثائر قد تحالف من قبل مع أبى تغلب الحمدانى فى الموصل كى يساند كل منهما الآخر ضد خصمه ؛ فيساعد بردس سكليروس أبا تغلب ضد البويهيين ، فى حين يساعد أبو تغلب الثائر البيزنطى ضد باسيل الثانى [2] — فلما هزم بردلس سكليروس أمام القوات الإمبراطورية سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٩ م [3] ، فى الوقت الذى كان عضد الدولة البويهى قد استولى على الموصل وطرد منها أبا تغلب الحمدانى ، لم يجد الثائر البيزنطى مفرا من طلب الأمان من عضد الدولة البويهى واللجوء إلى بغداد [4] فأسرع الإمبراطور باسيل بمراسلة عضد الدولة من أجل القبض على بردلس سكليروس وتسليمه مقابل إطلاق سراح الأسرى المسلمين المحتجزين فى الأراضى البيزنطية ، إلا أن عضد الدولة أراد الاستفادة من ذلك الحادث باسترجاع بعض الحصون الهامة التى سبق أن استولى عليها البيزنطيون فى منطقة الجزيرة [5] ، وتأكيد سيادة البويهيين على إمارة حلب [6] ولما فشلت المفاوضات

---

(١) Enno Franzius, op. cit., pp. 248—250

(٢) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،
الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٧ — ١٥٨

(٣) Levtchenko, op. cit., p. 191

(٤) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٨

(٥) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٦) Canard, Histoire de la dynasie.. p. 847

بين الجانبين سعى سفير باسيل الثانى فى بغداد إلى قتل برداس سكليروس ، إلا أن المؤامرة اكتشفت فقبض عندئذ على السفير وصودرت أمواله ، بينما ظل برداس معتقلا فى بغداد حتى وفاة عضد الدولة البويهى[١] .

ولما تولى صمصام الدولة زمام الأمور فى بغداد — خلفا لوالده عضد الدولة — أراد الاستفادة من هزيمة باسيل الثانى أمام البلغار سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م بإثارة حرب أهلية داخل الامبراطورية فى تلك الفترة الفترة الحرجة[٢] وعلى ذلك أطلق صمصام الدولة سراح برداس سكليروس ، وزوده بالمال والعتاد واشترط عليه شروطا منها إعادة سبعة من الحصون الهامة التى سبق أن استولى عليها البيزنطيون فى منطقة الجزيرة ، وعدم مواجهة الأراضى الإسلامية[٣] ، وما أن دخل سكليروس الأراضى البيزنطية حتى أعلن الثورة ، وارتدى الزى الامبراطورى واستولى على الاناضول إلا أن ثورته فشلت فى نهاية الأمر واستسلم للامبراطور باسيل[٤] .

على أن البويهيين قد اعتراهم الضعف منذ أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى بسبب المنازعات والحروب بين امرائهم[٥] ، فضعف سلطانهم على منطقة الجزيرة ، واستطاع البيزنطيون عندئذ فرض الحماية على الأمارات

---

(١) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،
الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٩

(٢) عن هزيمة باسيل الثانى على يد البلغار أنظر :
Obolensky : op. cit., p. 131—132

(٣) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٦ — ١٦٧
وقد أورد القلقشندى نص الاتفاقية بالتفصيل أنظر :
القلقشندى : صبح الاعشى ج ١٤ ص ٢٠ — ٢٤

(٤) **Enno Franzius, op. cit., p : 252-253**

(٥) عن الحروب بين أبناء البيت البويهى أنظر :
الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧١

الجديدة التى نشأت فيها مثل إمارة العقيليين فى الموصل والمروانيين فى ديار بكر[1] ومن ناحية أخرى فان قوة الخلافة الفاطمية ونفوذها فى بلاد الشام أجبر البيزنطيين على التعامل معها على أنها القوة الرئيسية فى العالم الإسلامى آنذاك ، ودعى للخليفة الفاطمى العزيز بالله فى مسجد القسطنطينية[2] ، وفى ظل الأوضاع المنهاره فى بغداد ومنطقة الجزيرة أستطاع البيزنطيون الاستيلاء على الرها سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٢ م[3] ، ولم يلبث أن أدى ضعف البويهيين فى بغداد فى عهد الملك الرحيم ٤٤٠ — ٤٤٧ هـ / ١٠٤٨ — ١٠٥٥ م إلى سيطرة أحد قادة الترك وهو البساسيرى على الأمور فى بغداد وقد سعى البساسيرى لازالة الخلافة العباسية والدخول فى طاعة الخلافة الفاطمية ، فاضطر الخليفة العباسى القائم بأمر الله إلى الاستنجاد بطغرلبك زعيم السلاجقة الذى دخل بغداد وقضى على البساسيرى ثم فرض الحماية على الخلافة العباسية منذ ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، فبدأ بذلك عصر جديد فى العلاقات مع البيزنطيين رجح فيه ميزان القوى لمصلحة المسلمين[4] .

---

(١) Cahen, C., La Syrie du Nord à l'Epoque Croisades, p. 177

وقد أسس إمارة المروانيين فى ديار بكر أبو على الحسن بن مروان سنه ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م الذى عقد معاهدة مع البيزنطيين لمدة عشر سنوات ثم جددها خلفاؤه فيما بعد. أما إمارة العقيليين فقد أسسها محمد بن المسيب أبو الذواد العقيلى فى الموصل سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م . أنظر :

الفارقى : تاريخ الفارقى ص ٥١، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٥، ٦٦، ٧٢، ١١٠

(٢) د. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٦٨ ،

Camb., IV, I. p. 724.

(٣) يحيى الانطاكى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٦٣

(٤) الفارقى : المصدر السابق ص ١٥٢ — ١٥٧ ،

د. عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ٨٠ ، ٨١

الفصل الثالث

العلاقات بين الدولة البيزنطية

وجزيرة كريت الإسلامية

* فتح المسلمين للجزيرة واستقرارهم بها .
* الحملات البيزنطية على كريت فى عهد الامبراطور ميخائيل الثانى .
* حملة فوتينوس — حملة كراتيروس — حملة أووريفاس .
* هجمات مسلمى كريت على الجزر والشواطىء البيزنطية .
* السياسة البيزنطية ضد كريت فى عهد الامبراطور ميخائيل الثالث :
حملة ثيوكتستوس — الهجوم البيزنطى على دمياط لقطع الامدادات والأسلحة عن كريت — استئناف الهجمات الكريتية على الجزر والموانى البيزنطية فى أثناء حكم باسيل الأول المقدونى .
* جهود الامبراطور ليو السادس ضد كريت :
حملة همريوس .
* الحملات البيزنطية فى عهد الامبراطور قنسطنطين السابع :
حملة قنسطنطين جونجيلس .
* استعادة الامبراطور للجزيرة فى عهد الامبراطور رومانوس الثانى :
حملة نقفور فوقاس — نتائج استعادة البيزنطيين لجزيرة كريت .

فتح المسلمين للجزيرة واستقرارهم بها :

تمتاز جزيرة كريت بموقع جغرافى هام ، فهى تقع على مفترق الطرق البحرية التى تصل الغرب بالحوض الشرقى للبحر المتوسط وبحر أيجه بمصر[1] ولم تغب أهمية موقع الجزيرة عن المسلمين فحاولوا فتحها فى أثناء الغزوات الإسلامية فى العصر الأموى ثم فى العصر العباسى[2] إلا أنه لم يترتب على تلك الغزوات الأولى هجرات عربية إلى كريت إذ يبدو أن تلك الغزوات كانت لمجرد أظهار القوة البحرية الإسلامية ندا ومنافسا خطيرا للبحرية البيزنطيه .

وفى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) استطاع المسلمون السيطره على جزيرة كريت ، وظلت تحت حكمهم نحو مائة وثلاثين عاما ، كانت خلالها قاعدة أماميه من قواعد الجهاد الإسلامى وقامت بدور مشرف فى النضال ضد الامبراطورية البيزنطية حتى سقطت وهى مثخنه بالجراح ، بعد أن أحكم العدو الحصار عليها دون أن تجد صدى لإستغاثتها من القوى الإسلامية الأخرى .

وتجمع غالبية المصادر العربية التى تحدثت عن الفتح الإسلامى لجزيرة كريت فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) على أن الفاتحين المسلمين كانوا من أهل الربض فى قرطبة الذين ثاروا فى وجه أميرهم الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦هـ / ٧٩٦ - ٨٢٢ م لفساد سيرته وحكمه الجائر ، وأن هؤلاء الثائرين قد تشتتوا فى البلاد الإسلامية بعد طردهم من قرطبه ، فذهب فريق

---

(١) Helene Ahrweiler, L'administration militaire de la Crete Byzantine, in Byzantion XXXI 1961-P. 217.

(٢) قال البلاذرى فى فتوح البلدان «وغزا جناده إقريطش، فلما كان زمن الوليد فتح بعضها ثم أغلق . وغزاها حميد بن معيوف الهمدانى فى خلافه الرشيد ففتح بعضها » أنظر فتوح البلدان ق ١ ص ٢٧٩ .

منهم إلى فاس فى حين وأصل فريق آخر سيره إلى الاسكندرية وتغلبوا عليها(١). فلما تمكن عبد الله بن طاهر قائد جيش الخليفة المأمون من طردهم ٢١٠ هـ/٨٢٥م — إتجهوا إلى كريت(٢).

وتتفق المصادر البيزنطية والمصادر العربية على أن غزو كريت مصدره المسلمون الأسبان ، لكنها تختلف فى طريقة الإستيلاء على الجزيرة ، إذ ترى المصادر البيزنطية أن الغزاة أتوا من أسبانيا مباشرة إلى كريت دون أن يمروا بالاسكندرية . فملخص رواية المؤرخين البيزنطيين أن المسلمين الأسبان المزاد عددهم ووجدوا أن أراضيهم غير خصبة ، ولا تكفى لمعيشتهم طلبوا من قائدهم أبى حفص أن يبحث لهم عن سكن وأرض جديدة فجهز ذلك الأمير السفن اللازمة ، ومن غـــير أن يكشف عن نواياه أتجه إلى الجزر الشرقية التابعة للامبراطورية البيزنطية للاستطلاع والبحث عن جزيرة تصلح مستعمره لجماعته ، وقد مرت تلك السفن على جزر كثيرة دون أن تلقى مقاومة ، لأن جميع حامياتها ذهبت لمساعدة الثائر البيزنطى توماس الصلافى فلما وصل أبو حفص إلى كريت قال لرجاله : هاهى الأرض التى تدر لبنا وعسلا ، ثم شحن سفنه بالغنائم وعاد إلى وطنه ، وفى العام التالى جهز أبو حفص أربعين مركبا عليها رجال أقوياء ، وأتجه إلى الجزيرة حيث نزل على شاطئها ، وتمركز على تل خاراكس (Charax) وبعد أن أرسل رجاله للاستطلاع والغزو داخل الجزيرة أحرق السفن فلما استاء رجاله من ذلك العمل خوفا على نسائهم وأطفالهم الذين تركوهم فى وطنهم وعدهم أبو حفص بالزواج من الكريتيات(٣) .

---

(١) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٢١٩ — ٢٢١ ، ابن الخطيب (لسان الدين) كتاب أعمال الأعلام ص ١٥ — ١٦ ،

Scott, S. P. History of the Moorish Empire in Europe, vol. I, P. 467.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٦٢٣ .

(٣) Theophanes Continuatus, pp. 73 — 76 Cedrenus, Historiarum Compendium Tom. II pp. 91—93, Genesius, Basileiai pp. 46-47. Zonaras, Epitomeae historiarum, Tom. III, pp. 347-348.

غير أن هذه المصادر العربية والبيزنطية تكشف عن إختلاف آخر يتمثل في تاريخ استيلاء المسلمين على الجزيرة ، فطبقا للمصادر البيزنطية يكون الاستيلاء قد تم في الفترة بين ٢٠٦ — ٢٠٨هـ ، ٨٢١ — ٨٢٣م وهي فترة ثورة توماس السلافي ، في حين تذكر المصادر العربية أن عبد الله ابن طاهر قد طرد الأندلسيين من الاسكندرية في الفترة بين سنة ٢١٠ — ٢١٢هـ / ٨٢٥ — ٨٢٨م[1] ، وتبعا لذلك إختلف المؤرخون المحدثون[2] .

وبرغم تلك الاختلافات يمكن الجمع بين وجهتي النظر العربية والبيزنطية ، فالأندلسيون كانوا يغزون في شرق البحر المتوسط قبل فتح كريت ، ففي إشارة للمؤرخ الكندي أن سفن الأندلسيين كانت موجودة بالاسكندرية سنة ٢٠٠هـ / ٨١٦م للمتاجرة بعد أن عادت من الغزو[3] ولما كانت حوادث فتنة الربض ضد الحكم قد بدأت منذ عام ١٨٩هـ/٨٠٤م — وانتهت سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م ،[4] وأن أهل الربض قد تفرقوا على أثرها في بعض البلاد وأستوطنوها ، فليس هناك مايمنع من حدوث محاولات لغزو كريت حتى من قبل حدوث ثورة توماس السلافي سنة ٢٠٥هـ / ٨٢١م ، وإذا كانت تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح فإنها كانت على الأقل حملات إستطلاعيه ساعدت على نجاح الغزو فيما بعد ، فلما حدثت فتنه الربض والهجره الكبرى لسكانه سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م أتاح ذلك للغزاة الأندلسيين في شرق البحر المتوسط أمكانيات بشرية لم تكن

(١) الطبري : المصدر السابق ج ٨ ص ٦١٣ ، اليعقوبي : تاريخه ج ٢ ص ٤٦١ .

(٢) من المؤرخين المحدثين من يرى أن الفتح قد تم سنة ٨٢٣ م ومنهم من يرى أنه تم سنة ٨٢٥ م وفريق ثالث يرى أنه حدث سنة ٨٢٨ م . انظر :

Finlay, History of Greece vol. II p. 135; Oman : The dark ages, p. 484 ; Ahrweiler, Byzance et la Mer p. 39—40; Enno Franzius, History of the Byzantine Empire p. 163.

د . اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ص ٤١ — ٤٢ .

(٣) الكندي : كتاب الولاه ص ١٥٨ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ٧١ — ٧٧ .

متوفره بكثرة لديهم من قبل، فأكثروا من محاولاتهم غزو الجزيرة حتى تمكنوا من ذلك بعد جلاء الأندلسيين جميعا من الاسكندرية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م[1] وهكذا يكون من الممكن قبول رواية المصادر البيزنطية على أنها بداية أو محاولة للفتح ، كما يمكن قبول رواية المصادر العربية على أنها نجاح له بالاستقرار النهائي للاندلسيين فى كريت كما يمكن القول أيضا أن المسلمين الذين فتحوا الجزيرة كانوا خليطا من الغزاة البحريين الأندلسيين وثوار حى الربض بقرطبه الذين وفدوا إلى الاسكندرية[2] وساعدهم على إتمام عملية الفتح تدمير معظم أساطيل الجزر البيزنطية فى أثناء ثورة توماس السلافى ، حتى بلغ مادمر من تلك الأساطيل أمام القسطنطينية بواسطة الأسطول الأمبراطورى ٣٥٠ سفينه[3] .

وهناك ملاحظة مهمة على الاتفاقية التى عقدها عبد الله بن طاهر مع هؤلاء الأندلسيين ، وهى سرعة موافقتهم على الرحيل من الاسكندرية بعد أن ظلوا بها حوالى عشر سنوات إلى أرض أعداء من المتوقع حدوث مقاومة شديدة منهم ، فى الوقت الذى لم يكن بإستطاعته هؤلاء الاندلسيين العودة إلى قرطبة مرة أخرى ، فهناك احتمال وجود إتفاق خاص بين عبد الله بن طاهر وهؤلاء الاندلسيين على إتمام فتح كريت ، لاسيما أن العلاقات العباسية البيزنطية كانت فى تلك الفترة عدائية[4] . ومما يرجح ذلك الاحتمال أن الاندلسيين الفاتحين

(١) اختلف المؤرخون فى عدد الأندلسيين الذين وفدوا إلى الاسكندرية فاليعقوبى ذكر أن عددهم زهاء ثلاثة آلاف ، وابن الخطيب أشار إلى ضخامة العدد عندما قال إن الحكم بن هشام قتل من أهل الربض أكثر من عشرة آلاف وأجلى عن قرطبة أضعاف ذلك وأن آلافا منهم استقرت فى الاسكندرية ، ومن المؤرخين المحدثين من قدر عددهم بخمسة عشر ألفا دون حساب النساء والأطفال انظر : اليعقوبى : المصدر السابق ج ٣ ص ٤٤٦ ، ابن الخطيب المصدر السابق ص ١٦ ،

Ahrweiler, Byzance et la Mer. pp. 38-39.

(٢) د . اسمت غنيم المرجع السابق ص ٢٧ — ٣٨

(٣) Ahrweiler : op. cit., p. 39.

(٤) انظر الفصل الأول

لكريت دانوا بالتبعية للخلافة العباسية فيما بعد حتى زوال دولتهم سنة ٣٥٠هـ ٩٦١ م[١] كما كان التعاون وثيقا بين كريت وكل من مصر وطـــرسوس ، وكلاهما كان تابعا للخلافه العباسية .

عقب نزول المسلمين فى أحد التلال على الجزيرة أحاطوه بشبكة كثيفة من الأخشاب تكفى لحمايتهم، لذلك أطلق على ذلك المكان إسم «خاراكس Charax» أى الجدار ثم أن أحد الرهبان دل الغزاه المسلمين على مكان آمن حفر حوله خندقا فسميت عاصمتهم بعد ذلك باسم الخندق « كانديا Chandax » ثم تولى أبو حفص رئاسة الخندق وأخضع تسعة وعشرين مدينة من مدن كريت ، وبقيت مدينة واحدة سمح لاهلها بممارسة شعائرهم الدينية المسيحية[٢] .

والواقع أن إرشاد الراهب للمسلمين الفاتحين عن المكان الآمن الذى أقيمت فيه عاصمة الجزيرة يدل بوضوح على كراهية رجال الدين الكريتيين للبيزنطيين ، فسكان الجزيرة كانوا بوجه عام من المؤيدين لعبـــادة الصور ، ومخالفين بذلك رأى الامبراطور فى القسطنطينية ، مما زعزع إخلاص أهل كريت لحكامهم ودفعهم إلى الترحيب بمسلمى أسبانيا[٣] .

ويبدو أن الفاتحين المسلمين قد استقروا فى بـــداية الأمر على الشاطىء الجنوبى من جزيرة كريت لقربه من الإسكندرية وهو على عكس الروايات المتواترة عند بعض المؤرخين المحدثين من أن الاستقرار الأول لهؤلاء الفاتحين

---

(١) النعمان : المجالس والمسايرات . مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٦٠ ج ٣ ق ٢ لوحة ٤١٢ ، ٤١٦ ، د . اسمت : المرجع السابق ص ٤٥

(٢) وهذه المدينة هى كيدونيا (cydonia)وقد سماها المؤرخ البيزنطى جنزيوس (Hypologi) — أى مدينة الاتفاق . أنظر :

Combes, P., L'ile de Crete p. 40, Genesius, op. cit., p. 47.

(٣) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ص ١٧٠

مكان فى خليج سودا (Suda Bay) الذى يقع فى الشمال الغربى من الجزيرة [١].

ومن الجدير بالذكر أن غالبية المؤرخين الأوربيين المحدثين قد درجوا على وصف المسلمين الفاتحــين لجزيرة كريت باسم القراصنة ، وأنه ترتب على استقرارهم بالجزيرة اضطراب المواصلات بين شرق البحر المتوسط وغربه ، مما أدى إلى تدهور النشاط التجارى فى بحر إيجه ، وكان له نتائج فادحة على رخاء سكان هذه الاقاليم [٢] وبالغ المؤرخ كنار canard فى قوله : أن سكان كريت قد افزعوا رهبان جبل اتوس Athos وجبل لاتراس Mt, Latras [٣] إذ لم يعهد فى الفاتحين المسلمين القيام بأى نوع من الأرهاب ضد السكان المحليين ، وعلى وجه خاص رجال الدين ، بل أن المؤرخ فنلاى يذكر أن الامبراطور ميخائيل الثانى كان يخشى أن يفضل رعاياه فى الجزر البيزنطية الحكم الإسلامى على التبعية للحكم البيزنطى [٤] .

وهكذا فإن الأوصاف التى أطلقت على المسلمين فى كريت تحتوى على مغالطات واضحة ، فبالإضافة إلى واجب الجهاد المكلف به المسلمون ، فان الحفائر والاثار المكتشفة فى كــريت أظهرت أن المسلمين أقاموا عقب استقرارهم نظاما سياسيا راسخا قائما على وراثة الحكم ، وكان لهم نظامهم الاقتصادى ونشاطهم التجارى وعملتهم النقديه من الذهب والفضة والبرونز [٥]

(١) Miles, G. « Byzantim and the Arabs relations in Crete and the Aegean area », in D, O. P, N. 18 1964 p. 11, Note : 49.
وعن استقرار المسلمين فى خليج سودا أنظر فازيليف : العرب والروم ص ٥٦ ،
Combes : op. cit., p. 40,

(٢) Ahrweiler, Byzance et la Mer, p. 38, 44, Vasiliev, History of the Byzantine Empire vol. I, p. 279.

(٣) Cambridge Medieval History. vol. IV, p. I, p. 709

(٤) Finlay, op. cit. vol. II, p. 137.

(٥) ومن العملات التى عثر عليها فى كريت عملات برونزية ليست مؤرخة الإصدار ودنانير ذهبية مؤرخة سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م مثل دينار شعيب . أما الدراهم الفضية فقد عثر عليها فى مدينة جوتلاند Gotland ومؤرخه سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م ومضروبه باسم —

« ومع ذلك فان حضارة كريت الإسلامية لم تكن كلها مادية ، فقد وجد فى كريت قاضٍ مسلم ، وعدد من المثقفين الكريتيين من أصل أندلسى ، بل وجد فى كريت بعض الأساتذة الذين يفد إليهم التلاميذ من الأندلس لتلقى لتلقى العلم[١] ومما يشهد على تقدم الصناعة والفنون فى كريت الحلى الذهبية المكتشفة ضمن الحفائر والتى أشار المؤرخ جورج مايلز إلى اثنين منها فضلا عن الغنائم والأسلاب التى استولى عليها نقفور قوقاس عند غزوه للجزيرة سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م والتى عرضت فى موكب النصر بالقسطنطينية[٢] .

= عبد العزيز بن شعيب . وتدل العملات البرونزية التى ضربت فى أماكن كثيرة من كريت على مدى السيطرة الإسلامية على الجزيرة ومن تلك الأماكن : مدينة هراقليون Herakleion. جورتينا Gortyna أفدو avdou فيانوس Vianus على الساحل الجنوبى والقرى الجبلية فى يانودى Yannoudi أنظر : Miles, op. sit .p : 14-16

(١) وعلى سبيل المثال كان فى كريت القاضى الفتح بن العلاء الحميرى ومن المثقفين الكريتيين من أصل أندلسى إسحاق بن سالم وموسى بن عبد الملك ومحمد بن عمر وإسماعيل بن بدر وابنه محمد وحفيده إسماعيل وبعض المثقفين تمسكوا باسم الافريطشى ومنهم محمد ابن عيسى أبو بكر الإقريطشى Miles : op. cit. p. 16.

(٢) أشار المؤرخ جورج مايلز إلى وجود زوجين من الأقراط المحفوظة فى المتحف الوطنى بأثينا والتى عثر عليها فى حفائر كريت عن القرن العاشر الميلادى ، وأحد هذه الإقراط يحمل عبارة بالخط الكوفى (بركة من الله لصاحبته زينب) والآخر لسيدة تسمى عائشة — أما الغنائم التى عرضت فى موكب النصر بالقسطنطينية فاشتملت على المعادن الثمينة والأثواب الموشاه والمطرزة والمنسوجات والجواهر والدروع من كل نوع أنظر : Miles : op. cit., p. 17.

محاولات البيزنطيين استرداد الجزيرة :

أدرك البيزنطيون خطر استيلاء المسلمين على كريت لذلك فكر الإمبراطور ميخائيل الثانى سريعا فى استردادها خاصة بعد أن تخلص من مشكلة توماس السلافى[1] ، وقد وجه الإمبراطور ميخائيل الثانى ثلاث حملات بحرية إلى كريت باءت كلها بالفشل الذريع .

وكانت الحملة الأولى بقيادة فوتينوس Photinus قائد ثغر الأناضول، فذهب ذلك القائد إلى الجزيرة للاستطلاع وجمع الأخبار ، ثم رفع تقريرا إلى الإمبراطور بالموقف العسكرى وطلب منه القوة الكافية لمواجهة المسلمين ، فزوده الإمبراطور بقوة كبيرة وعتاد ضخم، وأرسل له القائد داميان Damian لمساعدته ، لكن تلك الحملة فشلت فى اقتحام الجزيرة ، لأن داميان سقط قتيلا فى المعركة وبدلا من أن يكون عاملا من عوامل النصر كان سببا للهزيمة والفرار، أما فوتينوس فقد هرب بصعوبة إلى جزيرة ديا (Dia) حيث أبلغ الإمبراطور بالهزيمة[2] ،

وبرغم فشل الحملة البيزنطية الأولى لاسترداد كريت فان الإمبراطور ميخائيل صمم على استعادة الجزيرة، فكلف القائد كراتيروس craterus قائد ثغر كيبريوت Kibyrraiat أن يجهز كل ما لديه من سفن حربية ويبحر إلى كريت للقضاء على المسلمين بها، ولما وصل كراتيروس على رأس سبعين سفينة حربية نشب القتال

---

(١) Finlay , op. cit., II p. 136

(٢) Theophanes Contin., pp « 76—77 ; Cedrenus : op. cit., II, p. 93—94.;

د . إسمت غنيم : المرجع السابق ص ٥٣

ويلاحظ أن المؤرخين البيزنطيين لم يحددوا تاريخا دقيقا للحملة ، ويرجح المؤرخ كنار أنها تمت سنة ٨٢٨ م . أنظر : Camb., IV, I, p. 709

من الفجر حتى الغروب، ثم أشار عليه معاونوه أن يناموا طول الليل استعدادا للقتال فى اليوم التالى ، فوافق كراتيروس على ذلك دون أن يتخذ احتياطات الأمن والحراسة ، وفى أثناء الليل تسلل إليهم المسلمون وقتلوا معظم البيزنطيين فى حين تمكن كراتيروس من الهرب على ظهر مركب تجارى ، إلا أن القوات الإسلامية تتبعته وقبضت عليه بالقرب من جزيرة كو Co ثم قتل(١).

وبرغم فشل الحملة الثانية التى أرسلها الإمبراطور ميخائيل الثانى فقد أرسل حملة ثالثة بقيادة أوريفاس Oryphas وتكونت هذه الحملة الجديدة من جيش كبير أطلق عليه اسم الجيش الأربعينى لأن كل جندى بلغ راتبه أربعين قطعة ذهبية ، ولم تكن نتيجة الحملة الثالثة أحسن من الحملات السابقة فعاد أوريفاس دون أن يتمكن من استعادة الجزيرة(٢) .

---

(١) Genesius, op. cit., pp. 48—49; Cedrenus, op. cit., II, pp. 95—97; Zonaras, op. cit., III, pp. 350—351; Symeon Magister, Annales p. 623

ولم يحدد المؤرخون البيزنطيون تاريخ هذه الحملة أيضا ويرجح أنها حدثت سنة ٨٢٨ م : أنظر : Camb , IV, I, q. 709, ،

د : أسمت غنيم : المرجع السابق ص ٥٣ .

(٢) Cedrenus, op. cit., II, p. 97; Symeon Magister : op. cit., p. 624; Genesius, op. cit., p. 50;

د . اسمت غنيم : المرجع السابق ص ٥٥ — ٥٦ . والتسلسل التاريخى يعطى إنطباعا بأن هذه الحملة الثالثة كانت أيضا سنة ٨٢٨م أو أوائل سنة ٨٢٩ م .

هجمات مسلمي كريت على الشواطيء والجزر البيزنطية .

ويستفاد من المصادر البيزنطية أن مسلمي كريت قد بدأوا غزو الجزر البيزنطية المجاورة لهم مثل جزر السكلاديز Cyclad بعد استيلائهم على كريت بفترة قصيرة[1] كما هوجمت مدينة مونمفازيا Monemvasia في جنـــوب شرق البلوبونيز[2] ، ووصل المسلمون أيضا إلى جزيرة إيجينيا Aegina في خليج سارونيك Saronic Gulf — إلى الشرق من خليج كورنثه فهاجر سكان إيجينيا أمام زحف المسلمين[3] ، أما شواطيء البحر الأيوني فهناك إشارات قليلة عن هجمات المسلمين على نيقوبوليس Nicopelis وعلى أمباركيا Ambarkia في أثناء حكم الإمبراطور ميخائيل الثاني « ٨٢٠ — ٨٢٩ م »[4]

وساعد مسلمي كريت على مواصلة هجماتهم الناجحة على الجـزر البيزنطيـة إنشغال الإمبراطور ميخائيل الثاني بالجبهة الجديدة التي فتحها ضده مسلمو شمال أفريقيا الذين بدأوا فتح صقليه منذ سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م فلم يستطع الإمبراطور ميخائيل مواجهة جبهتين في وقت واحد[5] .

وعقب وفاة الإمبراطور ميخائيل الثاني سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م قام المسلمون في كريت بالإغارة على شواطيء آسيا الصغرى فدمروا جزءا من سواحل تراقيا وأسروا عددا من سكان تلك المناطق ووصلوا في تقدمهم حتى جبل لاتروس

---

(١) Monachus, G., Vitae recentiorum imperatorum pp. 789—792; Symeon Magister, op. cit., p. 621.

(٢) Milcs, op. cit., p. 6

وعن موقع مدينة مونمفازيا أنظر :

Gardener, E. A., Greec & the Aegean, p. 176.

(٣) Miles, op. cit., pp. 3—7.

(٤) Ibid., p. 7

(٥) عن فتح صقلية أنظر : ابن عذارى المصدر السابق ج ١ ص ١٠٢ — ١٠٥ .

الشهير بأديرته لكنهم تعرضو للهزيمة على يد قائد ثغر تراقيا[١] . وفى البحر الإيجى أحرز الكريتيون نصرا بحريا كبيرا فى عام ٢١٤ هـ/ ٨٢٩ م ودمروا أسطولا بيزنطيا بالقرب من جزيرة تاسوس Thasos [٢]

وتولى الإمبراطور ثيوفيل العرش البيزنطى سنة ٢١٤ هـ/٨٢٩ م خلفا للامبراطور ميخائيل الثانى ، وقد أدرك منذ بداية حكمه عجزه عن مهاجمة مسلمى كريت ، وعلى ذلك لم يرسل أية حملات بحرية من أجل استرداد الجزيرة فحملات الإمبراطور ميخائيل الثانى الثلاث الفاشلة أضعفت الأسطول البيزنطى هذا بالإضافة إلى انشغال الإمبراطور ثيوفيل بالحرب مع الخلافة العباسية ضد الخليفة المأمون ثم المعتصم[٣] ومما يدل على حرج موقف ثيوفيل اضطراره إلى طلب المعونة من ملك الفرنجة لويس التقى ومن حاكم الأندلس الأمير عبد الرحمن الثانى ضد مسلمى كريت وصقليه[٤] وقد رد أمير الأندلس عليه بلهجة لا تخلو من التهكم وأبدى تعجبه من عجز الإمبراطور عن حفظ ممتلكاته[٥] فانتهى الأمر عند ذلك الحد ولم يرسل ملك الفرنجة أو أمير الأندلس أية مساعدات عسكرية للامبراطور ثيوفيل[٦] .

وواصل المسلمون فى كريت غاراتهم على الجزر البيزنطية فهاجموا فى سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٨ م جزيرة باروس Paros — وهى إحدى جزر مجموعة السكلاديز Cyclades — فى أثناء عودتهم من حملة قاموا بها على لسبوس Lesbos فى شاطىء آسيا الصغرى وكان من بين الأسرى القديس ثيوكتستا Theoctista [٧]

(١) Theophanes Contin. p. 137 ; Vasiliev, Byzance et les Arabes Tome I. p. 89,

د . اسمت : المرجع السابق ٦١ .

(٢) Theophanes Contin : p. 137, Miles, op. cit., p. 9

د . اسمت : المرجع السابق ص ٦٢ .

(٣) عن حروب ثيوفيل ضد الخلافة العباسية أنظر : د . عاشور أوربا العصور الوسطى الجزء الأول ص ٤٠١ – ٤٠٢ .

(٤) Camb., IV, I, p. 103

(٥) د . اسمت : المرجع السابق ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٦) Camb., IV, I, p. 103

(٧) Miles, op. cit., p. 8

السياسة البيزنطية ضد كريت فى عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث :

أعقب وفاة الإمبراطور ثيوفيل سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٢ م تولى ابنه القاصر ميخائيل الثالث مع مجلس وصاية برئاسة الإمبراطورة ثيودورا وباشتراك ثيوكتسوس Theoctistus أحد رجال الدولة البارزين ومانويل خال الإمبراطورة وبرداس شقيقها[١] ، ويبدو أن ثيوكتسوس أراد أن ينال مجدا شخصيا بالقيام بحملة بحرية على كريت ، ربما يستطيع فيها إحراز نصر عسكرى عجز عنه كل من سبقه من القادة ، وشجعه على ذلك هدوء الجبهة العباسية ، وإخماد الثورة التى نشبت فى البلوبونيز منذ أيام الإمبراطور ثيوفيل[٢] .

تولى ثيوكتستوس قيادة حملة بحرية كبيرة فى سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٣ م أبحرت إلى كريت ونجح فى النزول على أرض الجزيرة ، وأحرز نصرا على المسلمين الذين لم يكونوا على علم سابق بتلك الحملة[٣] ، وعلى ذلك تمكن ثيوكتستوس من احتلال جزء من أراضى الجزيرة أقيمت عليه السلطة البيزنطية وعين له استراتيجوس[٤] ، غير أن شائعة عن حدوث ثورة فى القسطنطينية جعلت ثيوكتسوس يغادر الجزيرة ، فهاجم المسلمون الجيش البيزنطى وأعملوا فيه السيوف كما دمروا الأسطول البيزنطى تدميرا كاملا[٥] .

ويبدو أن الخسائر الضخمة التى منى بها الأسطول والجيش البيزنطى فى حملة

---

(١) Finlay, op. cit., II, p. 161.

(٢) Ibid., pp. 165—166.

(٣) Monachus, op. cit., p. 814 ;
د . اسمت غنيم : المرجع السابق ص ٨٦ .

(٤) Ahrweiler, «L'Administration Militaire de La Crete Byzantine,» in Byzantion XXXI 1961 p. 220—221, Camb., IV. I, p. 106, 155

(٥) Monachus, : op. cit., p. 815, Finlay : op. cit. II p. 166;
د . اسمت : المرجع السابق ص ٨٧

ثيوكتستوس قد أقنعت المسئولين البيزنطيين باستحالة هزيمة الكريتيين فى تلك الفترة ، وعلى ذلك وجدت الحكومة البيزنطية أن من الأفضل لها أن تقطع موارد الإمدادات العسكرية عن كريت أولا قبل الشروع فى حملة عسكرية جديدة ومن هنا جاء التفكير فى تدمير مخازن الأسلحة المصرية فى دمياط إذ كانت تمد كريت بما تحتاج إليه من معدات عسكرية[١] مقابل حصول مصر على بعض المواد الغذائية[٢] ، وهكذا هاجم الأسطول البيزنطى دمياط فى ٢٣٨هـ/٨٥٣م وقتل البيزنطيون فى هذا الهجوم عددا من السكان وأسروا عددا آخر فضلا عن استيلائهم على الأسلحة التى كانت جاهزة لإرسالها إلى كريت[٣]. وظهرت آثار الحملة البيزنطية على دمياط واضحة على كريت فقد أصاب الركود نشاط الكريتيين الهجومى على الجزر والموانى البيزنطية لفترة امتدت حتى ٢٤٦هـ/٨٦٠م هذا بالإضافة إلى عامل آخر سبب ذلك الركود وهو الصراع البحرى الذى نشب بين الكريتيين والأغالبة ، وتعرضت فيه أساطيل بارى وكريت لسفن الأغالبة التجارية[٤] .

واستؤنفت الهجمات الكريتية على الشواطىء والجزر البيزنطية منذ سنة ٢٤٦هـ / ٨٦٠م فأغار الأسطول الكريتى على جزر السكلاديز وكذلك جزر البروكونيسوس Proeonnesus فى بحر مرمره[٥] . كما هاجموا جزيرة ميتلين Myitlene سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م ثم جبل آتوس الشهير بأديرته[٦] وفى سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م استطاع الكريتيون تأسيس قاعدة لهم فى جزيرة نيون Neon[٧] .

(١) Camb., IV. I, p. 713.

(٢) النعمان : المصدر السابق جـ ٢ ق ٢ لوحة ٤١٦ ، د. اسمت المرجع السابق ص ٨٨

(٣) الطبرى : المصدر السابق جـ٩ ص١٩٣ — ١٩٥

(٤) أرشيبالد لويس : المرجع السابق ص ٢١٦ ، ٢٧٨ حاشية ٢٥

(٥) Camb., IV, I, p. 713

(٦) Vasiliev, Byzance et les Arabes Tome I, p. 258.

(٧) Miles, op. cit., p. 9

وإزاء اشتداد الغارات الكريتية قررت الحكومة البيزنطية وضع حدلها وتزعم الفكرة القيصر برداس وزير الإمبراطور ميخائل الثالث وبينما كانت الحملة على وشك الرحيل من قواعدها فى آسيا الصغرى قتل برداس سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م فأجلت الحملة ، ثم قتل الإمبراطور ميخائيل نفسه فى العام التالى ففشل بذلك مشروع الحملة العسكرية[١] .

لم تتوقف الحرب بين مسلمى كريت والبيزنطيين فى عهد الإمبراطور باسيل الأول المقدونى ، ومن العمليات البحرية الكبيرة التى قام بها أسطول كريت ضد الشواطىء البيزنطية فى تلك الفترة ، العملية التى تمت فى عهد أمير كريت شعيب بن أبى حفص الذى أرسل القائد فوتيوس Photius على رأس أسطول كبير ، فقام الكريتيون بمهاجمة الجزر البيزنطية فى بحر إيجه ، ووصلت السفن الإسلامية حتى الهللسبونت ، فأسرت عددا من السكان وقتلت غيرهم ، وعندئذ هاجم القائد البيزنطى البطريق نيقتاس أوريفاس بأسطوله سفن المسلمين واشتبكوا فى معركة بحرية حامية فى مضيق بحر إيجه بالقرب من كارديا Cardia فأحرقت عشرون سفينة إسلامية بالنار الاغريقية ولاذت باقى السفن بالفرار[٢] .

ولم تفت هذه الهزيمة فى عضد فى عضد مسلمى كريت ؛ فعاد أسطولهم بقيادة فوتيوس لمهاجمة الشواطىء البيزنطية مرة أخرى ولاسيما الجزر الواقعة غربى البلوبونيز مثل ميثونا Methona وبيلوس Pylos وباتراس Patras فضلا عن ضواحى كورنثه ، إلا أن القائد البيزنطى نيقتاس أوريفاس تمكن من مفاجأة السفن الإسلامية فى خليج كورنثه وهزيمتها وقتل فوتيوس نفسه فى

---

(١) Enno Franzius, op. cit. p. 178—179, Camb., IV, p. 713—714

(٢) لم تحدد المصادر البيزنطية تاريخا دقيقا لهذه المعركة سوى القول بأنها تمت فى عهد الامبراطور باسيل الأول المقدونى . أنظر :

Theophanes Contin. pp. 299—300, Cedrenus: op. cit. II. p. 227
Zonaras : op. cit. III. p. 429;

د. أسمت غنيم : المرجع السابق ص ١١٧ — ١١٨ .

المعركة فى حين قبض على الكثير من رجاله وعذبوا بوحشية ولاسيما المرتدون عن دينهم المسيحى[١] .

ولم تمنع هذه الهزيمة مسلمى كريت من مواصلة هجماتهم على سواحل البلوبونيز وجزر البحر الإيجى حتى نهاية القرن التاسع الميلادى ، وإذا كان من الصعب فى كثير من الأحيان تحديد هوية المسلمين الذين قاموا بالإغارة على الجزر البيزنطية فى تلك الفترة فان سير بعض القديسين الذين عاشوا فى تلك الجزر تلقى الضوء على العمليات العسكرية التى قام بها الكريتيون ، مثال ذلك حياة القديس بطرس الأرجوسى Peter of Argos التى كتبها أحد أتباعه بعد ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م فهى توضح الحياة المضطربة لسكان جزيرة أرجوس Argos الذين عاشوا منزعجين من هجمات مسلمى كريت ، والقديس بطرس نفسه نجح فى افتداء بعض الأسرى[٢] .

ومن الجزر التى هاجمها الكريتيون فى أواخر القرن التاسع الميلادى كورونى Koroni وميثون Methone وبيلوس Pylos[٣] وكان نفوذ الكريتيين قويا فى جزر البحر الإيجى والبلوبونيز ، حتى أنهم كانوا يجبون ضرائب منظمة من السكان ، كما وصلت هجماتهم حتى ساحل مقدونيا[٤] ، وفى القرن العاشر م

---

(١) Theophanes Contin., op. cit. pp. 300—301, Cedrenus, op. cit., II. pp. 227—228.

ولم يحدد المؤرخون البيزنطيون تاريخ المعركة ويرجح بعض المؤرخين المحدثين أنها تمت سنة ٨٧٩ م. أرشيبالد لويس : المرجع السابق ص ٢٢٤ — ٢٢٥، د . اسمت غنيم المرجع السابق ص ١١٨ — ١٢١ ، Miles, op. cit., p. 5

(٢) Miles, op. cit., pp. 5—6

(٣) Ibid., p. 6.

(٤) Ahrweiler, Byzance et la Mer p. 104.

وقد أشار يوحنا كمنياتى إلى قيام ناكوس Naxus بدفع الجزية إلى كريت .

هاجم الكريتيون لمنوس Lemnos سنة ٢٨٩ هـ/ ٩٠١ م وديمتriاس Demetrias سنة ٢٩٠ هـ/ ٩٠٢ م[١]، ثم بلغت قمة التعاون بين الأساطيل الإسلامية فى البحر المتوسط فى الهجوم الذى قاده ليو الطرابلسى — غلام زرافة — على سالونيك سنة ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤ م[٢].

(١) Foord, The Byznatine Empire p. 246.

(٢) أنظر ماسبق ص ٦٢ — ٦٣

جهود الإمبراطور ليو السادس ضد كريت :

ويبدو أن الإمبراطور ليو السادس أراد الدخول فى علاقات سلمية مع المسلمين فى كريت لتجنب هجماتهم ، فأرسل إلى أمير كريت سفارة برئاسة نيقيتاس Nicetas[1] ولما لم تفلح هذه السفارة فى تحسين العلاقات قرر الامبراطور ليو السادس فى أواخر حكمه توجيه ضربة قاضية إلى كريت ليضع حدا لنشاطها العسكرى وإعادتها إلى السيادة البيزنطية من جديد .

وتمهيدا للعملية البحرية الكبرى التى أزمع ليو السادس القيام بها ضد كريت حاول التفريق بين القوة البحرية الإسلامية العامله فى البحر المتوسط بالسياسة والحرب ، فأرسل الإمبراطور ليو السادس سفارة إلى القيروان وإلى أمير كريت [2] والهدف الذى يمكن تصوره من هاتين السفارتين هو محاولة إبقاء الفاطميين والكريتيين على الحياد فى أثناء قيام البيزنطين بالهجوم على ساحل الشام حيث توجد أكبر الأساطيل المساندة لكريت . وهذا ما حدث بالفعل فقد هاجم همريوس قائد الاسطول البيزنطى اللاذقية سنة ٢٩٨ هـ/٩١١ م[3]

واعتقد البيزنطيون بعد مهاجمة اللاذقية أن الفرصة قد أصبحت مواتية لتوجيه حملة كبيرة للاستيلاء على كريت ، وعلى ذلك تم إعداد هذه الحملة ، وتكونت من قوات من الجيش والاسطول الامبراطورى وقوات أخرى من جيوش وأساطيل الولايات وكان عدد سفن الاسطول الإمبراطورى ٦٠ دورمونا و٤٠ بامفيلياً و ٧٠ زورقا حربيا ، كما بلغ عدد رجال ذلك الاسطول ١٢٠٠٠ رجل بالإضافة إلى ٧٠٠ من الروس ، أما أسطول الولايات فقد جمع من ثغور كيبريوت وساموس والبحر الايجى والهيلاد ، وتكون من

(١) Miles, op. cit., p. 8.

(٢) Brehier, Vie et Mort de Byzance, p. 152.

(٣) Jenkins. Byzantium, The Imperial Centuries, P. 210

٤٣ درومونا و ٣٥ بامفيليا ، كما تضم ١٥٦٠٠ رجل، أما الجيش الإمبراطورى فبلغ عدد رجاله ١٢٥٠٢! من الجنود والضباط بخلاف جيوش الولايات فى حين بلغ عدد الفرسان الذين جمعوا من الولايات ٦٠٣٧ فارسا بالإضافة إلى ٥٠٨٧ من المردة [١].

وصلت هذه الحملة إلى كريت فى سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م ، وبرغم ضخامتها والنفقات الباهظة التى تكلفتها فان نتيجتها لم تكن أحسن من الحملات السابقة فبعد حصار دام ثمانية شهور أنسحب همريوس عائدا إلى القسطنطينية بعد أن وصلته أخبار عن مرض ليو السادس ، وعند خيوس Chios منى بهزيمة ساحقة على يد ليو السادس الطرابلسى ، فهرب همريوس إلى ميثلين فى حين تمكن رومانوس ليكابينوس — الإمبراطور فيما بعد — من إنقاذ بقية الجيش . [٢]

ويكتنف الغموض العلاقات البيزنطية الكريتية بعد فشل حملة همريوس سنة ٢٩٩ هـ/٩١١م حتى سنة ٣٣٨ هـ/٩٤٩ م . ومن المرجح أن الامبراطورية البيزنطية أيقنت بعجزها عن استرداد كريت بعد الهزائم المتكررة التى منيت بها الاساطيل البيزنطيه فى الجزيرة ، كما أن إنشغال البيزنطيين طيلة حكم الامبراطور رومانوس ليكابينوس ٣٠٨ — ٣٣٤ هـ / ٩٢٠ — ٩٤٤ م بالحرب فى منطقة الثغور الإسلامية الشامية والجزرية — فضلا عن مواجهة الروس والبلغار — كل ذلك أدى إلى عدم استطاعة تجهيز حملات عسكرية أخرى إلى كريت [٣] وقد ساعد على ضعف النشاط البحرى البيزنطى خلال تلك

(١) Constantin Porphyrogeniti De Ceremoniis Aulae Byzantinae P. G 112 — Lib., II, pp. 1211—1224;

د . إسمت غنيم : المرجع السابق ص ١٤١ - ١٤٤

وكانت الدرمونا تضم ما بين ٢٠٠ ، ٢٣٠ مجدف ، ٧٠ محاربا فى حين تضم البامفيليا ما بين ١٣٠ ، ١٦٠ رجل .

(٢) Finlay, op. cit , II, p. 278; Jenkins, op. cit., p. 210.

(٣) أنظر ماسبق ص ٧٣ — ٨٣

الفترة هدوء العمليات البحرية الاسلامية بعد اختفاء أبطال البحر المسلمين مثل ليو الطرابلسي الذي هزم في لمنوس سنة ٣١٠هـ / ٩٢٣م من القائد البيزنطي راديتوس Radinus[1] كما أن داميان شريك ليو في قيادة الإسطول الاسلامي مات في سنة ٣٠١هـ / ٩١٤م[2].

ويبدو أن عصر الامبراطور قسطنطين السابع ٣٣٤هـ — ٣٤٨هـ/٩٤٥ — ٩٥٩م شهد عودة الهجمات الكريتية على الشواطىء والجزر البيزنطية الأمر الذي جعل الامبراطور قسطنطين السابع يقرر إرسال حملة جديدة على كريت[3]. ومهد الامبراطور لحملته بالتقارب مع الخليفة الأموي الناصر لدين الله في الأندلس لضمان حيادة في أثناء غزو كريت[4] وأسند الامبراطور قسطنطين السابع قيادة الحملة البحرية الموجهة إلى كريت إلى القائد قسطنطين جونجيلس Constantine Gongyles الذي كان دبلوماسيا ثم وزيرا للامبراطورة زوى[5].

وضمت الحمله عددا كبيرا من سفن الأسطول الامبراطوري بالإضافة إلى أساطيل الولايات وعدد كبير من الفرسان الذين جمعوا من تراقيا ومقدونيا بالإضافة إلى إشتراك عناصر أخرى مثل الأرمن والسلاف[6] وبرغم ضخامة هذه الحمله فإن نتيجتها كانت كارثة على الإمبراطوريه البيزنطية نظرا لأن القائد جونجيلس ارتكب أخطاء عسكرية فادحة[7] فعندما وصل إلى كريت سنة

(١) Cedrenus : op. cit., II, p. 303.

(٢) Jenkins, » The Mission of St. Demetrianus of Cyprus to Baghdad » in Annuaire IX 1949 p. 274

(٣) ذكر كدرينوس وليو الشماس أن سبب حملة جونجيلس على كريت سنة ٩٤٩م التي أرسلها الامبراطور قنسطنطين السابع هو تزايد هجمات الكريتين أنظر :
Cedrenus op. cit., II, p. 336; Leo diaconus, Historia pp. 6—7.

(٤) Brehier, p. cit. op., 188.

(٥) Jenkins, Byzantium The imperial centuries p. 264

(٦) Constantine porphyrogeniti, op. cit., pp. 1231—1254.

(٧) وصفت المصادر البيزنطية القائد جونجيلس بالعجز وعدم الكفاية وأنه بلا درايه بالأمور الحربية أنظر :
Cedrenus, op. cit. II; p. 336, Leo diaconus; op. cit. P., 7.

٣٣٨هـ / ٩٤٩ م وأقام معسكره لم يقسم بحمايته . كما لم يرسل المستطلعين إلى المناطق المجاورة ، فأدى ذلك الإهمال إلى الزج به فى مخاطر عظيمة ، إذ لما تيقن أهل كريت عن تقاعس القائد البيزنطى وعدم خبرته إنتهزوا الفرصة وهاجموا البيزنطيين فجأة ، فقتلوا عددا كبيرا منهم وأسروا الكثير فى حين هرب جونجيلس نفسه بعد أن كاد يقع فى الأسر لولا أن بعض رجاله أنقذوه فاستطاع الفرار على ظهر إحدى المراكب .(١)

لم يتمكن البيزنطيون بعد هزيمة جونجيلس من أرسال حملات عسكرية أخرى إلى كريت حتى سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م بسبب انشغال معظم الجيش البيزنطى فى الحرب ضد سيف الدولة الحمدانى من ناحية ، وبسبب الخسارة التى لحقت بالأسطول البيزنطى فى حملة سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩ م من ناحية أخرى .

(١) Cedrenus : op. cit. II. p. 336, Jenkins : Byzantium the imperial Centuries p. 264.;

د . احمد غنيم : المرجع السابق ص ١٦٧

حملة نقفور فوقاس على كريت فى عهد الامبراطورة رومانوس الثانى :

وأخيرا استطاعت الامبراطورية البيزنطية فى عهد رومانوس الثانى ٣٤٨-٣٥٢ هـ / ٩٥٩ - ٩٦٣ م القضاء على إمارة كريت الإسلامية بعد أن حشدت الامبراطورية كل أمكانياتها وطاقاتها العسكرية وأختارت قائدا على درجة عالية من الكفاية ومحبوبا من الجنود هو القائد نقفور فوقاس .

ويبدو أن أمارة كريت قد أصابها فى مراحلها الأخيرة ما أصاب الخلافة العباسية من وهن وتفكك، مما ساعد الحملة البيزنطية بقيادة نقفور فوقاس على قهر المقاومة الباسلة التى أبداها آخر حكام كريت عبد العزيز بن شعيب ، وتوحى العملات النقدية المكتشفة فى كريت والمناطق المجاورة بحدوث أنقسام بين أفراد الأسرة الحاكمة [١] ، كذلك فان فقرة فى نهاية قصيدة «فتح كريت » التى نظمها ثيودوسيوس الشماس ، تشير إلى ذلك الانقسام ، ففى أواخر أيام الحصار المضروب على الخندق نزل الكريتيون سكان الجروف والصخور من الجبال وقائدهم كارامونيتس Karamounts الذى قضى عمره يحلم بالسيطرة والحكم فى البلاد [٢] .

وقد عارض بعض أعضاء الحكومة البيزنطية ارسال حملة جديدة إلى كريت بقيادة نقفور فوقاس ، إذ كانوا يذكرون الحملات السابقة الفاشلة وما أنفق عليها . كما كانوا يحسبون حساب النجدات البحرية التى يمكن أن تأتى إلى

(١) حاول المؤرخ جورج مايلز من واقع العملات النقدية المكتشفة أن يرسم صورة لتسلسل أفراد البيت الحاكم فى كريت لكنه لم يجزم بأن ذلك هو الرأى النهائى فى هذه المسألة الشائكة فتوجد بعض أسماء على العملة غير معروفة تاريخيا فى كريت، كما توجد بعض عملات تحمل أسمين يصعب معرفة من منهما الأب ومن منهما الأبن : أنظر : Miles., G., op. cit., pp. 13—18. وأنظر الملحق رقم (٢) .

(٢) Theodosii Diaconi. De Cretas Expugnatione pp. 295—300 ; Miles, op. cit., p. 15 ; Note, 74

كريت من المسلمين فى أسبانيا وشمال افريقيا ، وانتهى الأمر بنجاح المستشار برنجاس فى إقناع الامبراطور رومانوس الثانى بتجهيز وإتمام الحملة بعد أن عدد له مخاطر وأضرار وجود المسلمين فى كريت على الامبراطوريه البيزنطية (١) .

وكانت الحملة التى قادها نقفور فوقاس من الضخامة بحيث ضمت ثلاثة آلاف سفينة ، زود منها ألفان بالنار اليونانية بالإضافة إلى أكثر من ثلاثمائة مركب تحمل المؤن والسلاح (٢) وضم الجيش الذى نقله الاسطول نخبة من المشاة الارمن والروس والسلاف ، وقد اتخذت الحملة طابعا صليبيا واضحا إذ ضم كل قسم من الجيش أسقفا ومعه مجموعة تحمل صليبا(٣) .

وصل الاسطول البيزنطى إلى مرمى البصر من الخندق عاصمة كريت فى جمادى الاولى سنة ٣٤٩ هـ يولية سنة ٩٦٠ م(٤) وعندئذ أرسل نقفور فوقاس وحدات الاستطلاع للقبض على مرشدين من الجزيرة ، وعلم نقفور من الاسرى الذين أحضرهم رجال الاستطلاع أن أمير الجزيرة وكبار القادة خارج العاصمة فى الضواحى(٥) فأسرع نقفور بإنزال الجيش من السفن وتمركز على الشاطىء وفاجأ السلطات الحاكمة بقواته الضخمة فى الوقت الذى حاصر فيه الأسطول البيزنطى الجزيرة كى يمنع وصول أى مساعدات لها من القوى الإسلاميه الأخرى(٦) .

---

(١) Theophanes Contin., pp. 474—475.

(٢) Symeon Magister, op. cit., p. 758; Theophanes Contin., p. 475

د. اسمت غنيم : المرجع السابق ص ١٨٣ .

(٣) Enno Franzius, op. cit., pp. 220—221.

(٤) يحيى بن سعيد الأنطاكى : تكلة كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق جـ ١ ص ١١٧ .

(٥) Theophanes Contin., p. 476.

(٦) Leo diaconus, op. cit., p. 8; Enno Franzius, op. cit., p. 221;

د. اسمت غنيم : المرجع السابق ص ١٨٤ .

والأمر اللافت للنظر فى الحملة البيزنطية التى قادها نقفور فوقاس هو عدم وقوع معارك بحرية بين أسطول كريت والأسطول البيزنطى أمام شواطىء كريت، والتفسير المقبول لذلك هو إما أن يكون أسطول كريت قد لحقه ضعف شديد فلم يستطع المقاومة أو أن يكون ذلك الأسطول فى مهمة هجومية على الجزر البيزنطية واستطاع نقفور فوقاس قطع طريق العودة عليه وحرمه من الاشتراك فى المعركة .

وقد نظم نقفور فوقاس جيشه فى ثلاث فرق مسلحة بالحراب والقوس ، وأمطر المدافعين بسيل غزير من السهام ، فتفكك نظامهم وعادوا إلى قواعدهم أسرع ما يكون ، وبذلك يكون الهجوم البيزنطى الأول قد كلل بالنجاح[١] .

وعلم نقفور بأن بعض الكريتيين لجأوا إلى الوديان والجبال فجمع وحدة مختارة من المشاة والفرسان من الروس والتراقيين والمقدونيين وأرسلها فى أثر الكريتيين[٢] ، وتولى قيادة تلك الوحدة القائد باستيلاس Pastilas ، وأوصاه نقفور بأن يقوم بدوريات فى المنطقة ويعود بالأخبار اليه أسرع ما يكون ، غير أن تلك الوحدة طمعت فى الخيرات التى وجدتها من ثمار وفيرة ومراعى خصبة فاستسلمت للكسل وتقاعست عن تأدية مهمتها فتمكن الكريتيون من مفاجأتها والقضاء على أكثرها وسقط قائد الفرقة باستيلاس نفسه أسيراً جريحاً فى يد المسلمين[٣] .

كان لهزيمة باستيلاس أثر سىء على نقفور فوقاس ورجاله ، فوجه اللوم

---

(١) Leo diaconus, op. cit., p. 8.
(٢) Theophanes Contin., p. 476.
(٣) Leo diaconus: op. cit., pp. 9—10.;
د. اسمت غنيم : المرجع السابق ص ١٨٥ .

الشديد إلى المهزومين على تراخيهم ، وخوفا من انقلاب الموقف عليه واستغلال الكريتيين لنصرهم قرر نقفور أن يطوف حول الخندق عاصمة الجزيرة لاكتشاف ثغرة يمكن النفاذ منها واقتحام المدينة لكن أسوار الخندق كانت عالية وعريضة بحيث يمكن لعربتين السير عليها فى وقت واحد ، كما أنها كانت محصنة بجلود الغنم والخنازير ويحيط بالمدينة كلها خندق ضخم[١] .

ولما وجد نقفور فوقاس أن عاصمة الجزيرة على تلك الدرجه من المناعه بنى سورا عاليا فى مواجهة الجهة الشرقية منها فى محاولة لكشف تحركات الكريتيين ووقف تسللهم خارج السور لمجابهة القوات البيزنطية[٢] . وقبل أن يبدأ نقفور فوقاس هجومه الشامل دعا الضباط والجنود وألقى فيهم خطبة حماسية مملوءة بالروح الصليبية وذكرهم فيها بأخطار وجود المسلمين فى كريت ، وحثهم على الانتقام بضراوه ، وكان مما قاله لهم « ألم تصبح جميع الشواطىء غير قابلة للسكن بسببهم ، ألم تصبح معظم الجزر صحارى بسبب هجماتهم المستمرة ، ولهذا السبب فإن العنايه الإلهية لم تعد تسمح لهؤلاء الأدعياء ولهؤلاء الوحوش الضارية والبطون الخاوية أن تستمر فى التهام الشعب المسيحى بلا نهاية ، بل دفعنا بعونه تعالى لترد لهم الضربة أضعافا على ما سببوه لنا بلا رحمة .... وأخيرا لا يجب أن نضيع الوقت فى البطالة وشرب الخمر ، بل نكون رومان فعلا ، وتظهر ما لأمتنا من شجاعة وبسالة[٣] ، وبينما كان نقفور يلقى خطبته الحماسية كان القساوسة يطوفون بين الصفوف يمنحون الجنود والضباط الغفران ويعرضون قطعة من خشب الصليب وبقايا عظام القديسين وبعض الآثار المقدسة[٤] . وقد رفعت خطبة نقفور فوقاس معنويات الجيش

(١) Leo diaconus op. cit., p. 11;
د. اسمت : المرجع السابق ص ١٨٥ .

(٢) Leo diaconus. op. cit., pp. 11—12.

(٣) Ibid, p. 12—13.

(٤) Enno Franzius, op. cit., p. 223.

البيزنطى ، فاستل الجنود والضباط سيوفهم وتعهدوا بأن يتبعوه حيثما ذهب وأن ينفذوا أوامره ، فطلب منهم الانتظار والراحة إلى أن يأمرهم بما يجب عمله[١] .

أحس أمير كريت عبد العزيز بن شعيب بحرج موقفه العسكرى والحصار الشديد المضروب على العاصمه ، فأرسل عدة رسائل عاجلة إلى الأمير فى أسبانيا وإلى الخليفة الفاطمى فى شمال أفريقيا وإلى كافور الأخشيدى فى مصر[٢] ومن المؤكد أن كافور لم يرسل أى نجدات إلى كريت ، ولما ثارت العامة عليه لتخلفه عن نصرة المسلمين فى كريت قام بإنزال عدة سفن فى البحر[٣] لكن ذلك لم يكن إلا من قبيل المناورة العسكريه والسياسية قصد بها تهدئة مشاعر المصريين .

ويختلف الوضع بالنسبة للفاطميين ، إذ يرى بعض المؤرخين أن الخليفة الفاطمى بادر بإرسال قوات إلى كريت اشتركت فى القتال ضد البيزنطيين[٤] ، لكن حقائق الموقف العسكرى فى كريت فى أثناء حصار نقفور لها لا تسمح بقبول هذا الرأى . حقيقة استقبل الخليفة المعز لدين الله وفد كريت ، كما وعد الخليفة بإرسال المساعدة المطلوبة فى أقرب وقت ممكن ، كذلك أرسل المعز إلى الإمبراطور البيزنطى رومانوس الثانى رسالة ينذره فيها بالحرب والغاء المعاهدة المعقودة بينهما بسبب الهجوم البيزنطى على كريت[٥] ، كما أرسل

(١) Leo diaconus. op. cit., p. 13.

(٢) النعمان : المصدر السابق ج ٢ ق ٢ لوحة ٤١٧ ،
Theophanes Contin., p. 477.

(٣) النعمان : المصدر السابق ج ٢ ق ٢ لوحة ٤٩٧ .

(٤) Enno Franzius, op. cit., p. 222.;
أحمد غنيم : المرجع السابق ص ١٨٩ — ١٩٣

(٥) النعمان : المصدر السابق ج ٢ ق ٢ لوحة ٤١١ — ٤١٦ ، وعن المعاهدة بين الخليفة المعز والبيزنطيين انظر : النعمان : نفس المصدر ج ١ ق ١ لوحة ٢٤٤ — ٢٤٨ ،
Stern, : An Embassy of the Byzantine empire to the fatimid Caliph Almuizz, in Byzantion XX 1950 pp. 239—258.

الخليفة الفاطمى أيضا رسالة إلى كافور الأخشيدى يعرض عليه قيام أسطول مشترك من الجانبين الأخشيدى والفاطمى بالتحرك إلى كريت، وحدد له مكان الاجتماع للأساطيل المشتركة فى مرسى طنبه من أرض برقه لقربها من جزيرة كريت وأن يكون ذلك الاجتماع فى شهر ربيع الآخر[١] لكننا إذا أدركنا أن الأسطول البيزنطى المحاصر لكريت كان على أهبة الاستعداد لملاقاة أى سفينة معادية تقترب من شواطىء الجزيرة حتى أن الأسطول الكويتى نفسه لم يتواجد فى الموانى الكريتية ولم يشترك فى المعركة ، فانه من الصعب قبول فكرة وصول القوات الفاطمية إلى كريت ، ثم إن هناك ملاحظة أخرى على جانب كبير من الأهمية، فالتاريخ الذى حدده الخليفة الفاطمى لاجتماع الأساطيل الفاطمية والأخشيدية هو مستهل شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م لأن وصول نقفور فوقاس إلى كريت كان فى منتصف جمادى الأولى سنة ٣٤٩ هـ يوليه ٩٦٠ م[٢] : فاذا علمنا أن نقفور تمكن من الاستيلاء على الخندق عاصمة كريت فى منتصف المحرم سنة ٣٥٠هـ (مارس سنة ٩٦١ م) بعد حصار دام حوالى ثمانية شهور[٣] لأدركنا عندئذ استحالة وصول قوات فاطمية إلى الجزيرة واشتراكها فى القتال ضد البيزنطيين .

وهكذا يمكن الجزم بعدم تلقى كريت أية مساعدة من الفاطميين أو الأخشيديين ، أما باقى القوى الإسلامية الأخرى فلم تقدم أيضاً أية نجدات إلى كريت ، فالأمويون فى الأندلس كان بينهم وبين البيزنطيين تحالف منذ سنة ٣٤٥ هـ/ ٩٥٧ م ، لمواجهة النفوذ الفاطمى فى غرب البحر المتوسط وبخاصة بعد أن تمكن الاسطول الفاطمى من هزيمة أسطول مشترك للأمويين وللبيزنطيين[٤] . أما الخلافة العباسية فكانت أحوالها الداخلية لا تسمح ببذل

---

(١) النعمان : المصدر السابق ج ٢ ق لوحة ٤١٨ — ٤٢٠

(٢) يحيى الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٧

(٣) نفسه ج ١ ص ١١٧ ، Cedrenus, op. cit., II, p. 340.

(٤) Stern, op. cit., p. 241—243.

أى جهد ، وكانت القوة الإسلامية الوحيدة القادرة على المساعدة هى قوة الحمدانيين فى حلب ، لكن سيف الدوله كان فى ذلك الوقت يخوض قتالا ضاريا على الارض فى منطقة الثغور ضد البيزنطيين، هذا بالإضافة إلى أن سيف الدوله لم يكن لديه أسطول يمكنه من تقديم المساعدة المطلوبة[١] .

وهكذا كان على الكريتيين أن يعتمدوا على أنفسهم فى الدفاع عن وطنهم لكن الظروف لم تكن مناسبة لهم إذا كانت القوة المهاجمة ضخمة لا تؤثر فيها المقاومة ، فاذا أضفنا إلى ذلك عوامل الضعف التى أخذت تدب فى كريت ذاتها أدركنا لماذا خسر الكريتيون المعركة ، مع ما أبدوه من مقاومة باسلة ، حتى أن الخسائر التى تكبدوها لم تكن أقل من التى أحدثوها فى عدوهم ، فان اليأس من النجاة والخطر المحدق بهم دفعهم إلى القتال فوق طاقتهم ، فقاوموا العدو بشجاعة وقوة عظيمه[٢] .

ولما وجد نقفور أن مقاومة الكريتيين فاقت ما كان متوقعا قرر أن يضع حدا لقتل رجاله بلا فائدة ، وفضل أن يحاصر المدينة ليجبرها على التسليم جوعا فقضى الشتاء كله محاصرا لها[٣] ، على أن الشتاء كان يحمل معه الخطر الاكبر على الجيش البيزنطى فى كريت ، فقد هطلت الامطار واشتد البرد ونقصت المؤن ، فأصيب الجنود بالإعياء وفكروا فى العودة إلى ذويهم[٤] ، وكانت هذه المرحلة هى نقطة الخطر التى يمكن أن تفشل عندها الحملة ، ولكن نقفور استطاع إقناع الجنود والضباط بخطبه الحماسية لمواصلة البقاء فى كريت ، كما بادر الامبراطور رومانوس الثانى بإرسال كميات وفيرة من المؤن عندما علم بالموقف الحرج للجيش البيزنطى المحاصر لكريت ، فانتهى بذلك خطر فشل الحملة[٥] .

(١) **Canard**, Histoire de la dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie, p. 800

(٢) **Leo** diaconus, op. cit., pp. **14—16**

(٣) Ibid, pp. 15—17.

(٤) **Symeon Magister** : op. cit., p. **759**.

(٥) **Symeon Magister** ; op. cit., p. **759** ; **Jenkins** ; **Byzantium The Imperial centuries**, p. **272**.

وقرر عبد العزيز بن شعيب أمير كريت أن يقوم بهجوم مفاجيء يكسر به حلقة الحصار المفروض على عاصمته ، لكن استخبارات نقفور علمت بالخطة فاستعد الجيش البيزنطى لها ، وفجأة فتحت أبواق الخندق ، واندفع منها ألف وخمسمائة من الفرسان وستة وثلاثون ألفاً من المشاة المدرعين واخترقوا الصفوف البيزنطية[١] ، وعندما تقهقر البيزنطيون حسب الخطة الموضوعة تبعهم الكريتيون فوقعوا فى الكمين الذى نصبه لهم الجيش البيزنطى ، وجرت مذبحة رهيبة بين الكريتيين ، فتقهقر الاحياء منهم إلى داخل الخندق[٢] .

وخلال شهر ذى الحجة سنة ٣٤٩ هـ / فبراير سنة ٩٦١ م ، فشلت محاولتان من قبل البيزنطيين لاقتحام الخندق[٣] وأخيرا فى المحرم من سنة ٣٥٠ هـ (مارس سنة ٩٦١ م) وبعد حصار دام حوالى ثمانية شهور انهارت أسوار الخندق ، واندفع الجيش البيزنطى إلى القلعة بعد أن نجحت آلات المنجنيق البيزنطية فى فتح ثغرة فى أسوار المدينة كما انهارت الابراج[٤] ، وأعقب دخول الجيش البيزنطى مدينة الخندق مذبحة رهيبة بين الكريتيين قام بها جنود نقفور حتى بلغ عدد القتلى مائتى ألف كما تحول مثل ذلك العدد إلى رقيق بعد أن تم أسره[٥] ، وبعد أن استتب الموقف العسكرى فى الجزيرة وسيطر البيزنطيون عليها تماما انسحب نقفور بجنوده عائدا إلى القسطنطينية ، بعد أن ترك فى كريت حاميات عسكرية من الارمن والبيزنطيين وأسطولا قويا لحماية شواطيء الجزيرة[٦] ، وبذلك عادت كريت مرة أخرى ثغرا عسكريا بيزنطيا .

---

(١) **Enno Franzius, op. cit., p. 222;**
أحمد غنيم : المرجع السابق ص ١٩٤ – ١٩٥

(٢) **Enno Franzius, op. cit., p. 222**

(٣) **Jenkins, Byzantium ... p. 272**

(٤) **Leo diaconus, op. cit., p. 25—26**

(٥) **Enno Franzius, op. cit., p. 224**

(٦) **Leo diaconus, op. cit., 28**

واستقبل الامبراطور البيزنطى وشعب القسطنطينية تقفور فوقاس استقبالا فخما وأعد له حفل النصر فى المسرح ، واجتمع الشعب لمشاهدة الغنائم الهائلة . كميات كبيرة من الذهب والفضة والعملات البيزنطية من النوميزما — والعملات الاسلامية من الذهب والفضة والملابس المطرزة والسجاجيد القرمزية ، وجميع أصناف الأثاث المشغولة والمرصعة بالذهب والأحجار الكريمة ، ثم الأسلحة والخوذ والسيوف والدروع والرماح والتروس والأقواس التى لا يحصى عددها [١] — أما الأسرى فكان على رأسهم أمير الجزيرة نفسه عبدالعزيز بن شعيب ،وهو الذى أطلقت عليه المصادر البيزنطية اسم كوروباس Curupas وابنه النعمان — عند البيزنطيين Anemas [٢] وقد أحسن الامبراطور البيزنطى معاملة أمير كريت وسمح له بأن يقطن فى الأراضى البيزنطية [٣] .

وبرغم خطورة ماحدث باستيلاء تقفور فوقاس على كريت واقتطاعها من جسد العالم الإسلامى ، فان ردود الفعل لدى القوى الإسلامية الاخرى كانت سلبية ، ولم تبذل أى محاولة من جانب هذه القوى لاسترداد كريت ؛ فى مصر كان رد الفعل شعبياً إذ لدى وصول الخبر ثار العامة وتجمعوا ونهبوا بعض الكنائس [٤] فى حين كانت السلطات الاخشيدية شأنها شأن باقى القوى الاسلامية الأخرى مشغولة بأمورها الخاصة ؛ وفى الشرق تصرفت الحكومة البيزنطية بذكاء عندما أسندت إلى تقفور فوقاس قيادة الجبهة الشرقية وعينته دمستقا [٥] فوضعت الحكومة البيزنطية بذلك بطلها وجها لوجه أمام بطل الجهاد الإسلامى وهو سيف الدولة الحمدانى فكأن الحكومة البيزنطية أرادت

---

(١) Leo diaconus, op. cit., p. 28
(٢) Zonaras, op. cit., III, p. 491 ; Cedrenus, op. cit., II, p. 340
(٣) Symeon Magister, op. cit., pp. 759—760
(٤) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٧
(٥) Leo diaconus, op. cit., p. 29

بهذا العمل أن تقضى على أى فكرة قد تراود الحمدانيين لاسترداد كريت .

واستفادت الامبرطورية البيزنطية كثيرا من استرجاع كريت ، فعلى الصعيد العسكرى وضع الاسطول الذى بنى قصد حملة كريت فى خدمة السياسة الحربية للقائد الذى أصبح إمبراطورا فتمكن الإسطول البيزنطى من إخضاع جزيرة قبرص سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م (١) وبعد إقرار السلام فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط باخضاع كريت وقبرص انتقل الجهد الحربى البيزنطى إلى الغرب للعمل فى المياه الإيطالية ضد مسلمى صقلية (٢) .

وترتب على تحقيق السيادة البيزنطية فى منطقة شرق البحر المتوسط وتقوية سلطانها فى إيطاليا أن اقتصرت مهام الإسطول البيزنطى على ضمان أمن المواصلات بين شرق البحر المتوسط وغربه ، وتأمين الملاحة فى المياة الإقليمية للامبراطورية ، وعلى ذلك تقلصت قواتها البحرية فى حين دخل أسطولها التجارى فى مرحلة جديدة من التوسع نتيجة السلام الذى ساد فى منطقة البحار (٣)، وهكذا أحرزت الامبراطورية البيزنطية مركزا استراتيجيا وتجاريا مهما فى البحر المتوسط .

وعلى الصعيد السياسى اتخذت حملة نقفور فوقاس طابع الحرب المقدسة ، واعقبها تدمير الآثار الاسلامية فى كريت وإغلاق المساجد كما بذلت الجهود لتحويل سكان الجزيرة إلى المسيحية ، وقد أعطى ذلك للامبراطورية البيزنطية مكانة كبيرة فى العالم المسيحى (٤) .

---

(١) H. Ahrweiler. Byzance et la Mer, p. 115

(٢) Ibid. p. 116

(٣) Ibid., pp. 116—117

(٤) Brehier. op. cit., p. 190

الفصل الرابع

العلاقات بين الدولة البيزنطية والحمدانيين فى حلب

* تأسيس الإمارة الحمدانية .

* جهاد سيف الدولة ضد البيزنطيين :

هزيمة سيف الدولة فى الدرب — بناء سيف الدولة ثغر مرعش — انتصار سيف الدولة عند مرعش — بناء سيف الدولة ثغر الحدث — انتصار سيف الدوله فى تل بطريق .

* تحول الموقف العسكرى لمصلحة البيزنطيين :

إستيلاء البيزنطيين على الحدث — وعلى سميساط — هزيمة سيف الدولة فى مغارة الكحل — تدمير نقفور فوقاس عين زربى — هجوم نقفور فوقاس على حلب — هجوم ابن الشمشقيق على أذنه والمصيصة — استيلاء الامبراطور نقفور على المصيصة وطرسوس .

* خلفاء سيف الدولة والبيزنطيون .

استيلاء البيزنطيين على أنطاكية — حلب محمية بيزنطية — حلب أواخر العصر الحمدانى .

تأسيس الإمارة الحمدانية فى حلب :

فى الوقت الذى إزداد فية ضعف الخلافة العباسية ، ومال ميزان القوى فى منطقة شرق البحر المتوسط لمصلحة البيزنطيين بما حققوه من إنتصارات فى منطقة الحدود الإسلامية البيزنطية ، بل وفى داخل الأراضى الإسلامية ذاتها، وفى هذا الوقت ظهرت قوة إسلامية جديده كسرت زهور البيزنطيين وغرورهم ، وبذلت جهدا كبيرا لإعادة ميزان القوى فى منطقة الحدود الإسلامية البيزنطية إلى كفة الاعتدال بين الجانبين ، وقد تمثلت تلك القوة فى إمارة الحمدانيين التى أسسها سيف الدولة أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان فى حلب بعد إستيلائه عليها سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م [١] .

مهدت الظروف السياسية فى بلاد الشام لسيف الدولة الإستيلاء على حلب فقد أختلف الكلابيون نواب « محمد بن طغج » الإخشيد فى بلاد الشام، ولما راسل بعضهم سيف الدولة لتسليم حلب إليه لقيت تلك الدعوة قبولا من جانب سيف الدولة الذى كان يطمع فى أن تكون له إمارة مستقلة، بل إنه

---

(١) أبو الحسن على بن عبد الله، وأخوه أبو محمد الحسن ، كان أبوهما أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبى قد تولى عدة مناصب فى عهد الخليفة المكتفى والخليفة المقتدر منها إمارة الموصل وطريق خراسان والدينور . وقد قتل أبو الهيجاء فى فتنة خلع المقتدر سنة ٣١٧ هـ . وقد لقب الخليفة المتقى لله أبا محمد الحسن « ناصر الدولة » وولاه امرة الأمراء فى بغداد ثم حكم الموصل منذ سنة ٣٣٠ هـ ، كما لقب أخاه أبا الحسن على « سيف الدولة » أنظر :

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٧ - ٣٨٩ ، ج ٣ ص ٧٩ - ٨٤ ، الهمدانى : تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٠٦، ٢٥٩ - ٢٦٢ ، ٣١٧ ، ٣٣٣، مسكويه: كتاب تجارب الأمم : ج ٥ ص ٥٥ - ٥٦ ، ٧٥، ١٨٩ - ٢٠١ ، ج ٦ ص ٢٩ - ٣٠

طلب ذلك من أخيه ناصر الدولة صراحة فقال له ناصر الدولة . الشام أمامك وما فيه أحد يمنعك منه [١] .

وكان سيف الدولة قد أخفق في الحصول على مركز قيادي فى بغداد فى أثناء الاضطرابات السياسية التى حدثت فى عهد الخليفة « المتقى لله » ولما تولى توزون التركى منصب أمير الأمراء فى بغداد طارد سيف الدولة وهزمه مرتين سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م فاضطر سيف الدولة إلى الاقامة فى حران فى حين تولى أخوه ناصر الدولة حكم الموصل [٢] ، وعندما وصلت رسالة الكلابيين إلى سيف الدولة سار إلى حلب واستولى عليها [٣] .

ولما كانت بلاد الشام فى ذلك الوقت خاضعة لنفوذ « محمد بن طغج الإخشيد أمير مصر [٤] ، فقد دخل فى حرب مع سيف الدولة لم تنته بانتصار حاسم لأى منهما [٥] ، فاتفق الطرفان على عقد الصلح وتقسيم بلاد الشام فيما بينهما ، فيكون لسيف الدولة من جوسيه إلى حمص وسائر أعمالها — أى شمال سوريا — فى حين يكون للاخشيد من دمشق إلى آخر أعمالها — أى جنوب سوريا [٦] .

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ج ١ ص ١١١ ، د . سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٣٦٧

(٢) الهمدانى : المصدر السابق ص ٣٤١ - ٣٤٢ ، ٣٤٧

(٣) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١١١ - ١١٢

(٤) كتب الخليفة المتقى سنة ٣٣٣ هـ عهدا لمحمد بن طغج الاخشيد ولأبنه أنوجور من بعده بولاية الشام ومصر مدة ثلاثين سنة . أنظر : ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٠٧

(٥) استولى سيف الدولة على حلب وحمص وحاصر دمشق لكنه لم يستطع الاستيلاء عليها . أنظر : ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٣١٢

(٦) ابن سعيد الأندلسى : المغرب فى حلى المغرب ج ١ تحقيق د . زكى محمد حسن وآخرين ، د . سيدة كاشف المرجع السابق ص ٣٧٠

تركزت جهود سيف الدولة بعد تأسيس إمارته في حلب في الجهاد ضد البيزنطيين ، وكانت الحرب بين الطرفين في بداية الأمر محدودة بإقليم مرعش — الحدث — لكنها انتشرت فيما بعد على طول الجبهة ، فامتدت عمليات سيف الدوله العسكرية إلى داخل الأراضي البيزنطية في كبادوكيا وخرشنة[1] كما تصدى لمحاولات البيزنطيين المتكررة للاستيلاء على باقي الثغور الإسلامية في منطقة الحدود .

وكان البيزنطيون قد عرفوا من قبل قوة وشجاعة سيف الدوله أثناء حروبه معهم في منطقة ثغور الجزيرة عندما كان نائبا لأخيه ناصر الدوله[2] ، لذلك أدركوا مدى خطورة أن يكون لسيف الدوله إمارة مستقلة تحت حكمه ، فبادروا بالهجوم على بلاد الشام بهدف الوصول إلى حلب ذاتها عقب استيلاء سيف الدوله عليها بفترة وجيزة ، لكن سيف الدوله خــــرج لقتالهم واستطاع إنزال الهزيمة بهم[3] .

أصبح سيف الدوله المسيطر على منطقة الثغور بالكامل بعد أن دخل في طاعته « نصر الثملى » والى الثغور من قبل الاخشيديين ، إذ أقام « نصر الثملى » الخطبة لسيف الدولة ، وأتم فداء الأسرى مع البيزنطيين سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م

---

(١) Cambrige, IV, I, p. 719

(٢) سبق لسيف الدولة مهاجمة الأراضي البيزنطية سنة ٣٢٧ هـ . حيث وصـــل إلى كولونيا في ثغر خالديا أنظر ماسبق ص ٨٢

(٣) الهمداني : المصدر السابق ص ٣٥٠ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة مخطوط بدار الكتب رقم ٨٩ تاريخ حوادث سنة ٣٣٣ هـ .

وقد ذكر ابن العديم رواية مخالفة مفادها أن سيف الدولة هو الذي هاجم الاراضي البيزنطية عند الصفصاف وعربسوس . والأرجح أن البيزنطيين هم الذين قاموا بالهجوم نظرا لأن موقف سيف الدولة في ذلك الوقت لم يكن قد استتب في حلب لكي يخاطر بالخروج منها لمهاجمة الاراضي البيزنطية . أنظر : ابن العديم : المصدر السابق ج١ ص١١٣

باسمة أيضا[١] وبرغم أن البيزنطيين كانوا قد سيطروا من قبل على ملطية وشمشاط وهنزيط والإقليم الواقع شمال نهر أرسناس[٢]، إلا أنهم أحسوا بخطورة خضوع باقى منطقة الثغور لسيف الدوله ، لذلك اتجهت عملياتهم العسكرية للسيطرة على الحدث ومرعش وطرسوس ، وهى حزام الأمن الباقى للحدود الإسلامية .

---

(١) المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٦٥ ؛
Canard, Histoire de la dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie, pp. 759—760

(٢) Ibid, p. 761

جهاد سيف الدوله ضد البيزنطيين :

استغل البيزنطيون محاولة سيف الدوله فى سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ - ٩٤٨ م إخضاع حصن برزويه فى شمال سوريا - وكان يحتله أحد الأمراء الأكراد - وهاجموا الحدث ، فلما استنجدت حاميتها بسيف الدوله رفض رفع الحصار عن حصن برزويه قبل أن يفتحه ، فأعطى ذلك للقائد البيزنطى ليوفوقاس فرصة للاستيلاء على حصن الحدث وتخريب أسواره[1] .

واستمر سيف الدوله محاصرا حصن برزويه حتى استولى عليه فى سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م[2] ، ثم سار إلى ميافارقين لمساعدة أخيه ناصر الدوله ضد معز الدوله البويهى[3] . وفى أثناء غيبة سيف الدوله استولى البيزنطيون على مرعش وهاجموا طرسوس[4]، ويبدو أن سيف الدوله ظل غائبا عن حلب حتى بداية عام ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م لأن نائبه فى حلب «محمد بن ناصر الدوله» هو الذى تصدى للبيزنطيين بقيادة ليو فوقاس عندما هاجموا حصن برقا ، وقد لحقت الهزيمة « بمحمد بن ناصر الدوله » وقتل من رجاله زهاء اربعمائة رجل كما أسر عدد كبير[5] واستطاع البيزنطيون فى نفس العام الاستيلاء على قاليقيلا فأدى سقوط تلك المدينة الهامة إلى تسهيل عمليات الغزو التى قام بها البيزنطيون فيما

---

(١) يحيى بن سعيد الانطاكى : تكملة كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ج ١ ص ١١١ - ١١٢ وقد نسب المؤرخ البيزنطى كدرينوس الاستيلاء على الحدث إلى الدمستق برداس فوقاس أنظر :

Cedrenus, Historiarum Compendium. II, p. 336

(٢) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٢

(٣) الهمدانى : المصدر السابق ص ٣٦٧، الانطاكى : المصدر السابق ج١ ص١١٢

(٤) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ١١٤ ، ابن الأثير : المصدر السابق ج ٦ ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٥) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٢ .

بعد فى المناطق الإسلامية المجاورة لأرمينيا[١] .

حاول البيزنطيون عقب الكارثة التى لحقت بهم فى كريت سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م عقد هدنة مع سيف الدوله[٢] ، فأرسلوا إليه سفارة وهو فى آمد — أثناء عودته بعد لقاء أخيه ناصر الدوله — وقد حمل السفير البيزنطى هدية إلى سيف الدوله من الإمبراطور قسطنطين السابع ، وعندما أوشكت المفاوضات بين الجانبين على تقرير عقد الهدنة قتل أحد أتباع سيف الدوله — ويسمى « مروان العقيلى » — رجلا من أعضاء السفارة البيزنطية فتوقفت المفاوضات وبالرغم من أن سيف الدوله بادر بإرسال الهدايا إلى الإمبراطور وعرض دفع دية القتيل واعتذر بأن « مروان العقيلى » قد فعل ذلك عن سكر ، إلا أن الامبراطور البيزنطى رفض قبول الهدية وطلب تسليم القاتل ، فلم يوافق سيف الدولة فانتقضت الهدنة[٣] .

شرع سيف الدولة بمجرد عودته إلى حلب فى إعداد حملة كبيرة لمهاجمة الأراضى البيزنطية بعد أن أذن له الخليفة « المطيع » بذلك[٤] ، وتكمن أهمية تلك الحملة فى أنها أول عمل هجومى كبير قام به سيف الدولة منذ استيلائه على حلب ، وبدأ سيف الدولة مسيره فى شهر ربيع الأول سنة ٣٣٩هـ/ أغسطس سنة ٩٥٠م واشترك معه حوالى أربعة آلاف رجل من قوات طرسوس[٥] كما رافقه كبار الشعراء فى بلاطه وعلى رأسهم «المتنبى» «وأبو فراس» «وأبو زهير

---

(١) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٢ ؛ Canard, op. cit., p. 762

(٢) عن الحملة البيزنطية على كريت سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م أنظر ماسبق ص ١١٧–١١٨

(٣) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٧ . ويلاحظ أن المؤلف قد ذكر أخبار هذه السفارة ضمن حوادث سنة ٣٥٤ هـ لكنه أرجح حدوثها إلى عام ٣٣٨ هـ وانظر أيضا : Canard, op. cit., p. 762

(٤) الهمدانى : المصدر السابق ص ٣٧٢ .

(٥) الذهبى : تاريخ الإسلام مجلد ١٦ مخطوط بدار الكتب بالقاهرة — رقم ٤٢ تاريخ حوادث سنة ٣٣٩ هـ .

مهلهل بن نصر » . ودخل سيف الدولة الاراضى البيزنطية عن طريق شمال أو شرق مرعش إذ أنه استولى فى طريقه على حصن العيون وحصن الصفصاف وهما يقعان على طريق ملطية — قيسارية عن طريق سندو « تزماندوس »[١].
وجاوز سيف الدولة سمندو فى جمادى الاولى سنة ٣٣٩هـ/ أكتوبر ٩٥٠م إلى خرشنة وصارخة فأحرق ربضيهما ، وعند « بطن اللقان » أوقع سيف الدولة هزيمة منكرة بالدمستق » برداس فوقاس » وقتل عدداً كبيراً من قواته وأسر عدداً آخر من بطارقته[٢] .

أدرك البيزنطيون عقب هذه الهزيمة إستحالة مواجهة سيف الدولة فى ميدان مكشوف فلجأوا إلى أسلوب الكمائن واختبأوا فى أحد الدروب التى كان على سيف الدولة أن يعبرها فى طريق العودة[٣] ، وبعد أن سمحوا لمقدمته بالمرور قطعوا الطريق عليه ، فسدوا الدرب بالأشجار وألقوا الصخور فى المضايق فى الوقت الذى هاجمته القوات البيزنطية من الخلف . ولما وجد سيف الدولة نفسه فى موقف حرج قتل الأسرى البيزنطيين الذين معه وعددهم زهاء أربعمائة أسير واستمات فى القتال حتى نجا فى عدد يسير من قواته بعد

(١) أبو فراس : ديوان أبى فراس تحقيق سامى الدهان ج ١ ص ١٤٢ ،
Canard. op. cit., p. 764

(٢) المتنبى : ديوان المتنبى تحقيق عبد الوهاب عزام ص ٢٩٨ — ٣٠٠ — وقال قصيدته المشهورة ومنها :

رضينا والدمستق غير راض ... بما حكم القواضب والوشيج

فإن يقدم فقد زرنا سمندو ... وإن يحجم فموعدنا الخليج

(٣) اختلف المؤرخون العرب فى اسم ذلك الدرب — فذكر ابن العديم أنه درب الجوزات . وذكر ابن ظافر أنه يعرف بمقطعة الاثفار . وذكر الأنطاكى أنه يعرف بمقطع الاثفار أو الاظفار والمسمى بدرب الكيكرون بناحية الحدث أما المتنبى وكان مرافقا للحملة فذكر أنه عقبة تعرف بمقطعة الأثفار . أنظر :

ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٢١ ، ابن ظافر: المصدر السابق حوادث سنة ٣٣٩ هـ ، الانطاكى : المصدر السابق ج١ص١١٢ ، المتنبى المصدر السابق ص٣٠٠ .

أن استباح البيزنطيون أكثر جيشه[١] ، وتعتبر هذه الهزيمة من أكبر الكوارث التى حلت بالإمارة الحمدانية الناشئة وبسيف الدولة شخصيا حتى سميت بغزوة المصيبة[٢] .

أرسل البيزنطيون إلى سيف الدولة برغم هزيمته يطلبون عقد الهدنة ، وهو مالايتفق مع نتيجة المعركة السابقة إلا إذا كان المؤرخون قد بالغوا فى حجم الهزيمة التى لحقت بسيف الدولة ، ومهما كان الأمر فقد رفض سيف الدولة الإجابة إلى طلب الهدنة ، بل أرسل إلى الدمستق « برداس » يهدده ، وبسرعة جهز سيف الدولة جيشا أرسله لمهاجمة الاراضى البيزنطية من ناحية حران ، وغزا أهل طرسوس أيضا من ناحيتهم فى البر والبحر ، أما سيف الدولة نفسه فقد تصدى للبيزنطيين الذين هاجموا آمد[٣] .

وواصل سيف الدولة هجماته على الأراضى البيزنطية ، فغزا الصائفة فى سنة ٣٤٠هـ/٩٥١ — ٩٥٢م وواصل تقدمه حتى عربسوس ، ثم تجهز للتحرك نحو « سمندو » حيث تجمع للبيزنطيين جيش يقدر بأربعين ألف رجل ، ويبدو أن جيش سيف الدولة الذى تم إعداده على عجل بعد كارثة سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م لم يكن على درجة عالية من الكفاية فتهيب لقاء البيزنطيين[٤] ، كما أن

---

(١) الذهبى : المصدر السابق مجلد ١٦ حوادث سنة ٣٣٩ هـ .

(٢) ابن العديم : المصدر السابق جـ ١ ص ١٢١

(٣) الذهبى : المصدر السابق مجلد ١٦ سنة ٣٣٩ هـ .

(٤) المتنبى : المصدر السابق ص ٣٠٨ — ٣١٠ — وقال قصيدته التى منها :

نزور ديارا ما نحب لها مغنى ونسأل فيها غير سكانها الاذنا

وإن كنت سيف الدولة العضب فيهم فدعنا نكن قبل الضراب القنا اللدنا

فلما ذكر المتنبى ذلك البيت الأخير قال له سيف الدولة : قل لهؤلاء — وأومأ بيده إلى من حوله من العرب والعجم — يقولوا كما تقول حتى لاينثنى الجيش .

حلول فصل الشتاء وزول الثلج منع سيف الدولة من مهاجمة البيزنطيين فعاد إلى حلب[١] .

رأى سيف الدولة ضرورة إعادة بناء وترميم ماتبقى من الحصون والثغور الاسلامية لكى تقوم بدورها فى صد الهجمات البيزنطية ، ومن تلك الحصون « رعبان » التى خربتها الزلازل عام ٣٤٠هـ/٩٥١م فأنفذ سيف الدولة إليها ابن عمه « أبا فراس » الحمدانى سنة ٣٤١هـ/٩٥١م فى فرقة من الجيش فتمكن «أبو فراس» من عمارتها فى سبعة وثلاثين يوماً على الرغم من تدخل البيزنطيين بقيادة قنسطنطين فوقاس لمنع إعادة بناء الحصن[٢] ، وفى نفس العام أيضا أعاد سيف الدولة بناء ثغر مرعش بعد أن أنزل الهزيمه بالدمستق برداس فوقاس الذى حاول إعاقة عمليه البناء[٣] .

ويبدو أن فشل البيزنطيين فى منع إعادة بناء رعبان ومرعش دفعهم إلى مهاجمة منطقة الجزيرة فى نفس العام ٣٤١هـ/ ٩٥٢م فأغاروا على ساروج فى ديار مضر وسبوا أهلها وخربوا مساجدها[٤] ، كما أغار الدمستق «برداس فوقاس» على آمد وميافارقين وأرزن ونصيبين لكنه تعرض للهزيمة على يد سيف الدولة[٥].

سعى البيزنطيون إلى عقد هدنة مع سيف الدولة بسبب الهزائم المتكررة

(١) المتنبى المصدر السابق ص ٣١٠ - وقال قصيدته التى منها :

أخو غزوات ما تغب سيوفه ... رقابهم إلا وسيحان جامد

(٢) أبو فراس : المصدر السابق جـ١ ص ١٣٩ ، Canard, op. cit., 772

(٣) ابن العديم : المصدر السابق جـ ١ ص ١٢٢ ، ويقول المتنبى فى ذلك :

سراياك تترى والدمستق هارب ... وأصحابه قتلى وأمواله نهى

أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا ... وأدبر إذ اقبلت يستبعد القربا

أنظر ديوان المتنبى ص ٣١٨ - ٣٢٠ .

(٤) الهمدانى : المصدر السابق ص ٣٧٥

(٥) Cenard, op. cit. pp. 772—773.

التى لحقت بهم . والواقع أن الإمبراطورية البيزنطية كانت تشعر فى تلك الفترة بأن كفة القتال آخذة فى التصاعد لصالح سيف الدولة بسبب عدم كفاية الدمستق برداس فوقاس لتقدمه فى السن[١]، وهذا هو السر فى تكرار السفارات البيزنطية إلى سيف الدولة . ونظرا لأن سيف الدولة كان يشعر بقوته وتفوقه على الجانب البيزنطى فانه لم يعط ردا إيجابيا على هذه السفارات .

ومن تلك السفارات سفارة وصلت إلى سيف الدولة فى ذى القعدة سنة ٣٤١هـ/ مارس سنة ٩٥٣م ، وبرغم الاستقبال الطيب الذى قوبل به السفير البيزنطى فان الاتفاق لم يتم معه على تقرير الهدنة ، بل أظهر سيف الدولة قوته العسكرية فى العرض الذى أقامه لغلمانه أمام السفير[٢] .

وعقب فشل تلك السفارة اتجه سيف الدولة فى سنة ٣٤١هـ / ٩٥٣م إلى حران بديار مضر لإخماد ثورة القبائل العربية المتمردة فيها — مثل قبائل عقيل وقشير وعجلان ، وبعد أن أخذرها تمن القبائل العربية غزا الأراضى البيزنطية فى سنة ٣٤٢هـ / ٩٥٣م وهاجم ملطية وسميساط وهنزيط[٣]، وفى ذلك الوقت خرج الدمستق « برداس فوقاس » لمهاجمة الشام فعاد سيف الدولة وأوقع بالدمستق هزيمة ساحقة عند مرعش فى شهر ربيع الأول سنة ٣٤٢هـ / يوليه ٩٥٣م وأسر ابنه قنسطنطين[٤] .

(١) Theophanes Continuatus p. 459 ; Canard, op. cit., p. 773;783

(٢) ويقول المتنبى فى ذلك :

وأقبلت الروم تمشى إليك بين الليوث وأشبالها

ويقول أيضا فى قصيدة أخرى ردا على طلب البيزنطيين الهدنة :

فإن تعطه بعض الأمان فسائل وإن تعطه حد الحسام فأخلق

أنظر ديوان المتنبى ص ٣٣٤ — ٣٣٧ ، Canard, op. cit., p. 773

(٣) المتنبى : المصدر السابق ص ٣٤٧ .

(٤) الانطاكى : المصدر السابق ج١ص ١١٣ ، الهمدانى: المصدر السابق ص٣٧٦، ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

وظل قنسطنطين ابن الدمستق محبوسا لدى سيف الدولة حتى مات من علة أصابته ، فعهد سيف الدولة إلى النصارى أمر تكفينه ودفنه فى إحدى الكنائس ثم كتب إلى الدمستق يعزيه[١] ، لكن الشائعات التى سرت فى العاصمة البيزنطية عن موت قنسطنطين مسموما أدت إلى الانتقام من الأسرى المسلمين خصوصا أقرباء سيف الدولة[٢] .

لم يكف البيزنطيون عن طلب عقد الهدنة مع سيف الدولة ، فاستقبل الأمير الحمدانى سفارة فى صفر سنة ٣٤٣ هـ / يونيه ٩٥٤ م[٣] . وقد أخفقت هـــذه السفارة ولم تحصل على نتائج إيجـابية بعد أن علم سيف الدولة بالإجراءات الانتقامية التى أتخذها « برداس فوقاس » ضد الأسرى المسلمين[٤] .

واصل سيف الدولة خطة تعمير وتحصين الثغور الإسلامية ، وبعد بناء حصن رعبان وثغر مرعش أراد سيف الدولة بناء ثغر الحدث الذى سبق أن استولى عليه البيزنطيون سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨م ، فلما وصل سيف الدولة إلى الثغر فى ١٧ جمادى الآخرة سنة ٣٤٣ هـ/١٨ أكتوبر سنة ٩٥٤م وضع بنفسه حجر الأساس ، وحاول البيزنطيون منعه من إعادة بنائه ، فهاجمه الدمستق على رأس جيش كبير من خمسين ألف رجل من الأرمن والروس والبلغار والسلاف والخزر[٥] ، ونشبت المعركة بين الجانبين على جبل يشرف على الحدث يعرف باسم « الأحيدب »[٦] . وبرغم أن قوات سيف الدولة كانت قليلة جدا بالمقارنة بقوات الدمستق « برداس فوقاس » إلا أن سيف الدولة حمل بنفسه فى نحو خمسمائة من غلمانه على الدمستق فقتل من رجاله عددا كبيرا وأسر عددا آخر كان من بينهم صهر الدمستق

(١) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٣
(٢) Cedrenus, op. cit., II. p. 331 ; Canard, op. cit. p. 776
(٣) المتنبى : المصدر السابق ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ .
(٤) Cedrenus, op. cit., II. P. 331 ; Canard, op. cit. PP. 778-779
(٥) المتنبى : المصدر السابق ص ٣٧٤ .
(٦) أبو فراس : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٥ ، Canard, op. cit., P. 779

وحفيده(١) ، أما نقفور بن برداس فوقاس فقد اختفى فى قناة الحدث نهارا فى أثناء المعركة حتى جاء الليـــل فتسلل ولحق بأبيه(٢) . وأتم سيف الدولة بناء ثغر الحدث ووضع بنفسه آخر لبنة فيه فى رجب سنة ٣٤٣ هـ / نوفمبر سنة ٩٥٤ م(٣) .

وإزاء الضغط الإسلامى على منطقة الثغور فقد ألح الإمبراطور قنسطنطين السابع فى طلب الهدنة من سيف الدولة، فقد أدرك الإمبراطور تفوق الأمير الحمدانى على القوات البيزنطيه ، وأن سيف الدولة عازم على إعادة خط الحدود إلى ما كان عليه الحال من قبل ، ووصلت سفارة البيزنطيين إلى حلب فى المحرم سنة ٣٤٤هـ / مايو ٩٥٥م صحبة فرسان من طرسوس والمصيصة وأذنة(٤) ، وقد فشلت تلك السفارة أيضا فى عقد الهدنة المطلوبة .

كان من نتيجة فشل عقد الهدنة مع سيف الدولة أن أصر البيزنطيون على هدم حصن الحدث الذى أعاد سيف الدولة بناءه سنة ٣٤٣ هـ/٩٥٤م فقاده برداس فوقاس ، جيشا كبيرا اشتركت فيه فرق من البلغار والروس والسلاف، وحاصر الحصن فى جمادى الأولى سنة ٣٤٤ هـ / أغسطس ٩٥٥ م ، ولما علم سيف الدولة بذلك خرج على رأس جيشه لمنع البيزنطيين من تحقيق هدفهم، وما أن اقترب فرسان سيف الدولة من حصن الحدث حتى رفع البيزنطيون الحصار وبادروا بالحرب ، فاستغلت حامية الحصن الفرصة وهاجمت البيزنطيين واستولت منهم

---

(١) المتنبى : المصدر السابق ص ٣٧٤ ، Canard, op. cit., p. p. 779—780

(٢) الانطاكى : المصدر السابق جـ ١ ص ١١٣ ، وقد عير أبو فراس نقفور بهذه الواقعة فى مناظرة جرت بينهما ، وقال أبو فراس قصيدته التى منها :

تركناك فى وسط القناة تجوبها كما نافق اليربوع يلتمس الـتربا

أنظر : الثعالبى: يتيمة الدهر جـ١ ص ١٢٠–١٢٢ ، كنار: نخب تاريخية ص ٣٢١–٣٢٤ .

(٣) المتنبى : المصدر السابق ص ٣٧٤ .

(٤) نفسه : ص ٣٨٠ ، ابن ظافر : المصدر السابق حوادث سنة ٣٤٤ هـ ، Canard, op. cit., P. 781

على معدات حربية استعملت فى تقوية وسائل الدفاع عن الحدث[١] .

أدت الهزائم المتكررة التى لحقت بالبيزنطيين على يد سيف الدولة إلى إجراء تغييرات فى القيادة العسكرية البيزنطية، فعزل بردراس فوقاس، سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م وحل محله ابنه نقفور فى منصب الدمستق[٢] فبدأت بذلك مرحلة جديدة من الحروب بين الجانبين الإسلامى والبيزنطى، وبوجه خاص بعد أن ظهر إلى جانب نقفور قادة جدد من طراز كوركواس، مثل يوحنا بن الشمشقيق وليو فوقاس وباسيل ليكابينوس، وكان من نتيجة التغيير فى القيادة العسكرية أن عادت الهجمات البيزنطية على قيليقيا والعراق بعد أن كانت محصورة منذ فترة فى قطاع الحدث — مرعش .

وتوقع سيف الدولة بعد تعيين نقفور فوقاس فى منصب الدمستق زيادة الهجمات البيزنطية على الثغور الإسلامية الباقية، وسواء أراد سيف الدولة أن يسبق بالهجوم أو أن يرد على تحدى ابن الشمشقيق له[٣]، فقد غزا سيف الدولة بطن هنزيط فى سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م ثم عبر نهر أرسناس وأوقع الهزيمة بيوحنا ابن الشمشقيق فى تل بطريق، وكعادة البيزنطيين عندما يعجزون عن المواجهة كمنوا فى الدرب الذى سيعبره سيف الدولة فى أثناء عودته، وبرغم مفاجأة نقفور

---

(١) المتنبى : المصدر السابق ص ٤٠١ — ٤٠٣ ، Canard, op. cit., P. 781
وأشار الأنطاكى أيضا إلى هذه الحادثة باختصار : انظر الانطاكى المصدر السابق ج ١ ص ١١٣ — ١١٤ .

(٢) Theophanes contin, P. 459; Canard, op. cit., P. 783

(٣) علم سيف الدولة أن ابن الشمشقيق أقسم أمام الامبراطور أن يعارض سيف الدولة فى الدرب ويجهد فى لقائه وهزيمته. فلما هزم القائد البيزنطى على يد سيف الدولة قال المتنبى قصيدته التى منها :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم	ماذا يزيدك فى أقدامك القسم
ألى الفتى ابن شمشقيق فأحنثه	فتى من الضرب تنسى عنده الكلم
ابن البطاريق والحلف الذى حلفوا	بمفرق الملك والزعم الذى زعموا

انظر المتنبى : المصدر السابق ص ٤١٦ — ٤١٧ .

فورقاس وابن الشمقشيق لسيف الدوله إلا أنه استطاع هزيمتهما مرة أخرى[١] ثم واصل سيره إلى آمد فوصلها فى العاشر من صفر من ذات العام سنة ٣٤٥هـ/ ٢٥ مايو سنة ٩٥٦م[٢] .

عاد سيف الدولة من غزوته السابقة فوجد البيزنطيين بقيادة ليوفوقاس قد هزموا أبا العشائر الحسين بن على بن حمدان حاكم دلوك وأسروه ونقلوه إلى القسطنطينية[٣] ، فاستعد سيف الدولة للقيام بغزوة انتقامية فى الأراضى البيزنطية ، وسار فى جمادى الآخرة من نفس العام ٣٤٥هـ/أكتوبر ٩٥٦م قاصداً خرشنه وصارخته فخربهما وأسر عدداً من البطارقة[٤]، ثم سار إلى حصن زياد وحاصره إلا أنه اضطر إلى رفع الحصار والعودة بعد أن وصلته الأخبار بأن الدمستق نقفور فوقاس اتجه إلى مهاجمة الشام[٥] ، ثم أغار البيزنطيون على ثغر طرسوس وأحرقوا قراها[٦] . فأسرع حاكم الثغر وقابل سيف الدولة أثناء عودته عند أذنه ، فخلع عليه سيف الدولة وزوده بالأموال والعتاد[٧] .

---

(١) الأنطاكى : المصدر السابق جـ ١ ص ١١٤

(٢) المتنبى : المصدر السابق ص ٤١٢ .

(٣) الانطاكى : المصدر السابق ص ١١٤ .

(٤) ابن العديم : المصدر السابق جـ ١ ص ١٢٦ — ١٢٧ .

(٥) الانطاكى : المصدر السابق جـ ١ ص ١١٤ .

(٦) الذهبى : العبر جـ ٢ ص ٢٦٦ ، Canard, op. cit., P. 793

(٧) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ٦ ص ٣٥١ .

تحول الموقف العسكرى لمصلحة البيزنطيين :

تحول الميزان العسكرى لمصلحة البيزنطيين منذ سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م، فتمكن نقفور فوقاس من الاستيلاء على حصن الحدث فى ربيع الأول سنة ٣٤٦هـ/ يونيه ٣٥٧م دون قتال وقام بتدميره وطرد حاميته إلى حلب[1] . وبرغم أهمية ذلك الحصن الذى هو مفتاح الطريق إلى شمال سوريا[2] ، وسعى البيزنطيين كثيرا من قبل للاستيلاء عليه ، وإشراف سيف الدولة بنفسه على إعادة بنائه وتعميره فى سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م ، إلا أن سيف الدولة لم يتمكن من التحرك لاستعادة الحصن مرة أخرى من يد البيزنطيين ، ويرجع ذلك إلى عدم ثقة سيف الدولة فى قواته بعد أن اكتشف مؤامرة دبرها غلمانه فى جمادى الأولى من نفس العام للقبض عليه عند خروجه للحرب وتسليمه إلى الدمستق الذى دفع مبلغا كبيرا من المال المتآمرين . ولما علم سيف الدوله بالمؤامرة وكان قد خرج من حلب قاصدا الحدث عاد من فوره وعاقب المتآمرين ، كما قتل عددا من الأسرى البيزنطيين وتشدد فى مراقبة قنسطنطين بن برداس الأسير فى حلب فزاد فى قيده وجعله يبيت معه فى داره[3] .

استغل البيزنطيون إنتصارهم فى الحدث ، وواصلوا غاراتهم على منطقة الجزيرة ، فهاجم ابن الشمشقيق سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م آمد وأرزن وميافارقين ، ثم حاصر حصن اليماق بالقرب من آمد ، ولم يستطع سيف الدوله الخروج بنفسه لقتال البيزنطيين ، فأرسل غلامه نجا فى عشرة آلاف رجل إلا أن ابن الشمشقيق ألحق به الهزيمة[4] ، ثم أعقب البيزنطيون ذلك بالإستيلاء على

---

(١) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٤ .

(٢) Canard, op. cit., P. 781

(٣) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٧ .

(٤) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٤ .

سميساط ، ولما لم يرسل سيف الدوله جيشه لاستردادها أو الوقوف فى وجه تقدمهم زاد طمعهم واتجهوا نحو سوريا ، ووصلوا حتى رعبان على الطريق بين حلب وسميساط ، وهنا أدرك سيف الدوله خطورة الوضع فخرج على رأس ما توفر لديه من قوات والتقى مع المهاجمين فى معركة عند رعبان ، لكن الهزيمة حلت به فى شهر شعبان سنة ٣٤٧ هـ / نوفمبر سنة ٩٥٨ م[١] .

وإذا كانت هزيمة نجا فى منطقة الجزيرة، وهزيمة سيف الدوله عند رعبان قد كشفتا عن الضعف الذى أصبحت فيه القوات الحمدانية . فان موقف سيف الدوله ازداد اضطرابا بعد هروب أخيه ناصر الدوله من الموصل إلى حلب طالبا المعونة ضد معز الدوله البويهى الذى استولى على الموصل[٢] . وأراد البيزنطيون استغلال الموقف الحرج لسيف الدوله ، وهاجموا قورس وهى على الطريق بين حلب وأنطاكية[٣] ، إلا أن سيف الدوله استطاع إلحاق الهزيمة بهم كما تمكن من استرجاع الأسرى المسلمين[٤] .

رأى الإمبراطور قنسطنطين السابع أن يقوم بنفسه بحمله ضد الإمارة الحمدانية ، فسافر فى رجب سنة ٣٤٨ هـ / سبتمبر سنة ٩٥٩ م لاستشارة أحد الرهبان الموجودين فى أحد الأديرة على جبل أوليمبوس فى بيثينيا بخصوص الحملة التى يزمع القيام بها ، لكن القدر لم يمهل قنسطنطين حتى ينفذ مشروعه فمات فى شعبان سنة ٣٤٨ هـ / نوفمبر سنة ٩٥٩ م قبل أن يقوم بحملته[٥] .

وتولى الإمبراطور رومانوس الثانى العرش خلفا لوالده قنسطنطين السابع، وأجرى الإمبراطور الجديد تغييرات فى القيادة العسكرية البيزنطية ، فنقل نقفور فوقاس من القيادة الشرقية للعمل ضد كريت التى سبق أن فشلت أمامها

(١) الأنطاكى: نفس المصدر والجزء ص ١١٤-١١٥؛ Canard, op. cit., P. 795

(٢) الانطاكى: المصدر السابق ج ١ ص ١١٥؛ الهمدانى: المصدر السابق ص ٣٨٤-٣٨٦

(٣) عن موقع قورس أنظر : كنار : نخب تاريخية ص ٤٨ هامش ٤ .

(٤) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٥ .

(٥) Cedrenus, op. cit., II, P. 337 ; Canard, op. cit., P. 797

كل الجهود البيزنطية لاستردادها من المسلمين (١) ، كما تم تعيين ليوفوقاس دمستقا على الشرق لمواجهة الحمدانيين خلفا لاخيه نقفور (٢) ، وقد عاون ليو فوقاس فى مهمته ابن الشمشقيق قائد ثغر أعالى العراق .

وواصل البيزنطيون فى ظل القيادة الجديدة تصعيد عملياتهم العسكرية ضد المدن والحصون الإسلاميه ، فهاجم ابن الشمشقيق فى سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م منطقة الجزيرة حيث حاصر آمد وميافارقين ، كما أغار على نصيبين والرها وحران(٣) أما الدمستق ليو فوقاس فقد هاجم طرسوس والهارونية ثم اتجه إلى ديار بكر ،فلما خرج سيف الدولة من حلب لملاقاته رجع الدمستق إلى الشام وتمكن من أسر محمد بن ناصر الدولة نائب سيف الدولة فى حلب . (٤)

كان للاستعدادات الضخمة التى قام بها البيزنطيون فى سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م من أجل غزو جزيرة كريت أثر مباشر على الموقف العسكرى فى جبهة القتال ضد الحمدانيين ، فقد سحبت القيادة العسكرية البيزنطية بعض الفرق العاملة على تلك الجبهة ونقلتها إلى كريت ، ولما شعر سيف الدولة بنقص القوات البيزنطية المواجهة له إعتبر الفرصة سانحة فى إمكان تحقيق نصر عسكرى كبير يصحح بة ميزان القوى الذى مال أخيرا لمصلحة البيزنطيين بعد استيلائهم على الحدث وسميساط ، ومن هنا كان السبب فى قيام سيف الدولة بغزوته المشهورة داخل الأراضى البيزنطية فى عام ٣٤٩هـ / ٩٦٠م (٥) ، تلك الغزوة التى انتهت بكارثه خطيرة بالنسبة له .

كانت خطة سيف الدولة فى حملته هذه تقضى بمهاجمة أكبر عدد من المواقع

(١) أنظر ماسبق ص ١١٩ — ١٢٨

(٢) الأنطاكى : المصدر السابق ج١ ص١١٦ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ج١ ص١٢٩

(٣) Canard, op. cit., p. 799

(٤) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٦ ، ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(٥) Leo diaconus, Historiae. PP. 17—18

البيزنطية فى وقت واحد، فعلى حين استعد هو لاختراق عمق الأراضى البيزنطية حتى خرشنه ، أرسل غلامه نجا لمهاجمة المناطق المتاخمة لديار بكر [١] وسار نجا على رأس جيش كبير وفرض الحصار على حصن ذى القرنين الذى كان قد سقط من قبل فى يد البيزنطيين ، فأسرع البيزنطيون بقيادة ميخائيل بطريق هنزيط وقوة ومن الأرمن بقيادة تورنيق Torniq لملاقاة نجا الذى استطاع إلحاق الهزيمة بهم جميعا رغم كثرة عددهم حتى بلغ عشرة أمثال المسلمين ، ولما لجأ بعض البيزنطيين إلى أحد الجبال صعد خلفهم نجا وقتلهم عليه [٢] ، وبرغم ذلك الإنتصار فإن هناك شكا فى أن نجا قد استولى على الحصن [٣] ، وأغلب الظن أن الهزيمة التى لحقت بسيف الدولة جعلت نجا يبادر بالعودة إلى حلب .

أما سيف الدولة فقد زحف على رأس ثلاثين ألف رجـــل من قواته بالإضافة إلى بعض القوات من طرسوس ، ونجح فى فتح العديد من الحصون البيزنطية ، وحصل على كثير من الغنائم والسبى وتقدم فى زحفه داخل الأراضى البيزنطية حتى خرشنه [٤] ، ثم فاجأ الدمستق ليو فوقاس الذى لم يكن معه سوى قوات قليلة استولى عليها الخوف ، ولما أيقن ليو فوقاس استحالة مواجهة سيف الدولة فى معركة مكشوفة بينهما لجأ إلى أسلوب الكمائن والهجوم من الخلف ، وهو الإسلوب الذى أجاده البيزنطيون واستخدموه كثيرا . فحث الدمستق رجاله على إحتلال قمم الجبال وكهوف الوديان وأشجار الغابات فى الدروب التى سيعبرها سيف الدولة فى أثناء عودته [٥] ويبدو أن الطرسوسيين علموا بوصول ليو فوقاس وقواته واحتلالهم الدروب، فأخطروا سيف الدولة

(١) Canard, op. cit. PP. 800—801

(٢) ابن ظافر : المصدر السابق حوادث سنة ٣٤٩ ﻫ .

(٣) Canard, op. cit., P. 801

(٤) مسكويه : المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٠ — ١٨١

(٥) Leo diaconus, op. cit., PP. 19—22

بذلك ونصحوه بتغيير طريق العودة والرجوع معهم من طريق اخر ، إلا أن سيف الدولة الذى كان معجبا بنفسه ومستبدا برأيه رفض قبول النصيحة [١].

وهكذا استطاع ليو فوقاس مفاجأة سيف الدولة فى ١٥ رمضان سنة ٣٤٩ هـ / نوفمبر سنة ٩٦٠ م فى أثناء عبوره الدرب الذى أطلقت عليه المصادر العربية اسم الكجك أو مغارة الكحل — وفى المصادر البيزنطية أندراس Andras — فشنت القوات البيزنطية من كمائنها غارات مكثفة على القوات الحمدانية التى تشتتت فرادى فى المضيق بعد أن أجهدها السير وثقلت حمولتها من الغنائم والسبى ، فتمكن البيزنطيون عندئذ من تحرير أسراهم واسترجاع أسلابهم ، بل إن القوات البيزنطية استولت على جميع أسلحة وخزائن القوات الحمدانية [٢] ، وكاد سيف الدولة نفسه يقع أسيرا فى يد البيزنطيين لولا أن نثر المال والذهب الذى كان يحمله ، فتقاعس البيزنطيون عن مواصلة الهجوم وأخذوا يجمعون الاموال من الطريق ، فتمكن سيف الدولة من الهرب مع عدد يسير من قواته [٣].

كانت هزيمة سيف الدولة فى مغارة الكحل ذات أثر بالغ على إمكانياته العسكرية ، فالخسائر التى منى بها لم يكن من السهل تعويضها فى فترة قصيرة . وتمثل هذه الكارثة بداية أفول نجم سيف الدولة العسكرى والسياسى ، وكان بإمكان البيزنطيين مواصلة الهجوم بعدها حتى حلب نفسها ، فالطريق كان مفتوحا بغياب سيف الدولة وتشتت معظم جيشه ، كما أن غلامه نجا كان غائبا أيضا عن حلب ، إلا أن ليوفوقاس آثر العودة إلى القسطنطينية للاحتفال بالنصر [٤]، ومن المرجح ان إنشغال الإمبراطور رومانوس الثانى بارسال الإمدادات إلى

(١) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٠ — ١٨١، ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ٣٥٨ ، Canard, op. cit., P. 802

(٢) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٧ .

(٣) Leo diaconus, op. cit., PP. 22—23

(٤) Cedrenus, op. cit., II, P. 341; Leo diaconus op. cit., p. 24

كريت هو الدافع وراء إستدعاء ليو فوقاس إلى العاصمة البيزنطية والاكتفاء بصد هجمات سيف الدولة فى تلك الفترة ، دون التورط بالتوغل فى عمـــق الأراضى الحمدانية .

أراد سيف الدولة الإنتقام لهزيمته فى مغارة الكحل ، فأرسل غلامه نجا فى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م للقيام بغزو الاراضى البيزنطية، ونجح نجا فى هزيمة القوات البيزنطية وقوات ملطية المشتركة معها بقيادة عبدالله الملطى عندهنزيط وفى العودة وجد نجا ان البيزنطيين قد احتلوا الدرب الذى سيعبره ، ويبدو ان نجا كان قد اتخذ الإحتياطات العسكريه الكافيه بعد ان وعى درس هزيمة سيف الدولة فى عام ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م ، فاستطاع نجا الإنتصار على البيزنطيين وسيطر على الدرب وخرج منه سالما ، ثم سار إلى قالقيلا فقام بغارة أخرى حصل فيها على غنائم وفيرة وعاد إلى حلب [١] ، وبرغـــم الإنتصارات التى أحرزها نجا فى القتال ضد البيزنطيين إلا أنها لم تنته باسترداد أى حصن من الحصون ، فكل مايمكن أن توصف بهعمليات نجا العسكرية أنها كانت غارات انتقامية ، فكانت نتائجها قليلة الأثر فى الموقف العسكرى بين الحمدانيين والبيزنطيين .

عاد نقفور فوقاس إلى العاصمة البيزنطية سنة ٣٥٠ هـ/٩٦١ م بعد إستعادة كريت إلى حظيرة المسيحية مرة أخرى ، فتقرر تعيينه دمستقا على الشرق خلفا لأخيه ليو فوقاس ، والواقع أن مهمة نقفور قد أصبحت سهلة بعد كسر القوة الأساسية لسيف الدولة فى مغارة الكحل سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م . وقد تحددت الاستراتيجية البيزنطية منذ عودة نقفور فوقاس إلى الشرق بالعمل على الاستيلاء على حلب نفسها ، ومن هنا يمكن تفسير إتجاه الحملات البيزنطية على الأراضى الحمدانية فى تلك الفترة ، فالعمليات العسكرية البيزنطية التى بدأت منذ شهر ذى القعدة سنة ٣٥٠ هـ / ديسمبر سنة ٩٦١م واستمرت حتى

(١) ابن ظافر : المصدر السابق حوادث سنة ٣٥٠ هـ ،

Canard, op. cit., P. 804

أوائل سنة ٣٥٢هـ / ٩٦٣م تنقسم إلى مجموعتين : عمليات فى قيلقيا والعواصم حتى حدود الفرات ، والهدف منها تمهيد الطرق للزحف على حلب نفسها ، ثم العمليات التى تمت منذ أواخر سنة ٣٥١هـ / ٩٦٣م وأنتهت بالاستيلاء على حلب[١] .

واتخذ البيزنطيون من مدينة قيصرية فى كبادوكيا قاعدة لعملياتهم العسكرية ففيها كانت القوات القادمة من القسطنطينية تجتمع مع القوات التابعة لقادة آسيا الصغرى ، وفى قيصريه كان الدمستق يقضى الصوم الكبير وعيد الفصح خلال الفترات التى تتخلل العمليات العسكرية[٢] .

اتجه نقفور فوقاس فى بداية عملياته العسكرية فى ذى القعدة سنة ٣٥٠هـ/ ديسمبر سنة ٩٦١م إلى الاستيلاء على مدينة عين زربى لأنها تقع على أقصر طريق بين قيصرية وحلب[٣]. ووفقا لتقديرات بعض المؤرخين المسلمين فإن نقفور هاجم عين زربى بمائة وستين ألف مقاتل ، وهو رقم يشير إلى المبالغة، لكنه يدل أيضا على أن نقفور قد استعد لعملياته العسكرية بامكانيات ضخمة ، ونظرا لأن عين زربى تقع فى سفح جبل ، فقد أرسل نقفور فرقة من جيشه استولت عليه فى حين عسكر هو مع باقى الجيش على أبواب المدينة[٤] وفى أثناء الحصار المضروب على عين زربى خرج رشيق النسيمى والى طرسوس مع قواته لمفاجأة نقفور، إلا أن الهزيمة حلت برشيق وأسر كما قتل عدد كبير من قواته ، وعاد نقفور لاستكمال فتح المدينة[٥] ، ولما رأى سكان عين زربى أن الحصار قد أحكم على مدينتهم ، وأن العدو آخذ فى نقب الأسوار استعدادا

---

(١) Canard, op. cit., P. 805
(٢) Ibid.
(٣) Ibid., P. 806
(٤) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٠ ، ١٩١ .
(٥) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٨ .

لاقتحامها طلبوا من نقفور الأمان وفتحوا له أبواب المدينة[١] ، وبرغم أن نقفور قد منحهم الأمان إلا أنه لم يحترم وعده ، وبالغ فى انتقامه ، فجمع السكان فى المسجد وقتل كل من تأخر فى بيته ، ثم قطع نخيل البلدة ويقدر بأربعين ألف نخلة . أما من تجمع من السكان فى المسجد فقد أمر بطردهم فورا خارج المدينة وإلا قتلوا ، ثم استولى على الأسلحة والأمتعة وأمر بهدم الجامع وكسر المنبر ودمر أسوار المدينة ومنازلها ، وظل نقفور ينشر الخراب إحدى وعشرين يوما فتح خلالها أربعة وخمسين حصنا حول عين زربى ، بعضها بالأمان وبعضها بالسيف[٢] ، فلما اقترب موعد الصوم وعيد الفصح - ٣٠ مارس سنة ٩٦٢م - غادر نقفور عين زربى إلى قيصرية ليكون قريبا من العاصمة ، فيسهل عليه الاتصال بأنصاره لبحث خططه فى الاستيلاء على الحكم وكيفية التصرف مع أعدائه فى البلاط الامبراطورى[٣] ، أما بقية الجيش البيزنطى فقد واصل الهجمات على حصن دلوك ورعبان ومرعش خلال شهر ربيع الأول سنة ٣٥١هـ/ أبريل سنة ٩٦٢م[٤] .

قام سيف الدولة بعد رحيل نقفور فوقاس باعادة بناء حصن زربى المتهدم ، وأعاد إليه سكانه[٥] ، ونظرا لأن سيف الدولة كان لا يزال فى موقف لا يمكنه من مباشرة الغزو بنفسه أو الرد على الهجمات البيزنطية فقد اكتفى بأن أرسل فرقة من جيشه مع قوات من طرسوس للقيام ببعض الغارات المحدودة داخل الأراضى البيزنطية ، كما أرسل أيضا غلامه نجا إلى منطقة ديار بكر ، فحاصر

---

(١) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٠ - ١٩١ ؛ د. علية الجنزورى: الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى ص ٧١ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ج ٧ ص ٧ .

(٣) Canard, op. cit., p. 807.

وكان من أكبر أعداء نقفور فى البلاط المستشار يوسف برنجاس . أنظر :
Leo. diaconus, op. cit., p. 31, Cedrenus, op. cit., p. 345.

(٤) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٨ .

(٥) نفس المصدر والجزء والصفحة .

حصن زياد وأنزل الهزيمة بالقوات البيزنطية فى شعبان سنة ٣٥١ه/ سبتمبر سنة ٩٦٢م[١] ومع أن العمليات العسكرية التى قام بها نجا لم تكن سوى غارات انتقامية محدودة النتائج ولا تخضع لاستراتيجية واضحة فإن البيزنطيين لم يهملوا الرد عليها . فعلى أثر هجوم نجا على حصن زياد أغار البيزنطيون على منبج فى شوال سنة ٣٥١ه نوفمبر سنة ٩٦٢م وأسروا واليها أبا فراس الحمدانى[٢] .

ورأى الدمستق نقفور فوقاس أن الوقت قد حان للقيام بحملة كبيرة يقصم بها ظهر الإمارة الحمدانية ، وحدد هدفه فى الاستيلاء على حلب نفسها ؛ وقد وقع هجوم نقفور على حلب « كالكبسه » فلم يعلم به سيف الدولة إلا عند اقتراب القوات البيزنطية[٣] ، ومع أن عامل المفاجأة قد تحقق وأدى دوره إذ لم يتوقع سيف الدولة قيام نقفور بالهجوم على حلب فى وسط فصل الشتاء[٤] ، فإن الأمر المؤكد أن سيف الدولة سواء علم بالهجوم أم لم يعلم فإنه وقد دب الضعف فى جسده[٥] وأمارته وزاد الطامون من غلمانه فيه لم يكن باستطاعته الوقوف فى وجه نقفور الذى جاء بجيش يؤكد أنه ينوى أن يفعل بحلب مافعله من قبل بكريت وعين زربى[٦] .

وما أن اقترب نقفور فوقاس بقواته من حلب حتى أنفذ سيف الدولة غلامه نجا مع معظم قواته لصده ، فى حين ظل سيف الدولة نفسه داخل

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٧ ص ٥ ، Canard, op, cit., p. 809.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٧ ص ٥، الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٨، Canard, op. cit., pp. 809—810.

(٣) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٨ ، مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٢ — ١٩٣ .

(٤) وقع هجوم نقفور على حلب فى ذى القعدة سنة ٣٥١ه / ديسمبر ٩٦٢ . الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٩ .

(٥) أصيب سيف الدولة بفالج منذ سنة ٣٥٠ه: ابن الأثير: المصدر السابق ج ٧ ص ٥ .

(٦) قدر بعض المؤرخين المسلمين عدد جيش نقفور بمائتى ألف رجل أنظر : مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٣ ، ابن الأثير : المصدر السابق ج ٧ ص ٣ ، ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٣ .

المدينة لإعداد المقاومة ، وذكر أحد المؤرخين أن نجا تقابل مع فرقة من جيش نقفور بقيادة ابن الشمشقيق عند بلدة إعزاز ، فانهزم نجا وعاد متقهقرا كى يلحق بنقفور الذى تقدم باتجاه حلب[١] ، وذكر مؤرخ آخر أن نجا توجه إلى الأثارب ومنها إلى أنطاكيه حيث ابتعد عن طريق الجيش البيزنطى ، ثم وصل إلى دلوك ومنها إلى تل حامد ثم تبل القريبة من إعزاز[٢]، وبالتالى لم يشترك نجا فى القتال ضد البيزنطيين ، ونستنتج من الروايتين تباطؤ نجا وعدم إسراعه فى العودة إلى حلب للانضمام إلى سيف الدولة بعد أن أصبحت المقاومة متعذرة خارج المدينة ، ويبدو أن نجا رأى أن الوقت قد حان كى يرث سيده سيف الدولة فى حكم حلب[٣] ، وبوجه خاص بعد أن زاد نفوذه زيادة كبيرة وأصبح سيف الدولة يعتمد عليه فى العمليات العسكرية المهمة ، وهذا يفسر بقاء نجا بعيدا عن حلب انتظارا لتطورات الموقف دون أن يشترك بقواته بصورة مباشرة فى القتال الذى دار على أبواب المدينة .

وصلت جحافل البيزنطيين بقيادة نقفور فوقاس وابن الشمشقيق إلى حلب فى شهر ذى القعدة سنة ٣٥١هـ/ ديسمبر سنة ٩٦٢م ، فتصدى لها سيف الدولة عند باب اليهود مع قواته القليلة ومن انضم إليه من سكان حلب ، وقاتل سيف الدولة قتالا يائسا ولم يصمد طويلا أمام البيزنطيين ، فحلت به الهزيمة وولى هاربا فى طريق بالس يتتبعه ابن الشمشقيق ؛ أما قوات سيف الدولة وعامة سكان حلب فقد انسحبت فى فوضى إلى باب اليهود بعد أن قتل منهم عدد كبير[٤] ، وكان من بين القتلى عدد من أقارب سيف الدولة ، وقائد جيشه وكاتبه[٥] . كما نهب نقفور دارا لسيف الدولة ثم أحرقها[٦] .

---

(١) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٨ .

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٣ .

(٣) Canard, op. cit., p. 812

(٤) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١١٩ .

(٥) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٤ .

(٦) الهمدانى : المصدر السابق ص ٣٩٤ .

وجرت مفاوضات فاشلة بين نقفور وشيوخ حلب علم نقفور خلالها أن المدينة خالية من المقاتلين . فأمر رجاله باعتلاء أسوارها واقتحامها وساعد على نجاح القوات البيزنطية فى مهمتها الفتنة التى نشبت بين السكان بسبب نهب الشرطة للمنازل والمتاجر، وانصراف الحراس المكلفين بحفظ الأسوار الدفاع عن ممتلكاتهم[١] وفى داخل حلب إرتكب البيزنطيون أعمالا وحشية ، فقتلوا كل من وجدوه فى طريقهم إلى أن ملوا القتل ، كما أطلقوا سراح الأسرى البيزنطيين المعتقلين فى حلب ، وأعطوهم السلاح ليحاربوا معهم، وسبوا من المدينة آلاف السكان ، واستولوا على غنائم هائله وخربوا المساجد[٢] ، وبالرغم من سيطرة نقفور على كل أنحاء حلب فإنه لم يتمكن من الاستيلاء على القلعة التى تحصنت بها فرقه من الديالمه ، فلما أصر أحد القادة البيزنطيين على احتلالها لقى حتفه على بابها، فانتقم نقفور له بأن قتل من معه من الأسرى المسلمين[٣] .

غادر نقفور حلب فى مستهل ذى الحجة سنة ٣٥١هـ/٣١ ديسمبر سنة ٩٦٢م بعد أن حقق هدفه بتدمير العاصمة الحمدانية ، وقال نقفور لسكان القرى المحيطة بحلب « هذا البلد قد صار لنا فلا تقصروا فى عمارته فإنا بعد قليل نعود إليكم »[٤] لكنه لم يترك حامية بيزنطية فى المدينة، والواقع أن عودة نقفور السريعة ، وعدم ترك حامية بيزنطية فى حلب بعد الاستيلاء عليها أمر ليس له تفسير واضح فى ضوء الامكانيات العسكرية الضخمه التى كانت مع نقفور الا أن تكون تلك العودة مرتبطة بمشروعات نقفور فى القسطنطينية .

كان للهجوم البيزنطى على حلب دوى كبير فى العالم الإسلامى ، فعمت مشاعر السخط جماهير المسلمين ، وأغلق أهل الموصل الأسواق ، واجتمعوا فى المسجد الجامع ، ومضوا إلى ناصر الدولة يطالبونه بالغزو فوعدهم بذلك ،

(١) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٥ – ١٣٧ .
(٢) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٣ .
(٣) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٧ — ١٣٨ .
(٤) مسكويه : المصدر السابق ج ١ ص ١٩٤ ، ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٠ .

وفى بغداد وجه المسلمون إلى الخليفة العباسى المطيع كتابا شرحوا فيه ماحدث وطالبوه بالجهاد ، لكن الخلافه العباسية الضعيفة لم تستطع أن تفعل أكثر من الوعد بمخاطبة معز الدولة البويهى المهيمن على الأمور فى بغداد ، فقال الخليفة المطيع « قد غمنى ماجرى وأنتم تعلمون أن سيفى معز الدولة وأنا أرسله فى هذا » لكن الجماهير الغاضبة لم يعجبها ذلك الرد وقالت له « لا نقنع إلا بخروجك أنت وأن تكتب إلى سائر الآفاق وتجمع الجيوش وإلا فتعزل لتولى غيرك » ، ولم تؤدكل تلك الحركات الشعبيه إلى نتيجة إيجابيه ، فقد جاء معز الدولة وقواته وصرف الجماهير صرفا عنيفا[1] .

عاد سيف الدوله إلى حلب وبدأ فى تنظيم قواته من جديد ، لكن حجم الخسائر التى منى بها حالت دون إستغلال الاضطرابات الداخلية التى مرت بها الأمبراطورية البيزنطية بعد إنسحاب نقفور من حلب ، فقد مات الأمبراطور رومانوس الثانى فى صفر سنة ٣٥٢هـ مارس ٩٦٣م تاركا إبنين صغيرين هما باسيل وقنسطنطين بوصاية أمهما ثيوفانو وبتدبير الوزير يوسف برنجاس الذى سعى إلى التخلص من نقفور بمحاولة سمل عينيه وقتله ، وقد وقف إلى جانب نقفور فى هذه المشكلة البطريرك بوليكتاس Polyeuctuas حتى أعلن نقفور أمبراطورا من قبل قواته ، ثم زحف على القسطنطينية وتوج فى ١٦ أغسطس سنة ٩٦٣م[2] ، وهكذا مر الجزء الأكبر من عام ٣٥٢هـ/٩٦٣م دون حدوث مواجهة بين الجانبيين الحمدانى والبيزنطى بسبب إنشغال كل منهما بتنظيم شئونه الداخلية .

وتمكن سيف الدولة من إعادة تنظيم قواته أواخر عام ٣٥٢هـ / ٩٦٣م . وبدأ الحمدانيون غاراتهم على الأراضى البيزنطيةعن طريق ثلاثة دروب مختلفة فهاجم الطرسوسيون من ناحيتهم وتوغلوا حتى قونية[3] .وفى عودتهم فوجئوا

---

(١) الذهبى : تاريخ الإسلام . مجلد ١٦ مخطوط بدار الكتب حوادث سنة ٣٥٢هـ.

(٢) Leo diaconus, op. cit, pp. **31—40**; Jenkins, **Byzantum, The Imperial centuries**, pp. **276—277.**

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٧ ص ٧ .

بالقوات البيزنطية قد احتلت الدرب غير أن الطرسوسيين استطاعوا هزيمة القوات البيزنطية والخروج من الدرب بسلام[١]. ودخل نجا غلام سيف الدولة الأراضي البيزنطية من درب آخر ووصل حتى ملطيه واستمرت هجماته ثمانية عشر يوما[٢]، وفي عودته تقابل في ميافارقين مع متطوعين من خراسان قدموا للجهاد[٣]، ولم يستطع نجا الاتفاق معهم فواصلوا سيرهم للانضمام إلى سيف الدولة[٤] الذي كان مريضا في تلك الفترة فلم يستطع دخول الأراضي البيزنطية واكتفى بأن أقام على رأس أحد الدروب انتظارا لهجوم بيزنطي مضاد، ولم يعد إلى حلب إلا بعد أن عاد نجا والطرسوسيون[٥].

وعين الامبراطور نقفور فوقاس يوحنا ابن الشمشقيق دمستقا على الشرق، وأرسله للرد على هجمات الحمدانيين، فاخترق ابن الشمشقيق قيليقيا ونزل على أذنه في ذي الحجة سنة ٣٥٢ هـ ديسمبر سنة ٩٦٣ — يناير سنة ٩٦٤م[٦]، وقد أسرعت قوات طرسوس لمساعدة أذنه إلا أن الدمستق ابن الشمشقيق أنزل بالطرسوسيين الهزيمة وقتل منهم عددا كبيرا، فلجأ الباقي إلى تل بالقرب من أذنه فأحاط به البيزنطيون وقضوا على الطرسوسيين[٧]، وقد أطلق على ذلك التل بعد هذه المعركة إسم تل الدم لكثرة ماجرى عليه من دماء المسلمين[٨].

---

(١) الذهبي: المصدر السابق مجلد ١٦ حوادث سنة ٣٥٢ هـ،
Canard, op. cit: p. 818.

(٢) ابن ظافر: المصدر السابق: حوادث سنة ٣٥٢ هـ.

(٣) ابن نباتة: الخطب النباتية، مخطوط بدار الكتب بالقاهرة رقم ٢٠١٢٤ ب خطبته يوم الجمعة ١٤ ذي القعدة سنة ٣٥٢ هـ لوحة ٥٤ - ٥٥ وكنار: نخب تاريخية ص ١٦٧.

(٤) مسكويه: المصدر السابق ج ٦ ص ٢٠١، ٢٠٢، Canard; op. cit; p 818.

(٥) ابن الأثير: المصدر السابق ج ٧ ص ٧، مسكويه: المصدر السابق: ج ٦ ص ١٩٨، ١٩٩.

(٦) ابن العديم: المصدر السابق ج ١ ص ١٤١ وينسب المعركة خطأ إلى نقفور فوقاس، د. عليه الجنزوري: المرجع السابق ص ٦٣، Cedrenus, op. cit., II, p. 360-361.

(٧) الأنطاكي: المصدر السابق ج ١ ص ١٢١، ١٢٢، ابن العديم: المصدر السابق ج ١ ص ١٤١.

(٨) Cedrenus op. cit., II, p. 361; Canard, op. cit., p. 818-819.

هرب سكان أذنه إلى المصيصه تحت ضغط الهجمات البيزنطية ، فاتجــه ابن الشمشقيق إليها وحاصرها فى أوائل عام٣٥٣هـ /٩٦٤م ، وبرغم أنه نقب أسوارها استعدادا لاقتحامها فأنه لميستطع الاستيلاء عليها بعد أن نقصت المؤن لديه[١] ، ووقع الوباء فى قواته[٢]، كما أن سيف الدولة — رغم مرضه — اتجه على رأس قواته بعد أن انضمت إليه القوات الوافده من خراسان لمواجهة ابن الشمشقيق[٣] ، فاضطر البيزنطيون عندئذ إلى رفع الحصار قبل وصول سيف الدولة،واكتفى ابن الشمشقيق بأن أحرق ضواحي المصيصه[٤]،ولم يتمكن سيف الدولة والخراسانيون من مواصلة سيرهم لغزو الأراضى البيزنطية بسبب مرض سيف الدوله من ناحيه، والغلاء الناشب فى الثغور وبلاد الشام من ناحيه أخرى ، فعاد الخراسانيون إلى بغداد ومنها إلى خراسان[٥] .

تـكالبت المحن على سيف الدولة منذ أواخر سنة٣٥٣هـ/٩٦٤م ، فثار غلامه نجا واتجــه إلى ميافارقين ، فاضطر سيف الدولة إلى الذهاب إليه لإخماد ثورته[٦] ، كما دخل ناصر الدولة فى حرب مع معز الدولة البويهى بسبب تأخير ناصر الدولة فى سداد المال المقرر عليه[٧] ، وقد استغل البيزنطيون هذه الظروف وشددوا هجماتهم على ماتبقى من الثغور الإسلامية .

وتحددت الإستراتيجية البيزنطية فى تلك الفترة فى الاستيلاء على المصيصه وطرسوس وأنطاكيه ، ومهد الأمبراطور نقفور فوقاس لعملياته العسكرية بعمل دبلوماسى ، فأرسل سفارة إلى سيف الدولة لـكنها لم تحقق نتائج إيجابيه، فشن نقفور هجوما على قيليقيا فى ذى القعده سنة ٣٥٣هـ / نوفمبر سنة ٩٦٤م ،

(١) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٢ .
(٢) الهمدانى : المصدر السابق ص ٤٠٢ .
(٣) مسكويه : المصدر السابق ج٦ ص٢٠٢ ، الأنطاكى: المصدر السابق ج١ ص١٢٢ .
(٤) مسكويه: المصدر السابق ج٦ ص٢٠٢ ، الأنطاكى: المصدر السابق ج١ ص١٢٢ .
(٥) مسكويه: المصدر السابق ج٦ ص٢٠٢ ، الأنطاكى: المصدر السابق ج١ ص١٢٢ .
(٦) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .
(٧) الهمدانى : المصدر السابق ص ٤٠١ .

وحاصر أذنه ثم المصيصه مدة تزيد على خمسين يوما ، كما هاجت فرقه العسكرية مناطق واسعة حتى أنطاكيه ، ونظرا لاشتداد الغلاء والمجاعة فى تلك الفترة فإن نقفور لم يستطع إمداد جيشه بالمؤن ، فأضطر إلى رفع الحصار عن المصيصة والانسحاب إلى قيصريه فى كباد وكيا ، وبعد قضاء بقية فصل الشتاء عاد نقفور مرة أخرى إلى مهاجمة المصيصه ، وتمكن من الإستيلاء عليها فى شهر رجب سنة ٣٥٤هـ/ يوليه ٩٦٥م ، وأسر من نجـــا من سكانها وساقهم إلى الأراضى البيزنطيه[1] .

وسار نقفور فوقاس من المصيصه إلى طرسوس حصن الدفاع عن الشام ، فهى القاعدة لأى عملية هجومية تتم داخل قيليقيا من جانب المسلمين وبعد مقاومة يائسة من جانب الطرسوسين الذين فقدوا الأمل فى مساعدة سيف الدولة لهم بسبب إنشغاله فى إخماد ثورة غلامه نجا فى الجزيرة وأرمينيا[2] ، كما فشلوا فى الحصول على مساعده الاخشيديين فى مصر والبويهيين فى بغـــداد[3] ، فإنهم أى الطرسوسيين طلبوا الأمان من نقفور وسلموا إليه المدينة فى شعبان سنة ٣٥٤هـ / أغسطس ٩٦٥م[4] .

(١) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٢-١٢٣ وقدر بعض المؤرخين عدد الأسرى الذين سباهم نقفور من المصيصة بمائتى ألف . الهمدانى : المصدر السابق ص ٤٠٣ مسكوية : المصدر السابق ج ٦ ص ٢١١ . ومن المؤرخين البيزنطيين الذين أشاروا إلى استيلاء نقفور على المصيصة :

Leo diaconus, op. cit., pp. 52-53: Cedrenus, op. cit. II. p. 361.

(٢) الذهبى : المصدر السابق مجلد ١٦ حوادث سنة ٣٥٤هـ .

(٣) ذكر ابن العديم أن وفودا خرجت من طرسوس إلى مصر والعراق لطلب النجدة غير أنهم لم يحصلوا على المساعدة أنظر : ابن العديم : بغية الطلب مخطوط بدار الكتب بالقاهرة رقم ١٥٦٦ تاريخ ج ٢ ورقة ٢٧٨ — ٢٨٠ .

(٤) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٣

ويذكر المؤرخ البيزنطى ليو الشماسى أن نقفور فوقاس فرض حصارا مشددا على طرسوس ، فلما أشتدت المجاعة فى داخل المدينة استسلم سكانها ، فأمرهم نقفور بالخروج من المدينة بشرط ألا يأخذوا معهم إلا الضرورى من الأكل والملبس أنظر :

Leo diaconus, ep. cit, pp. 75—61

واعتقد نقفور فوقاس بعد استيلائه على طرسوس أن فى إمكانه شن حرب صليبيه ضد المسلمين يسترجع فيها الأراضى البيزنطية قبل الإسلام، وتدل تصرفاته بعد دخول المدينة على تشبعه بهذه الروح الصليبيه ، فبالإضافة إلى تحويل المسجد إلى حظيرة لدوابه[١] ، فإنه صعد المنبر وقال لمن حوله : « أين أنا ، فقالوا له : على منبر طرسوس ، فقال لهم : لا ولكنى على منبر بيت المقدس وهذه كانت تمنعكم من ذلك »[٢] ، ثم أحرق المنبر ونقل قناديل المسجد إلى بلاده[٣] .

وجرد نقفور فوقاس طرسوس من طابعها الإسلامى ، فعين عليها حاكما بيزنطيا من قبله ومعه خمسة آلاف جندى بيزنطى[٤] ثم طرد سكانها المسلمين إلى أنطاكية ، كما نقلت السلطات البيزنطية إلى طرسوس فيما بعد مواطنين أرمن مسيحيين لاستيطانها بدلا من سكانها المسلمين[٥] . وهكذا أصبحت قيليقيا — بعد سقوط طرسوس — التى كانت لمدة ثلاثة قرون قاعدة إسلامية للعمليات البرية والبحرية ضد الأراضى البيزنطيه ، هكذا أصبحت أراضى بيزنطية وتحولت إلى ثغر بيزنطى جديد عاصمته طرسوس[٦] .

وكانت إحدى النتائج الخطيرة لاستيلاء الامبراطور نقفور فوقاس على طرسوس تمرد سكان أنطاكية على سيف الدولة فطردوا نائبه وأمروا عليهم رشيق النسيمى الذى كان حاكما من قبل على طرسوس ، ونظرا لغياب سيف

---

(١) الهمدانى : المصدر السابق ص ٤٠٣

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ج١ص١٤٣ ، Canard op. cit., P. 830

(٣) مسكويه : المصدر السابق ج ٦ ص ٢١١

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٥) Charanis P., "Armenians and Greeks in the Byzantine Empire" in Armenian Review XXV 1972 P. 25.

(٦) Brehier, Vie et Mort de Byzance P. 203.,

أسد رستم : الروم ج ٢ ص ٤١

الدولة فى ذلك الوقت فى الجزيرة وأرمينيا فقد استغل — رشيق الفرصة وعرض الدخول فى طاعة الامبراطور نقفور فوقاس . فوافق الامبراطور وتقرر أن يحمل إليه رشيق الخراج من أنطاكية [١] .

أدرك سيف الدولة بعد سقوط معظم الثغور الإسلاميه فى يد البيزنطيين أن المرقف العسكرى لم يعد فى صالحه ، وأن من الخير له مهادنه الإمبراطور نقفور لا محاربته ، وعلى ذلك أرسل إليه فى طلب عقد الهدنة وتبادل الأسرى ودارت المفاوضات بين الطرفين منذ أواخر سنة ٣٥٤ هـ/٩٦٥م حتى تم الفداء على شاطىء الفرات فى مستهل رجب سنه ٣٥٥ هـ / يونيه ٩٦٦ م [٢] واستقرت الشروط على مبادلة أقارب سيف الدولة بالبطارقة البيزنطيين ، وأن يفادى غلمان الأمير بالجنود البيزنطيين ، كما تقررت الهدنه لمدة أربع سنوات [٣] .

لم يحترم البيزنطيون الهدنة مع سيف الدولة بعد أن أصبحوا سادة الموقف فبعد ثلاثة شهور فقط من عقدها وفى شهر شوال من نفس العام ٣٥٥ هـ / أكتوبر ٩٦٦ م ، هاجموا مدن أمد ودارا واقتربوا من نصيبين التى هرب أهلها خوفا من التنكيل بهم [٤] ، أما الإمبراطور فقد هاجم فى نفس الوقت منبج واستولى منها على أثر مقدس [٥] .

---

(١) الذهبى : المصدر السابق مجلد ١٦ حوادث سنة ٣٥٤ هـ ، ابن العديم : المصدر السابق جـ ١ ص ١٤٨

(٢) الأنطاكى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٢٦ .

وكان لأبى فراس الحمدانى الأسير فى القسطنطينية دور كبير فى المفاوضات الخاصة بعقد الهدنة أنظر : أبو فراس : المصدر السابق جـ١ ص٢٤٥ ، جـ٢ ص٣٢٣–٣٢٤.

(٣) الذهبى : المصدر السابق مجلد ١٦ حوادث سنة ٣٥٤ هـ ، سنة ٣٥٥ هـ .

(٤) الأنطاكى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٥) نفس المصدر والجزء ص ١٢٧ ، Cedrenus, op. cit., II, p. 364.

ويبدو أن الامبراطور نقفور اعتقد بإمكان الاستيلاء على حلب في ذلك الوقت، فسار إليها عن طريق وادي بطنان [١] . وعندئذ خرج سيف الدولة إلى قنسرين وأخذ يشن الهجمات على قوافل تموين القوات البيزنطية بمساعدة قبائل الأعراب ، لكن سيف الدولة كان في نفس الوقت يدرك عجزة عن مقاومة البيزنطيين ، فعرض على نقفور سداد مبلغ من المال إليه ، فرفض الإمبراطور وطلب نصف الشام وأرسل سراياه للاغارة على ضواحي حلب ، فاتجه سيف الدولة إلى شيزر ، غير أن نقفور أدرك صعوبة الاستيلاء على حلب بعد أن قلت المؤن لدى قواته التي أنهكت في رحلته الطويلة ببلاده الشام . فآثر العودة إلى بلاده عن طريق أنطاكية التي تمردت على الامبراطور ورفض سكانها الاستسلام رغم حصار نقفور لها ثمانية أيام [٢] .

وعقب تلك الأحداث توفي سيف الدوله - الذي إشتد به مرض الفالج - في صفر / فبراير ٩٦٧ م بعد حياة حافله بالجهاد ضد البيزنطيين حتى بلغت غزواته أربعين غزوة [٣] ، وإن كان المد البيزنطي قد تغلب على مقاومة سيف الدولة في سنواته الأخيرة ، فنجح البيزنطيون في فصل منطقة الثغور وقيليقيا عن الإمارة الحمدانية .

(١) وادي بطنان من ضواحي حلب على الطريق إلى منبج . أنظر : كنار : نخب تاريخية ص ١٩٦ هامش ٣ .

(٢) الذهبي : المصدر السابق مجلد ١٦ حوادث سنة ٣٥٥ هـ .

وكانت أنطاكية قد عادت إلى ولائها لسيف الدولة بعد مقتل رشيق النسيمي وخليفته ابن الأهوازي في الحرب ضد قرعويه حاجب سيف الدولة وقد عين سيف الدولة غلامه تقي الدين واليا على أنطاكيه . أنظر : الأنطاكي : المصــدر السابق جـ ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ - ١٢٩ .

(٣) الهمداني : المصدر السابق ص ٤١٢ .

خلفاء سيف الدوله الحمدانى والبيزنطيون :

لم يكن للأمراء الحمدانيين بعد سيف الدوله قوة عسكرية، ولم يشكلوا أى خطر على الأمن البيزنطى، بل انحصر إهتمامهم فى محاولة الإتفاق مع الأباطرة لأنهم — أى الأمراء الحمدانيين — كانوا مهـــددين من البويهيين فى الشمال والفاطميين فى الجنوب (١) .

وخلف سعد الدوله أبو المعالى شريف أباه سيف الدولة فى حكم إمارة الحمدانيين فى حلب منذ شهر ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ / مارس ٩٦٧ م ، وفى السنة الأولى من حكمه دخل فى نزاع مع خاله أبى فراس الحمدانى ، وانتهى ذلك النزاع بقتل أبى فراس فى ربيع الأول سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م (٢) ، ولم يستطع الإمبراطور نقفور فوقاس إستغلال المصاعب التى نشأت فى الإمارة الحمدانية عقب وفاة سيف الدوله بسبب الموقف على الجبهة البلغارية (٣) ، ولم يكن قبل أواخر عام ٣٥٧هـ/٩٦٨ م عندما ظهر نقفور مرة أخرى فى الاراضى الإسلامية ، أولا فى منطقة الجزيره ثم زحف منها على بلاد الشام ، ففى ذى القعدة من ذلك العام هاجم الامبراطور ديار مضر ، ثم وصل حتى أرزن وميا فارقين وكفرتوثا فقتل وسبى من سكان تلك المناطق عددا كبيرا ثم اتجه إلى بلاد الشام (٤) .

(١) Camb., IV, I, p. 149

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٦ – ١٥٧

(٣) Brehier. op. cit., p. 204; Camb, IV, I., P. 722.

وكان الامبراطور نقفور فوقاس قد رفض سداد الجزية للملك البلغارى وفقا لاتفاقية سنة ٩٢٧م إذ أن نقفور اعتبر الامبراطورية فى مرتبة أعلى بعد الانتصارات التى أحرزها على المسلمين فى كريت وقبرص وقيليقيا . وقد أغرى نقفور الروس لمهاجمة البلغار من الخلف حتى تم القضاء على التهديد البلغارى أنظر :

Obolensky, The Byzantine Commonwealth., p. 128

(٤) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٠ – ١٣١ .

وظن سعد الدولة أن الامبراطور ينوى مهاجمة حلب فخـــرج منها إلى باليس واستخلف عليها قرعوية حاجبه ، لكن نقفور زحف على أنطاكية وحاصرها يومين فقط ثم رحل عنها (١) بعد أن أدرك استحالة الإستيلاء عليها فى ذلك الوقت .

ويبدو أن نقفور أراد أن يقطع أولا كافة طرق الإمدادات التى يمكن أن تأتى منها النجدات إلى أنطاكية تمهيدا للاستيلاء عليها ، فهاجم معـــرة مصرين وأسر سكانها ومعرة النعمان وحماة وحمص وطرابلس وحصن عرقا ثم اتجه إلى الساحل ففتح أنطرطوس ومرقية وجبله ، وصالح سكان اللاذقية وخرب عددا من القرى ثم عاد مره أخرى إلى أنطاكيه (٢) ، لكن نقص المؤن لديه (٣) ، وإدراكه أن حصونها منيعة جعله لايفكر فى إقتحامها فبنى فى مواجهتها حصن بغراس وعين له قائدا هو ميخائيل البورجى (٤) . وكلف نقفور القائد ميخائيل بمراقبة المدينة ومنع سكانها من جلب المؤن والإمدادات العسكرية ، كما ترك نقفور بقية الجيش فى قيليقيا بقيادة قائد آخر يسمى بطرس وأمر نقفور قادته بعدم مهاجمة أنطاكيه إنتظارا لعودته فى السنة التالية (٥) .

سيطر قرعويه وغلامه بكجور على الامور فى حلب بعد خروج سعد الدوله منها ، ومنعا الدعاء له فى الخطبة ، فأقام سعد الدولة متنقلا بين حران وميافارقين ومنبج ، ولما اجتمع معه غلمان أبيه طمع فى استعادة حلب ، فسار إليها فى شهر رمضان سنة ٣٥٨ هـ/ يوليه ٩٦٩ م وحاصرها ، فأستنجد قرعويه بالبيزنطيين ضد سعد الدوله ، وهب بطرس قائد الجيش فى قيليقيا لنجدته (٦) وعلم بطرس فى أثناء سيره إلى حلب بالفوضى الناشبة فى أنطاكية فتمكن مع

(١) الانطاكى : نفس المصدر والجزء ص ١٣١ .

(٢) نفسه ج ١ ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٣) Canard. op. cit. p. 831

(٤) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٣١ .

(٥) Cedrenus : op. cit. II. p. 365

(٦) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٠ — ١٦١ .

ميخائيل البورجي من الاستيلاء عليها في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ / أكتوبر سنة ٩٦٩م[١] بمعاونة من المسيحيين في المدينة الذين انتقلوا إليها من بوقا[٢].

دخل البيزنطيون أنطاكية، ففعلوا فيها مثل مافعلوا في سائر المدن الإسلامية التي استولوا عليها من قبل ، فقتلوا الكثير من السكان وطردوا الشيوخ والعجائز والأطفال، وأسروا مايزيد على عشرين ألف من السكان [٣]، وكعادة البيزنطيين عند إحتلال المدن الإسلامية أتلفوا المسجد وحولوه إلى حظيرة للخنازير[٤]، ونقلوا إلى المدينة المسيحيين الأرمن [٥]، وهكذا عادت أنطاكية مرة أخرى مدينة بيزنطية بعد حكم إسلامي دام أكثر من ثلاثة قرون ،

علم أبو المعالي سعد الدوله باحتلال البيزنطيين انطاكية فرفع الحصار عن حلب واتجه إلى حمص ، فازداد طمع البيزنطيين في الاستيلاء على حلب . وسار إليها بطرس وحاصرها سبعة وعشرين يوما ، ثم ترددت المراسلات بين الجانبين إلى أن تقرر الأمر على صلح وهدنة جعلت حلب محمية بيزنطية تكاد تكون خاضعة تماما للنفوذ البيزنطي [٦] ، ومن أهم شروط تلك الهدنة التي عقدت في صفر سنة ٣٥٩ هـ / يناير سنة ٩٧٠ م أن يتولى حكم حلب قرعويه ثم بكجور ومن بعدها ينصب الامبراطور أميرا يختاره من سكان حلب ، وليس للمسلمين أن ينصبوا أحدا ، أي أنها استبعدت سعد الدولة

(١) الانطاكي . المصدر السابق ج ١ ص ١٣٣ – ١٣٤ ،

وأشار المؤرخ البيزنطي كدرينوس أن ميخائيل البورجي هو الذي أستولى عليها أولا ثم استنجد بالقائد بطرس الذي تردد في البداية ثم ذهب إليه أخيرا مع جيشه وتمكنا من احتلال المدينة : Cedrenus, op. cit, p. 365-366

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٢

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٧ ص ٣٦ – ٣٧

(٤) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٣

(٥) Charanis, P. op. cit., P. 25; Grousset, R., L' Empire du Levant, P. 116.

(٦) الانطاكي : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٤

الحمدانى أمير حلب الشرعى ، ويدفع قرعويه الجزية للامبراطور عن البلاد الداخلة فى الهدنة بواقع سبعمائة ألف درهم سنويا [١] ، كما يدفع عن كل صغير وكبير من سكان تلك البلاد دينارا قيمته ستة عشر درهما إسلاميا ، فى حين يعفى المسيحى فى هذه الأعمال من الجزية إلا إذا كان له بها مسكن أو ضيعة ، وكانت أخطر الشروط تلك التى تنص على ألا يسمح قرعويه للمسلمين بالغزو عن طريق بلاده ولو قاتلهم على ذلك ، وأن يستعين بالقوات البيزنطية فى حالة عجزه عن دفعهم ، وإذا خرج الإمبراطور أو قائد جيشه إلى غزو بلد إسلامى استقبله بكجور فى الموضع الذى يعينه له الإمبراطور ، ويسير معه فى البلاد الداخلة فى الهدنة ، ويسمح له بشراء ما يلزمه من مؤن لتموين جنوده أما إذا كان الجيش البيزنطى يغزو بلادا غير إسلامية فعلى أمير حلب الإشتراك معه بقواته حسبما يأمره الإمبراطور ، كما يحق للبيزنطيين تعمير الكنائس الخربة فى بلاد الهدنة وسفر البطارقة والاساقفة إليها ، أما فى ميدان العلاقات الإقتصادية فان الإتفاقيه قررت حضور عشار الملك مع عشار قرعويه وبكجور عند فرض الجمارك على البضائع الوارده من الاراضى البيزنطية وأن يحمى أمير حلب القوافل الواردة من الاراضى البيزنطيه إلى بلده [٢]. وهكذا أصبح أمير حلب بمجرد فصل تابع للامبراطورية البيزنطية ومرتبطا معها بالتزامات سياسية وعسكرية وتجارية شديدة ، وأصبح البيزنطيون مسيطرين على شمال سوريا ويمتد نفوذهم إلى وسطها [٣] .

---

(١) والبلاد الداخلة فى هذه الهدنة بالإضافة إلى حلب هى : حمص ، جوسيه ، سلميه ، حماه ، شيزر ، كفر طاب ، أفاميه ، معرة النعمان ، جبل السماق ، معرة مصرين ، قنسرين ، الأثارب ، أرحاب ، باسوفان ، كيار ، برصايا ، المرج الذى هو قريب من اعزاز ، ويميل حد البلاد إلى الشرق حتى تل حامد وإلى يمين الساجور إلى أن يختلط بالفرات أنظر ابن العديم : المصدر السابق جـ ١ ص ١٦٣ — ١٦٥ .

(٢) ابن العديم : المصدر السابق جـ ١ ص ١٦٣ — ١٦٩ .

(٣) Canard op. cit. P. 836—837, Enno Franzius, History of The Byzantinempire P. 237.

ولم يتم تنفيذ هذه المعاهدة بنفس الشروط التي وضعت لها وبوجه خاص فيما يتعلق بخراج البلاد الداخلة في الهدنه ، فسعد الدولة الذي كان مقيما في معرة النعمان لم يعترف بها ولم يؤد المال عن البلاد التي تقع في حوزته [١] ثم أن نقفور فوقاس قتل في أواخر المحرم سنة ٣٥٩ هـ / ١١ ديسمبر سنة ٩٦٩ م قبل توقيع المعاهدة بأيام قلائل في مؤامرة دبرتها زوجته ثيوفانو مع يوحنا ابن الشمشقيق .

ولم يكن الإمبراطور الجديد — ابن الشمشقيق — في بداية حكمه متفرغا للقتال على الجبهة الإسلامية،ولم يستطع الإشتراك بنفسه في العمليات العسكرية في بلاد الشام بسبب الحرب الروسية البلغارية وثورة برداس فوقاس ضده[٢] .

وفي الجانب الإسلامي جدت ظروف جديدة باستيلاء الفاطميين على مصر وسعيهم للسيطرة على بلاد الشام ويبدو أن قرعويه وبكجور قد شعرا بالمهانة والإذلال نتيجة المعاهدة التي عقدت مع البيزنطيين فقبلا التحالف والدخول في حماية قوة إسلامية جديدة ، وعلى ذلك أقاما الدعوة للفاطميين أواخر سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م[٣] .

وظل سعد الدولة يترقب الفرصة للعودة إلى عرشه في حلب مرة أخرى ، وكان بكجور قد تآمر على سيده قرعويه وحبسه في القلعة بعد عقد المعاهدة مع البيزنطيين ، وظل منفردا بالحكم قرابة ست سنوات[٤] ، وبرغم أن المعاهدة سالفة الذكر كانت تنص على أن الحكم لقرعويه ومن بعده بكجور فلم يتدخل البيزنطيون في الأمر ، لأن دعوة قرعويه وبكجور الخطبة للفاطميين جاءت في وقت لم يكن البيزنطيون فيه على استعداد للصدام المباشر بالفاطميين ، لذلك

(١) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٩ .

(٢) أنظر ماسبق ص ٨٧ — ٩٠

(٣) الهمداني : المصدر السابق ص ٤٢٠ ، أنظر الفصل التالي ص ١٧٩

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧ .

قنع البيزنطيون بقبول المال المتفق عليه طبقا للمعاهدة سواء دفعه بكجور أو قرعويه ، وبالنسبة لبكجور فقد ظل مواظبا على سداد المال حتى السنة التى خرج فيها من حلب سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م عندما تمكن سعد الدولةمن استرداد عرشه(١) .

وكان أعوان قرعويه قد كاتبوا أبا المعالى سعد الدولة وهو فى حمص سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م ووعدوه بالمساعدة فى دخول حلب، فجمع سعد الدولة بنى كلاب وحاصر حلب مدة أربعة أشهر حتى تمكن من دخولها فى حين تحصن بكجور فى القلعة ، ثم استقر الأمر بين الطرفين على أن يتولى بكجور حمص وأن يكون سعد الدولة فى حلب(٢) .

ولم يلتزم سعد الدولة بسداد مال الهدنة للبيزنطيين ، فهو لم يعتبر نفسه مرتبطا بمعاهدة لم يوقعها ، فضلا عن أنها فى مفهومه موجهة ضده(٣) ، ومن المؤكد أن اقتناع سعد الدولة بذلك المفهوم بالإضافة إلى الرغبة المشتركة بينه وبين عضد الدولة البويهى فى تقسيم أراضى الحمدانيين فى الموصل كان السبب وراء إسراع سعد الدولة بعد عودته إلى حلب فى الدخول فى طاعة البويهيين وإقامة الخطبة للخليفة الطائع العباسى(٤) .

ولم يقبل البيزنطيون امتناع سعد الدولة عن سداد مال الهدنة ، فهاجم الدمستق برداس فوقاس حلب فى جمادى الأولى سنة ٣٧١هـ / نوفمبر ٩٨١م ، ودارت المعركة على باب اليهود فى اليوم الثالث لوصوله ، ونظرا لأنه لم يكن فى استطاعة سعد الدولة الصمود طويلا فى وجه البيزنطيين فقد وافق بعد يومين من القتال على سداد مبلغ أربعمائة ألف درهم سنويا، فغادر الدمستق حلب على

(١) Canard, op. cit, p. 849.

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٧ — ٢٨

(٣) Canard, op. cit. p. 849.

(٤) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٧

ذلك الاتفاق[١] ، وهكذا أصبحت تبعية سعدالدولة مزدوجة لعضد الدولة من ناحية وللبيزنطيين من ناحية أخرى .

وكان الاتفاق الجديد بين البيزنطيين وسعد الدولة ذا فائدة كبيرة له ، إذ ضمن لسعد الدولة الحماية فى وجه الأخطار التى هددته ، فتبعيته للخلافة العباسية المتهالكة وللبويهيين المشغولين دائما بالفتن الداخلية والحروب الأهلية لم تجلب له الأمان ضد الفاطميين الذين كانوا يخططون للسيطرة على بلاد الشام ، وقد أدى الخلاف الذى نشب بين بكجور وسعد الدولة فى سنة ٣٧٢ هـ/٩٨٢م إلى ازدياد طمع الفاطميين فى الاستيلاء على حلب ، فاستجابوا لنداء بكجور بالمساعدة وأرسلوا له جيشا من دمشق سار على رأسه بكجور فى سنة ٣٧٣ هـ/ ٩٨٣ م من أجل تحقيق هذا الغرض[٢] .

ولم يقف البيزنطيون مكتوفى الأيدى أمام الخطر الذى هدد نفوذهم فى حلب التى كانت محمية لهم ، فعلى الفور سار برداس فوقاس على رأس جيشه للدفاع عنها ، ولا يمكن الجزم بأن وصول برداس فوقاس فى هذه المرة كان بناء على طلب سعد الدولة ، فقد رحل بكجور قبل وصول القوات البيزنطية ، ومع ذلك استمر برداس فوقاس فى حصار حلب ، ولم يغادرها إلا بعد أن ضمن له سعد الدولة سداد مال سنتين أى حوالى أربعين ألف دينار[٣] .

ولم يكتف برداس فوقاس بما حققه فى حلب ، بل سار إلى حمص فى أواخر شهر ربيع الأول سنة ٣٧٣هـ / سبتمبر سنة ٩٨٣ م بإيعاز من سعد الدولة[٤] ،

(١) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص١٦١ ، ابن العديم: المصدر السابق ج ١ ص ١٧٣ — ١٧٤ ، Canara; op. cit, p. 849 — 850.

(٢) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٣ ، ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٨ — ٢٩ .

(٣) الانطاكى : المصدر السابق ص ١٦٤

(٤) ابن ظافر : المصدر السابق — مخطوط ورقة ١٨ ، ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٩ ، Canard, op. cit. P. 851.

وارتكب برداس فوقاس فى حمص أعمالا وحشية، فنهب المدينة وأحرق الجامع ولما لجأ بعض السكان إلى الكهوف أوقد عليهم حتى أهلكهم بالدخان[١] ، أما بكجور فقد سار إلى دمشق حيث تولى حكمها من قبل الخليفة الفاطمى العزيز بالله ومترقبا الأحداث فى حلب للتآمر من جديد ضد سعد الدولة[٢] .

وحاول سعد الدولة من جديد فى سنة ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م التنصل من سداد الأموال التى التزم بها للبيزنطيين ، ولا يوجد سبب واضح لما أقدم عليه سعد الدولة مع حلفائه فى وقت أخذ النفوذ الفاطمى يزداد فيه فى بلاد الشام، ومن ناحية أخرى فان الرد البيزنطى على خطوه سعد الدولة لم يأت فى صورة هجوم على حلب فقط لإجبار أميرها على الوفاء بالتزاماته المالية ، وإنما شمل مناطق أخرى من الأراضى الحمدانية التابعة لسعد الدولة ، وأغلب الظن أنه قد ظهر تغير فى موقف كل طرف من الآخر ، فجاءت ردود الأفعال فى صورة إجراءات انتقامية متبادلة، فدمر سعد الدولة دير سمعان وفتحه بالسيف وقتل رهبانه ، فى حين فتح برداس فوقاس حصن الكلزوسى أهله فى صفر سنة ٣٧٥ هـ / يوليه ٩٨٥ م ، ثم نزل على أفاميه فهدم بعض أبراج حصونها بالمنجنيقات ومنها اتجه إلى كفر طاب[٣] ، وقد انتهت تلك الحملة بعقد اتفاق جديد فى سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦ م بين سعد الدولة وبرداس فوقاس يدفع بمقتضاه سعد الدولة مبلغ اربعمائة ألف درهم للامبراطور باسيل الثانى سنويا[٤] .

وهكذا فان الحماية التى مارستها بيزنطه على إمارة حلب فى الفترة السابقة، وترجمت فى مساعدة سعد الدولة ضد بكجور لم تمنع الامبراطورية البيزنطية من ممارسة إجراءات تأديبية عنيفة ضد محميتها بهدف تقليص نفوذها السياسى[٥] .

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٩

(٢) نفس المصدر والصفحة ، ابن ظافر : المصدر السابق ورقة ١٨ .

(٣) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٥

(٤) نفسه : ج ١ ص ١٦٥ — ١٦٦

(٥) Canard, op. cit, p. 852.

ولم ينس سعد الدولة موقف البيزنطيين منه، وما أن علم بهزيمة الامبراطور باسيل الثانى على الجبهة البلغارية فى سنة ٣٧٦ هـ/٩٨٦ م حتى أسرع بالإعتراف بالسيادة الفاطمية ، وتأكدت تلك السيادة برسالة التأييد والخلع التى أرسلها الخليفة الفاطمى العزيز بالله إلى الأمير سعد الدولة فى شعبان سنة ٣٧٦ هـ/ ديسمبر ٩٨٦ م دون أن يستطيع البيزنطيون اتخاذ إجراءات انتقامية ضده فى هذه المرة ، بل على العكس فإن الإمبراطور باسيل الثانى أرسل السفراء إلى القاهرة لعقد هدنة مع الخليفة الفاطمى(١) .

وبرغم اعتراف سعد الدولة بسيادة الفاطميين إلا أنه لم يسلم من محاولاتهم الاستيلاء على حلب بمساعدة بكجور المقيم فى الرقة منذ طرده من دمشق فى سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م ، وهنا أدرك سعد الدولة حاجته للمساعدة البيزنطيه ، فأرسل إلى الامبراطور باسيل الثانى فى هذا المعنى ، وتمكن سعد الدولة بفضل القوات البيزنطيه فى أنطاكية من إحباط هجوم بكجور على حلب فى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م(٢).

وتعرضت إمارة حلب عقب وفاة سعد الدولة فى شهر رمضان سنة ٣٨١ هـ/ ٩٩١ م لمحاولات عديدة من جانب الفاطميين للاستيلاء عليها ، فاستنجد أميرها أبو الفضائل سعيد الدولة وحاجبه لؤلؤ بالإمبراطور باسيل الثانى أكثر من مرة حتى قطع الإمبراطور حروبه على الجبهة البلغارية ، وعاد إلى بلاد الشام وأكد من جديد إخضاع حلب للتبعية البيزنطية سنة ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م(٣)

وأعقب وفاة سعيد الدولة فى سنة ٣٩٢ هـ/١٠٠٢ م فترة من الاضطرابات فى الإمارة الحمدانية ، فسيطر الحاجب لؤلؤ على الحكم وطرد ابنى سعيد الدولة إلى مصر كما هرب أبو الهيجاء بن سعد الدولة إلى القسطنطينية ثم حاول العودة

---

(١) انظر الفصل التالى ص ١٨٧–١٨٨ (٢) انظر الفصل التالى ص ١٨٩–١٩٠

(٣) انظر الفصل التالى ص ١٩٢–١٩٣

إلى حلب لكنه فشل[١] ثم ثار خلاف بين منصور بن لؤلؤ وصالح بن مرداس زعيم الكلابيين منذ سنة ٤٠٢هـ/١٠١١ م وحاصر صالح حلب . وهنا لعب الإمبراطور باسيل دورا خطيرا بضرب القوى الإسلامية المتنافسة بعضها ببعض، فأخذ يقدم المساعدات تارة لصالح ابن مرداس وتارة أخرى لمنصور ابن لؤلؤ حتى نجح صالح بن مرداس فى الاستيلاء على حلب سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م وأسس الأسرة المرادسيه بها[٢] .

---

(١) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ٢٠٩ — ٢١٠

(٢) نفسه ج ١ ص ٢١١—٢١٥ ، ج ٢ ص ٢٤٥—٢٤٨

الفصل الخامس

العلاقات بين الدولة البيزنطية والخلافة الفاطمية فى مصر

- فتح الفاطميين لمصر وامتداد نفوذهم إلى الشام .
- حملة الامبراطور ابن الشمشقيق على بلاد الشام .
- محاولات الفاطميين مد نفوذهم إلى حلب .
- حملة الامبراطور باسيل الثانى (الأولى) على بلاد الشام .
- الموقف فى بلاد الشام فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله — سياسة الحاكم بأمر الله الدينية .
- العلاقات الفاطمية البيزنطية فى عهدى الخليفة الظاهر والخليفة المستنصر .

فتح الفاطميين مصر وامتداد نفوذهم إلى بلاد الشام :

استغل الفاطميون فى شمال أفريقيا وفاة كافور الإخشيدى واضطراب الأحوال فى مصر ، وأرسلوا قواتهم بقيادة القائد جوهر الذى نجح فى دخول مصر فى شعبان سنة ٣٥٨ هـ / يوليه سنة ٩٦٩ م ، وأقام الدعوة للخليفة المعز لدين الله ، فقطعت بذلك الدعوة للخلافة العباسية ، ولما استقر جوهر فى مصر وثبت اقدامه بها أرسل القائد جعفر بن فلاح إلى الشام ، فتمكن من الاستيلاء على الرملة وطبريه ودمشق ، وأقام الدعوة فى تلك البلاد للخليفة الفاطمى فى المحرم من سنة ٣٥٩ هـ / نوفمبر ٩٦٩ م[١] ثم امتد النفوذ الفاطمى إلى حلب وحمص ، فخطب سعد الدولة وقرعويه فى أعمالهما للخليفة الفاطمى[٢] .

وكانت بداية الصدام المباشر بين الفاطميين والبيزنطيين فى بلاد الشام عندما أرسل جعفر بن فلاح من دمشق جيشا بقيادة غلامه فتوح لمحاصرة أنطاكيه فى سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠ — ٩٧١م فى الوقت الذى كان فيه الإمبراطور ابن الشمشقيق مشغولا بالحرب فى بلغاريا ، وبرغم استمرار فتوح فى حصار أنطاكية خمسة شهور إلا أنه لم ينجح فى الاستيلاء عليها[٣] ، فقد أسرع قائد ثغر أعالى العراق لنجدة المدينة ، كما أرسل الإمبراطور ابن الشمشقيق من جهته جيشا بقيادة البطريق نيقولاوس Nikolaos لصد الفاطميين[٤] ، ثم اضطر فتوح إلى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٧ ص ٣٠ — ٣٢ ، ٤٠

(٢) الهمدانى : تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٢٠ ، المقريزى . اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ص ١٧٩ .

(٣) يحي بن سعيد الأنطاكى : تكملة كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ ،

Schlumberger, G., L'Epopèe Byzantine a la fin du dixieme siecle, "Nouvelle edition", pp. 195 — 196.

(٤) Gedrenus, Historiarum Compendium Tom. II, p. 383; Schlumberger, op. cit. pp. 196 — 197.

الانسحاب بعد أن استدعاه جعفر بن فلاح لقتال القرامطه الذين هاجموا بلاد الشام بدعم وتأييد البويهيين فى بغداد والحمدانيين فى الموصل[١] .

وكان جعفر بن فلاح قد منع الأموال التى اعتاد أن يرسلها الحسن بن عبيد الله ابن طغج الإخشيدى إلى القرامطة وتقدر بثلاثمائة ألف دينار كل عام[٢]، فسار القرامطة من الكوفة إلى دمشق فاستولوا عليها فى السادس من ذى القعدة سنة ٣٦٠هـ / أغسطس ٩٧١م بعد أن هزموا جعفر بن فلاح ، ثم اتجه القرامطة إلى الرملة ومنها واصلوا زحفهم إلى مصر حتى عين شمس ، إلا أن الهزيمة لحقت بهم على يد القائد جوهر فى شهر ربيع الأول سنة ٣٦١هـ / ديسمبر سنة ٩٧١م فتقهقروا إلى الرملة[٣] .

ظل القرامطة رغم هزيمتهم فى عين شمس وانسحابهم خطرا على الفاطميين ، إذ استمر الصراع بين الطرفين من أجل السيطرة على بلاد الشام، وفى حين تمكن جوهر من إعادة يافا إلى حوزة الفاطميين، فان زعيم القرامطة أخذ يعد العدة مرة أخرى للهجوم على مصر ، وأرسل من أجل ذلك أسطولا هاجم تنيس سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م إلا أنه لم يحقق نجاحا[٤] ، وعندما وصل الخليفة الفاطمى المعز لدين الله إلى مصر فى شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ/يونيه ٩٧٣م أرسل خطابا إلى زعيم القرامطة الحسن بن أحمد ليحمله على العدول عن موقفه العدائى من الفاطميين ، ولكن زعيم القرامطة أظهر عدم اكتراثه بتهديد الخليفة

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ص ١٧٧ – ١٧٨ ، د عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى ص ٧٦ – ٧٨ ، وفى رأى المؤرخين البيزنطيين أن القوات الفاطمية لقيت هزيمة كبيرة عند انطاكيه فانسحبت على أثرها . أنظر :
Cedrenus, op. cit. pp. 382 — 383.

(٢) المقريزى : المصدر السابق ص ٢٤٨ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ص ١٧٨ – ١٨٢ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١ – ٢ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق ص ١٩٤ – ١٩٥ .

الفاطمي[١] ، وهاجم القرامطة مصر مرة أخرى غير أن الهزيمة لحقت بهم عند أبواب القاهرة في رمضان سنة ٣٦٣ هـ / مايو سنة ٩٧٤ م فعادوا أدراجهم إلى الشام[٢] .

استعاد الفاطميون نفوذهم في بلاد الشام ، بعد هزيمة القرامطة ، فاستردوا دمشق بعد رحيل الحسن بن أحمد إلى بلده الأحساء[٣] ، لكن الأمور لم تستقر في دمشق ، فوقعت الحرب بين أهلها والقوات الفاطمية حتى استطاع أحد القادة الأتراك الهاربين من بغداد — وهو أبو منصور الفتكين الشرابي — أن يستولى على المدينة — دمشق — في شهر شعبان سنة ٣٦٤ هـ / أبريل — مايو سنة ٩٧٥ م ، ثم تظاهر بالدخول في طاعة الفاطميين[٤] .

(١) د . سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٢٧ – ١٣١ .

(٢) الأنطاكي : المصدر السابق ج ١ ص ١٤١ – ١٤٢ ، ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٣ .

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٣ — ٤ .

(٤) نفسه : ص ١٠ – ١٢ ، ابن أيبك الدوادار : كنز الدرر وجامع الغرر ج ٦ المعروف باسم الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية . تحقيق د . صلاح المنجد ص ١٦٦ – ١٦٩ ، د . عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٠ .

حملة الإمبراطور ابن الشمشقيق على بلادم الشام :

وكان نجاح الفاطميين فى بسط نفوذهم وسيطرتهم مرة أخرى على بلادالشام تهديدا خطيرا للبيزنطيين ، وعندما علم الامبراطوار ابن الشمشقيق وهو فى سهول الجزيرة باحتلال الفاطميين لطرابلس وبيروت سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٥ م اضطر إلى العودة مسرعا إلى القسطنطينية لكى يعد حملة كبيرة يمنع بها التهديد الموجه إلى أنطاكية[١] .

اتجه الامبراطور ابن الشمشقيق فى شعبان سنة ٣٦٤ هـ / أبريل ٩٧٥ م من أنطاكية إلى حمص فاستولى عليها[٢] ، ثم وصل إلى بعلبك فى رمضان من ذات العام فدخلها بعد مقاومة من أهلها[٣] ، وكان ابن الشمشقيق يطمع فى إخضاع دمشق لما لها من أهمية كبيرة فى تثبيت النفوذ البيزنطى فى بلاد الشام ،فى الوقت الذى أيقن الفتكين الذى استولى على دمشق حديثا أنه لا يمكنه مقاومة الجيوش البيزنطية ، فضلا عن عدم اطمئنانه إلى موقف الفاطميين منـــه[٤] ، لذا فان الفتكين اضطر إلى مصالحة الامبراطور والدخول فى تبعيتـه . وخـرج الفتكين مع أشراف المدينة وشيوخها لاستقبال ابن الشمشقيـق ، وبالغ فى إظهار طاعته إذ قدم عرضا للفروسية أعجب الإمبراطور، فتنازل لالفتكين

---

(١) Cambridge Medieval History, New edition, vol. IV, I,p. 169.

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ص١٢، د عاشور: المرجع السابق ج١ص٦٥.

(٣) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ١٣ — ١٤ .

(٤) كان الخليفة المعز قد أرسل إلى الفتكين يستدعيه إلى القاهرة لمشاهدته واعادته إلى ولايته مكرما بعد ذلك . غير أن الفتكين امتنع عن الاجابة ورفض الحضور . انظر : ابن القلانسى : المصدر السابق ص ١٢ .

من خراج دمشق[1] ، ولا شك أن قبول الفتكين الخضوع للبيزنطيين قد ساعده على الوقوف فى وجه أطماع الفاطميين[2] .

وواصل ابن الشمشقيق زحفه المنتصر فى بلاد الشام ، فاتجه من دمشق إلى طبرية والناصرة اللتين نجتا من التدمير لأسباب دينية ، ثم عسكر الإمبراطور على جبل تابور حيث استقبل رسلا من الرملة والقدس يعرضون خضوع المدينتين ويطلبون حكاما بيزنطيين لهما ، كما تعهدت عكا بدفع الجزية ، وكانت آخر نقطة وصل إليها ابن الشمشقيق فى زحفه جنوبا هى قيصريه ، لأنه وجد الحاميات الفاطمية التى انسحبت أمامه قد اتخذت لنفسها مواقع دفاعية حصينة على الساحل مما شكل تهديدا خطيرا لمؤخرة جيشه ، فاضطر إلى التخلى عن فكرة الزحف إلى القدس ، وقرر الاتجاه لتصفية الحصون الفاطمية على الساحل[3] .

وهكذا عاد ابن الشمشقيق أدراجه شمالا ، فاستولى على بيروت وأسر أميرها نصر الخادم وعين حاكما بيزنطيا عليها[4] ، ثم خضعت له صيدا وبادرت بدفع الأموال ، كما فتح جبيل بعد قتال سكانها ، وواصل الامبراطور زحفه المنتصر على طول الساحل ، وكانت طرابلس هى المدينة الوحيدة التى استعصت

---

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ١٢ — ١٤ .

(٢) د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٦٥ .

(٣) Camb., IV. I, P. 170.

وكتب ابن الشمشقيق إلى حليفه آشوت الثالث ملك أرمينيا « ولو أن هؤلاء الأفريقيين الملاعين الذين كانوا استقروا هناك لم يلوذوا بحصون الساحل لكنا ذهبنا بمعونة الرب إلى مدينة أورشليم المقدسة، وصلينا فى هذه الأماكن المقدسه » ـ د. عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١٨٢ .

(٤) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٦ .

عليه برغم أنه حاصرها أربعين يوما[1]، فانتقم الامبراطور بأن أتلف الضياع المحيطة بها، كما دمر بساتين الكروم والزيتون[2]، واستكمالا لرحلته شمالا استولى ابن الشمشقيق على بلنياس وجبله، فأصبح الساحل بأسره من قيصريه إلى حدود أنطاكية تحت سيطرة البيزنطيين باستثناء طرابلس[3]، وقبل أن ينسحب ابن الشمشقيق استولى على حصن برزويه — الذى يقع على مرتفعات جبال لبنان — بمساعدة أحد المسيحيين العرب — وهو كليب النصرانى —، وعلى حصن صهيون فى ضواحى أنطاكيه[4].

واتسمت حملة ابن الشمشقيق على بلاد الشام بالروح الصليبية، فقد كان يهدف فعلا إلى الاستيلاء على القدس لولا المقاومة الفاطمية التى أجبرته على تغيير خططه العسكرية، ويمكن القول بأن نجاحا جزئيا قد تحقق له بسيطرة القوات البيزنطيه على أطراف حوض نهر العاصى، فضلا عن دمشق وطبريه والجزء الشمالى من ساحل بلاد الشام، إذ سرعان ما توفى الإمبراطور فعادت تلك الأماكن مرة أخرى إلى الفاطميين، وكان ارتداد ابن الشمشقيق قبل أن يؤمن انتصاراته العسكرية، فضلا عن بقاء طرابلس فى يد الفاطميين وعدم استطاعته الوصول إلى بيت المقدس، قد جعل الفكرة السائدة طوال عصر الحروب الصليبية فيما بعد أن الصليبيين الغربيين وحدهم هم أصحاب الفضل فى استرداد بيت المقدس من المسلمين فى حين لم يكن للبيزنطيين أى فضل سابق فى ذلك[5].

---

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ١٤ .

(٢) نفس المصدر والصفحه ، د. عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٦٦ .

(٣) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٦، Camb., IV, I, p. 171.

(٤) ومنح الامبراطور البيزنطى كليبا النصرانى لقب بطريق وجعله مندوبا عنه فى أنطاكيه كما منح ولديه رتبا بيزنطيه أنظر الانطاكى: المصدر السابق ج١ ص١٤٦، Camb. IV, I, p. 171

(٥) د. عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٦٦ — ٦٧ .

توفى الامبراطور البيزنطى ابن الشمشقيق فى جمادى الأولى سنة ٣٦٥هـ / يناير سنة ٩٧٦ م بعد شهور قليلة من حملته على بلاد الشام التى استغرقت خمسة شهور ، فاعتلى العرش البيزنطى بعده الوريثان الشرعيان باسيل الثانى وقنسطنطين وكانا حدثين تحت وصاية باسيل ليكابينوس ، ولما كان باسيل الثانى أكبر سنا فقد آل إليه الأمر قبل أخيه ، وفى تاريخ غير محدد فى بداية حكم باسيل الثانى قام حاكم أنطاكيه ميخائيل البرجى بمحاولة للاستيلاء على طرابلس لكنه فشل فى ذلك برغم حصوله على غنائم كثيرة[١] ، ثم دخلت الامبراطورية البيزنطية فى عهد باسيل الثانى فترة طويلة من الاضطرابات والفوضى بسبب عصيان كل من برداس سكليروس وبرداس فوقاس واستمرار الحرب البلغاريه[٢] .

استفادت القوى الإسلامية فى بلاد الشام من انشغال الامبراطورية البيزنطية بمشاكلها الداخلية ، فنجح الفتكين التركى - حاكم دمشق وحليف البيزنطيين - فى الاستيلاء على صيدا بمساعدة القرامطة وطرد الفاطميين منها ، ثم طمع فى عكا ، فى نفس الوقت الذى كان حلفاؤه القرامطة قد استولوا على الرملة[٣] ، وفى تلك الأثناء كان الخليفة الفاطمى العزيز بالله قد وطد سلطانه فى مصر ، فعمل على استرداد نفوذ الفاطميين فى بلاد الشام ، وأرسل من أجل ذلك القائد جوهر فى أواخر سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م ، وجرت معارك عديدة بين الفتكين وجوهر هزمت خلالها القوات الفاطمية والتجأ جوهر إلى عسقلان ، فحاصرها الفتكين مدة طويلة حتى نفدت الأقوات بها ، فاضطر جوهر إلى طلب الصلح ، واستقر الأمر على أن يكون من غزة إلى مصر للفاطميين ، وأن يكون من عسقلان

---

(١) الانطاكى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٤٧ .

(٢) أنظر ماسبق ص ٩١ - ٩٢ ، ١٧٣ .

(٣) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ١٥ ، ابن أيبك : المصدر السابق ص ١٧٥ - ١٧٧ .

وما يليها من أعمال الشام لألفتكين التركي، على أن تقام الدعوة في تلك المناطق للخليفة الفاطمي العزيز بالله في حين يكون مالها محمولا إلى الفتكين، وعادجوهر إلى مصر في شعبان سنة ٣٦٧ هـ/ مارس ٩٧٨ م(١)، غير أن الخليفة العزيز بالله لم يوافق على تلك الاتفاقية، وسار بنفسه لقتال ألفتكين، وهزمه بالقرب من الرمله، وعاد به أسيرا إلى القاهرة في المحرم من سنة ٣٦٨ هـ/ أغسطس ٩٧٨ م(٢) فعادت دمشق مرة أخرى إلى الفاطميين(٣).

محاولات الفاطميين مد نفوذهم إلى حلب :

وسعى الفاطميون إلى إتمام سيطرتهم على بلاد الشام، فحاولوا الاستيلاء على أنطاكيه سنة ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م وفشلت محاولاتهم(٤). أما اللاذقية التي كانت قد أعلنت تبعيتها للامبراطور باسيل الثاني فقد استردتها القوات الفاطمية بقيادة نزال والي طرابلس سنة ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م كما نجحت القوات الفاطمية بقيادة رشيق العزيزي في إنهاء عصيان مفرج بن دغفل بن الجراح في سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م في فلسطين وعاد إلى طاعة الخليفة الفاطمي(٥)، وحاول الفاطميون الاستيلاء على حلب بمساعدة بكجور سنة ٣٧٣ هـ/ ٩٨٣ - ٩٨٤ م، غير أن ذلك لم يتحقق لهم، وكان سببا في تدخل البيزنطيين لحماية سعد الدولة وعقد معاهدة معه وافق بمقتضاها على سداد مبلغ من المال سنويا للامبراطور البيزنطي، في حين تمكن بكجور من الاستيلاء على دمشق وأقام الدعوة للخليفة الفاطمي العزيز بالله(٦).

وتحققت رغبة الفاطميين في مد نفوذهم إلى حلب عندما انتهز سعد الدولة

---

(١) الانطاكي : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٢) نفسه : ص ١٥٥ .

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٣ — ٢٤ .

(٤) الأنطاكي : المصدر السابق ج ١ ص ١٦١

(٥) نفسه : ج ١ ص ١٦١ — ١٦٣ .

(٦) نفسه ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٤ ، ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٨-٢٩ .

فرصة هزيمة الامبراطور باسيل الثانى أمام البلغار فى ربيع الثانى سنة ٣٧٦هـ/ أغسطس ٩٨٦م ، فأسرع سعد الدولة بالاعتراف بالسيادة الفاطمية ليتخلص من تبعيته للبيزنطيين ويتنصل من التزاماته المالية قبلهم ، وبادر الخليفة الفاطمى العزيز بالله بإرسال التأييد والخلع إلى سعد الدولة فى شعبان سنة ٣٧٦هـ/ ديسمبر سنة ٩٨٦م[١] ، وقد اضطر البيزنطيون تحت ضغط ظروفهم الداخلية إلى عدم اتخاذ إجراءات مضادة ضد سعد الدولة لتجنب الصدام مع الفاطميين ، بل إن الامبراطور باسيل الثانى أرسل سفراءه إلى القاهرة فى سنة ٣٧٧ هـ/ ٩٨٧م لعقد معاهدة مع الخليفة الفاطمى ، وقد أجاب الخليفة على طلب الإمبراطور بعد أن اشترط عليه شروطا قاسية ، منها ألا يبقى لديهم أسير إلا أطلقوه ، وأن يخطب للخليفة العزيز بالله فى جامع القسطنطينية ، وأن يحمل إلى الخليفة كل ما طلبه من الأمتعة البيزنطية ، وأن تكون مدة الاتفاقية سبع سنوات[٢] .

وتكشف النظرة الفاحصة لتلك المعاهدة عن أهداف كل طرف منها ، فالامبراطور البيزنطى أراد أن يتجنب ما قد يقوم به الأسطول الفاطمى فى شرق البحر المتوسط من عمليات عسكرية تزيد من صعوبة الموقف البيزنطى[٣] أما الخليفة الفاطمى فعلاوة على ما أسفرت عنه تلك الاتفاقية من تدعيم نفوذ الفاطميين فى بلاد الشام ، فإنها أعطت الخليفة الفاطمى صفة المنافس القوى للخليفة العباسى بعد أن أصبح الخليفة الفاطمى حامى المسلمين فى أراضى الإمبراطورية البيزنطية .

(١) Schlumberger, op. cit., p. 509; Canard, Histoire de la dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie, Tome Premier P. 853.

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٢ — ١٥٣ ؛ د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٦٨ .

(٣) وكان الخليفة الفاطمى العزيز بالله قد جهز عدة سفن للغزو لكنها احترقت ، أنظر : ابن تغرى بردى : المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٦ .

وشعر الخليفة الفاطمى العزيز بالله بقوة مركزه بعد عقد الاتفاقية مع البيزنطيين ، وأراد إتمام سيطرته على بلاد الشام بالاستيلاء على حلب ، وسارت الأحداث السياسية فى تلك الفترة فى الاتجاه الذى يهدف اليه الخليفة ، فالقائد بكجور الذى تولى حكم دمشق منذ سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م كان على خلاف مع ابن كلس وزير الخليفة الفاطمى ، وأخذ كل منهما يحيك المؤامرات ضد الآخر فابن كلس كان يعمل على عزل بكجور أو حتى قتله ، وبكجور يقبض على عملاء ابن كلس فى دمشق ، وفاز ابن كلس فى ذلك الصراع عندما أرسل جيشا بقيادة منير الخادم سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م تمكن من إنزال الهزيمة ببكجور الذى هرب إلى الرقة ، تاركا دمشق يتولاها منير الخادم[1] .

وأقام بكجور فى الرقة منذ سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م دون سلطان يستند إليه ، فأخذ فى مراسلة سائر القوى المتنافسة فى المنطقة للعمل باسمها ، والحصول على تأييدها من أجل العودة إلى حلب[2] ، ولما شعر سعد الدوله بتلك الاتصالات أرسل إلى الإمبراطور باسيل الثانى يطلب منه المساعدة العسكرية ضد بكجور الذى لقى مساندة الفاطميين ، فأخطر الإمبراطور باسيل الثانى والى أنطاكية ميخائيل البرجى لتقديم المعونة العسكرية إلى سعد الدولة[3] .

وأرسل بكجور إلى الخليفة الفاطمى العزيز بالله يذكر له « جلالة » حلب وكثرة ارتفاعها وأنها دهليز العراق وإذا حصلت له كان ما بعدها فى يده ،

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٩ — ٣١ ، ابن أيبك : المصدر السابق ص ٢٢٠ — ٢٢٢ .

(٢) راسلى بكجور فى ذلك باد التركى حاكم ميافارقين ، وسعد الدولة ليوليه حمص كما راسل الخليفة العباسى الطائع وبهاء الدولة البويهى ، والخليفة الفاطمى العزيز بالله .
انظر : ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٣١ — ٣٣ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة مخطوط بدار الكتب رقم ٨٩ تاريخ ورقة ١٩ .

(٣) أبو شجاع : ذيل كتاب تجارب الأمم ص ٢١٠ ، ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٣٤ ، Canard, op. cit., p. 853

وأن العسكر الذى بها قد كاتبه وبذل الطاعة له والمساعدة[1] ، فأدرك العزيز عندئذ أن حلمه بضم حلب قد اقترب، فكتب إلى نزال وإلى طرابلس بمساعدة بكجور متى استدعاه من غير استئذان، لكن الوالى نزال كان من صنائع الوزير عيسى بن نسطورس عدو بكجور ، وقد أرسل الوزير إلى نزال سرا بأن يتقاعس عن مساعدة بكجور عندما يتورط فى الحرب ضد سعد الدولة[2] .

وتمت الحيلة على بكجور عندما سار من الرقة طالبا حلب فى المحرم من سنة ٣٨١ هـ / مارس ٩٩١ م ، فكاتب سعد الدولة ميخائيل البرجى والى أنطاكية الذى أسرع بقواته ، ونزل على مرج دابق بالقرب من حلب ووضع تحت تصرف سعد الدولة قوات من الأرمن والبيزنطيين[3] ، ودارت المعركة عند الناعورة فى صفر سنة ٣٨١ هـ / أبريل سنة ٩٩١ م قبل أن تصل قوات نزال والى طرابلس ، لأنه نفذ رسالة الوزير عيسى بن نسطورس ، فانتهى الأمر بهزيمة بكجور وأسره ، واستولى سعد الدولة على الرقة وقتل بكجور[4] وبذلك فشل الفاطميون فى الاستيلاء على حلب من خلال مؤامرة بكجور ، وحق لسعد الدولة بعد ذلك أن يبدو متعجرفا مع سفير الخليفة الفاطمى العزيز بالله ، فقد لطم سعد الدولة السفير وجعله يأكل الرسالة التى جاء بها ، كما هدد بالزحف على مصر[5] .

ولم ييأس الخليفة الفاطمى العزيز بالله من امكانية تحقيق سيطرته على حلب ، وكان يرى فى انشغال الامبراطور باسيل الثانى على الجبهة البلغارية الفرصة المناسبة لتحقيق هدفه ، فلما توفى سعد الدولة فى رمضان سنة ٣٨١هـ/ نوفمبر سنة ٩٩١ م ، وخلفه ابنه أبو الفضائل سعيد الدولة بوصاية الحاجب

---

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٣٣ — ٣٤ .

(٢) نفسه : ص ٣٤ .

(٣) نفسه ، Canard, op. cit., P. 854

(٤) ابن ظافر : المصدر السابق ورقة ١٩ — ٢٠ ؛ ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٣٤ — ٣٨ .

(٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٣٨ — ٣٩ .

لؤلؤ الكبير، استصغر الخليفة الفاطمي شأن الأمير الحمداني وكتب إلى منجوتكين والي دمشق بأن يقود القوات الفاطمية ويستولي على حلب[١] ، وأسرع لؤلؤ الحاجب عند معرفته بالخطط الفاطمية بالكتابة إلى الامبراطور باسيل الثاني الذي كان على الجبهة البلغارية مذكرا إياه بالمعاهدة التي كانت بينه وبين سعد الدولة وعرض الحاجب لؤلؤ في رسالته مواصلة العلاقات الودية بين الجانبين في عهد سعيد الدولة ، وطلب من الامبراطور المعونة والتأييد[٢] .

على أن الامبراطور باسيل الثاني لم يستطع الحضور بنفسه لمساعدة الأمير الحمداني فكتب إلى حاكم أنطاكية ميخائيل البرجي بأن يجمع قواته ويتوجه إلى حلب لمساعدة أميرها ودفع الفاطميين عنها[٣] ، لكن حاكم أنطاكية الذي كان مسنا وغير كفء لم يظهر الحماس اللازم وتقدم متراخيا إلى نهر العاصي[٤] فلم يستطع منع الهزيمة التي لحقت بالحمدانيين في شهر ربيع الثاني سنة ٣٨٢ هـ/ يونيه ٩٩٢ م عند أفاميه[٥] ، ثم سار منجوتكين إلى حلب فحاصرها ثلاثة وثلاثين يوما حاول خلالها أبو الفضائل سعيد الدولة التفاوض على أساس الدخول في طاعة الفاطميين ، وأن يضرب السكة باسم العزيز بالله إلا أن منجوتكين رفض[٦] .

وكان حاكم أنطاكية ميخائيل البرجي قد تقدم بقواته حتى جسر الحديد — بين أنطاكية وحلب — ، فلما علم منجوتكين بذلك بادر بملاقاته ودارت معركة هزم فيها البيزنطيون هزيمة كبيرة ، فانسحب البرجي مفلولا وفي أثره منجوتكين الذي نهب ضياع أنطاكية ثم عاد إلى حلب فواصل حصارها[٧] .

(١) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ الحلب ج ١ ص ١٨٥ — ١٨٦ .

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٤١ .

(٣) نفس المصدر والصفحة ، أبو شجاع : المصدر السابق ص ٢١٨ .

(٤) Jenkins, Byzantium The Imperial Centuries P. 318.

(٥) الانطاكي : المصدر السابق ج ١ ص ١٧٤ .

(٦) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٨٦ .

(٧) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٤١ — ٤٢ .

وإزاء فشل القوات البيزنطيـة فى حماية الامارة الحمدانيـة ، لم يجد لؤلؤ الحاجب مفرا من التفاوض من جديد مع القوات الفاطميه، فبذل الأموال لحاشية منجوتكين ليشيروا عليه بالرحيل عن حلب ذلك العام، ولقيت الفكرة قبولا فى نفس منجوتكين الذى مل الحرب فرفع الحصار عن حلب، وأرسل إلى الخليفـة العزيز بالله يخبره بتعذر مواصلة القتال لنفاد الأقوات ، على أن الخليفة الفاطمى لم يرض عن تصرف منجوتكين ، وأرسل له الإمدادات عن طريق البحر فعادت القوات الفاطميـــة إلى حصار حلب مرة أخرى سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣م[1] .

واستمر حصار القوات الفاطمية لحلب حتى سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤م استنجد خلالها لؤلؤ الحاجب وسعيد الدولة مرة ثانية بالإمبراطور باسيل الثانى الذى لم يستطع فى هذه المرة أيضا الحضور شخصيا من الجبهة البلغارية ، فأرسل من قبله القائد لاون مليسينوس **Leon Melissenos** لمعاونة ميخائيل البرجى حاكم أنطاكية فى مساعدة الامارة الحمدانية ، وسارت القوات البيزنطية المشتركة حتى وصلت إلى نهر العاصى ، لكن منجوتكين أنزل الهزيمة بها وبالحمدانيين مرة أخرى فى شعبان سنة ٣٨٤ هـ / سبتمبر سنة ٩٩٤م[2] .

وضيق منجوتكين الحصار على حلب واستولى على جميع أعمالها . وللمرة الثالثة استنجد لؤلؤ وسعيد الدولة بالإمبراطور باسيل الثانى ، وخوفاه من عاقبة استيلاء الفاطميين على حلب ، وطلبا الحضور بنفسه لتلافى الأمر حتى لا تسقط أنطاكيه بعد حلب[3]، وأزعجت تلك الأخبار الإمبراطور باسيل الثانى وخشى بالفعل عاقبة تهاونه مع الفاطميين، ونظرا لأنه كان قد فرغ عندئذ من مشاكله فى البلقان واطمأن مؤقتا إلى جانب البلغار[4] ، فقد ترك الجبهة

---

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٤٢ .

(٢) الأنطاكى: المصدر السابق ج١ ص ١٧٥، Canard, op. cit., P. 856-857.

(٣) أبو شجاع : المصدر السابق ص ٢٢٠ .

(٤) د عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٦٨ .

البلغارية وعاد مسرعا لمعالجة الموقف بنفسه ، فوصل إلى الأراضى السورية فى فترة وجيزة مع بعد المسافة[١] .

ويبدو أن لؤلؤ وسعيد الدولة قد حسبا بدقة أبعاد وأخطار وصــول الإمبراطور باسيل الثانى مع جيشه على الإمارة الحمدانية نفسها فلم يطمئنا إليه إذ بمجرد اقتراب باسيل بقواته أرسل لؤلؤ إلى منجوتكين يحذره من وصول القوات البيزنطية[٢] ، فالاحتمال القائم إذن هو خوف الحمدانيين من إلحاق هزيمة كبيرة بالقوات الفاطمية ، فتصبح القوة البيزنطيه هى المسيطرة وحدها فى المنطقه ، أى أن هدف الحمدانيين كان إبعاد الخطر الفاطمى عن حلب مع بقاء توازن القوى بين الجانبين — البيزنطى والفاطمى — حتى لا تنفرد قوة واحدة بهم .

واقتنع منجوتكين بنصيحة لؤلؤ الحاجب وأدرك تفوق القوات البيزنطية وعلى ذلك آثر منجوتكين الانسحاب، فرفع الحصار عن حلب وعاد إلى دمشق فى ربيع الثانى سنة ٣٨٥ هـ / مايو ٩٩٥ م دون أن يخاطر بالدخول فى معركة مع البيزنطيين[٣]، أما الامبراطور باسيل الثانى فقد تلقى الولاء والثناء من لؤلؤ الحاجب وسعيد الدولة ، وبالغا فى تعظيمه فوهب لهما مال الهدنة الذى كان يؤخذ من حلب[٤] .

وعندما اطمأن الإمبراطور باسيل الثانى إلى عودة حلب إلى حالة الخضوع والتبعية للسيادة البيزنطية قرر الاستيلاء على بعض الحصون والمدن الخاضعة للنفوذ الفاطمى فى بلاد الشام، فهاجم حصن شيزر فسلمه حاكمه إلى الإمبراطور الذى عين فيه قائدا بيزنطيا ، ثم خرب باسيل الثانى حمص وسبى من سكانها عددا كبيرا ، كما استولى على رفنيه[٥] ، واتجه باسيل الثانى إلى طرابلس لكنه

---

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٤٣ .

(٢) نفسه المصدر والصفحة .

(٣) الانطاكى: المصدر السابق ج١ ص١٧٥، ابن ظافر: المصدر السابق ورقة ٢٣ .

(٤) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٧٥ .

(٥) ابن ظافر : المصدر السابق ورقه ٢٣ .

فشل فى الاستيلاء عليها فغادرها إلى أنطرسوس فعمر حصنها وشحنه بقوات من الأرمن ، وفى طريق عودته إلى بلاده مر بأنطاكيه فعزل حاكمها البرجى وعين مكانه داميان دالاسينوس[٤] .

ومع أن حملة باسيل الثانى على بلاد الشام قد نجحت فى حماية حلب من استيلاء الفاطميين عليها ، كما أسفرت عن الاستيلاء على عدة حصون فاطمية أخرى ، إلا أن ذلك النجاح كان مؤقتا ومرهونا بفترة بقاء باسيل الثانى فى الأراضى السورية ، فما أن عاد الإمبراطور إلى بلاده حتى تم الصلح بين الخليفة الفاطمى العزيز بالله وبين أبى الفضائل سعيد الدوله سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م[٢] ، أما الخليفة نفسه فقد صمم على الانتقام من البيزنطيين الذين هاجموا الأراضى التابعة له فى بلاد الشام فأمر بإنشاء أسطول بحرى فى حين استعد هو للزحف برا[٣] .

ولم يتمكن الخليفة الفاطمى العزيز بالله من تحقيق خططه تجاه البيزنطيين، فالأسطول الذى اكتمل إنشاؤه وتم تسليمه وتقرر الاحتفال به فى ربيع الآخر سنة ٣٨٦ هـ / مايو سنة ٩٩٦م ، احترق فجأة، واتهم التجار البيزنطيون بتدبير الحادث . فثار عليهم المصريون وقتلوا بعضا منهم، ثم أمر الخليفة ببناء أسطول آخر[٤] ، أما الحملة البرية التى قادها الخليفة نفسه فانه ما أن خرج من القاهرة ووصل إلى بلبيس حتى دهمه المرض، ولم يلبث أن توفى فى شهر رمضان سنة ٣٨٦ هـ / أكتوبر سنة ٩٩٦ م[٥] .

وكان الامبراطور باسيل الثانى قد عهد إلى حاكم أنطاكيه الجديد داميانوس

---

(١) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

Jenkins, op. cit. PP. 318—319.

(٢) ابن ظافر : المصدر السابق ورقه ٢٣ .

(٣) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٧٨ ،

(٤) نفسه : ج ١ ص ١٨٧ - ١٧٩ ، المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٣ ص ١٥ - ١٦ .

(٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٤٤ ، أبو شجاع : المصدر السابق ص ٢٢١ .

دالاسينوس مواصلة الهجمات على المدن والحصون التابعة للفاطميين فى بلاد الشام ، فهاجم دامیانوس طرابلس سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥م لكنه فشل فى الاستيلاء عليها ، ثم أغار على عرقه ورفنيه فى السنة التالية ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م ، فرد القائد الفاطمى منجوتكين على ذلك بالهجوم على أنطاكيه حتى بلغ أسوارها ، لكنه لم يستطع الاستيلاء عليها فغادرها إلى حصن أنطرطوس الذى استولى عليه باسيل الثانى فى حملته السابقة ، وتوافق حصار منجوتكين لأنطرطوس مع وصول الأسطول الفاطمى الذى أمر بإنشائه العزيز بالله قبل وفاته ، فأطبقت القوات الفاطمية من البر والبحر على الحصن حتى كاد يسقط فى أيديها ، لولا هبوب عاصفة شديدة من ناحية البحر حطمت الأسطول الفاطمى ، فى الوقت الذى وصلت فيه القوات البيزنطية بقيادة دامیانوس دالاسينوس ، فاضطر منجوتكين إلى الانسحاب دون أن يستولى على الحصن[١] .

تولى الخلافة بعد وفاة العزيز بالله ابنه أبو على المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله ، ونظرا لأن الخليفة الجديد كان صغير السن فى ذلك الوقت فقد نشبت الاضطرابات فى دولته ، ففى مصر غلب على الأمور الحسن بن عمار زعيم المغاربة وهو شيخ كتامه الذى ناصر قومه وولاهم الولايات ، فهرب بعض الأتراك والمشارقة إلى الشام خوفا منه ، وهنا وجد منجوتكين التركى والى دمشق الفرصة سانحة للتمرد ، وأرسل إلى الامبراطور باسيل الثانى يطلب مساعدته إلا أن الامبراطور لم يستجب له[٢] .

وعلى أثر الاستغاثة التى أرسلها برجوان خادم الحاكم بأمر الله إلى منجوتكين قرر الأخير بعد أن يئس من مساعدة باسيل الزحف إلى مصر لنصرة المشارقة ولما علم الحسن بن عمار بما قصده منجوتكين أرسل جيشا إلى الشام — بقيادة سليمان بن جعفر بن فلاح — تمكن من هزيمة منجوتكين عند عسقلان وأسره

---

(١) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٧٧ — ١٧٩ .

(٢) نفسه ص ١٨٠ .

وحمله إلى مصر[١] .

وفى صور نشبت ثورة ضد الخليفة الفاطمى الجديد فى سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، وأقام سكانها واليا عليهم يعرف باسم العلاقة[٢] ، وفى أفاميه نشب حريق أتى على الأقوات والسلاح فانتهز سعيد الدولة وحاجبه لؤلؤ الفرصة ، وحاولا إستعادتها من الفاطميين فحال دون ذلك حاكم أنطاكيه داميانوس دالا سينوس الذى أجبر الحمدانيين على الانسحاب بينما فرض هو الحصار عليها[٣] ، وفى دمشق ثار السكان على واليها ابن فلاح، فخرج عن البلد هاربا فتغلب الأحداث عليها[٤] .

ولم تستمر تلك الاضطرابات طويلا، فقد استطاع برجوان إبعاد الحسن ابن عمار عن مركز الصدارة فى مصر، ثم قرر العمل على استعادة النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والوقوف فى وجه التهديد البيزنطى ، فأرسل برجوان عشرين مركبا حربيا مشحونة بالرجال إلى صور، كما طلب من حاكمى طرابلس وصيدا بأن يسيرا بأسطوليهما لمساعدة الأسطول الواصل من مصر للقضاء على ثورة العلاقة، وفى أثناء حصار الأساطيل الفاطمية صور من البحر هاجمها والى دمشق الجديد جيش بن الصمصامه من البر[٥] ، ولما وجد العلاقه أنه عاجز عن دفع القوات الفاطمية أرسل إلى الأمبراطور باسيل الثانى يطلب مساعدته ويعده بتسليم المدينة إليه ، وهنا اتخذ باسيل موقفا مخالفا لما سبق أن فعله مع منجوتكين[٦] ، ولعل اختلاف موقف باسيل فى الحالتين يرجع إلى بعد دمشق

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٤٦ — ٤٧ ، ابن الاثير : المصدر السابق ج ٧ ص ١٧٧ — ١٨٠ .

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٥٠ .

(٣) الانطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٨١ — ١٨٢ .

(٤) نفسه ص ١٨١ ، ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٤٩ — ٥٠ .

(٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٥٠ .

(٦) أنظر ما سبق ص ١٩٤

واحتياجها إلى قوات برية ضخمة ، فى حين تقع صور على البحر ويمكن مساعدتها من كلا الطريقين البرى والبحرى .

ومهما كان الأمر ، فقد استجاب باسيل الثانى لطلب العلاقة وأرسل له معونة عاجلة عن طريق البحر . والتقى الأسطول الفاطمى مع الأسطول البيزنطى فى معركة كان النصر فيها حليف المسلمين الذين أسروا سفينة بيزنطية فلاذت باقى السفن بالفرار . وتمكنت القوات الفاطمية من دخول صور وأسر العلاقة[١] ، فعادت صور بذلك مرة أخرى إلى حوزة الفاطميين فى جمادى الآخرة سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م[٢] .

أما أفاميه التى كان يحاصرها القائد البيزنطى داميانوس دالاسينوس فقد سار إليها جيش بن الصمصامه بعد إخماد ثورة صور ، وانضمت إليه قوات من طرابلس ، ودارت الحرب بين الجانبين كان النصر فى بداية الأمر حليف البيزنطيين ، ثم إن أحد الأكراد تمكن من الوصول إلى موقع داميانوس دالاسينوس وطعنه فمات على الفور ، فانقلبت هزيمة المسلمين إلى نصر بعد أن اضطربت القوات البيزنطية التى قتل منها عدد كبير[٣] . ثم واصل جيش ابن الصمصامة سيره حتى أبواب أنطاكية ، لكنه لم يستول عليها وارتد إلى دمشق[٤] ، وهكذا عادت السيطرة الفاطمية مرة أخرى على بلاد الشام .

وصلت تلك الأخبار إلى الامبراطور باسيل الثانى وهو منهمك فى الحرب على الجبهة البلغارية[٥] ، فعاد على الفور لمواجهة الفاطميين فى الشام ، وليمنع التهديد الموجه إلى أنطاكيه ، ومهد باسيل الثانى لعمله العسكرى باتخاذ خطوة

---

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٥٠ — ٥١ .

(٢) الأنطاكى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٨١ .

(٣) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٥١ — ٥٢ .

(٤) أبو شجاع : المصدر السابق ص ٢٢٨ ، ابن الأثير : المصدر السابق جـ٧ ص ٨٠

(٥) Jenkins, op. cit., PP. 322—323.

دبلوماسية ، فارسل إلى الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله رسولين بقصد عقد الهدنة ، ويبدو أن الخليفة قد وافق على طلب الهدنة مشترطا بعض الشروط الخاصة التى لم تفصح عنها المصادر المعاصره ، فعاد أحد الرسولين بجواب الخليفة فى حين تأخر الثانى فى القاهرة انتظارا لرد الامبراطور[١] .

ونظرا لأن مفاوضات الهدنة لم تنجح بين الجانبين ، فقد ظهر الامبراطور باسيل الثانى فى منطقه جسر الحديد بين أنطاكيه وحلب فى شوال سنة ٣٨٩هـ/ سبتمبر ٩٩٩م ، ومنها سار إلى شيزر فاستولى عليها بعد أن قطع الماء عنها ، مما أجبر واليها الفاطمى على طلب الاستسلام والخروج مع أصحابه ، فقام باسيل بشحن المدينة بقوات من الأرمن[٢] ، واستولى الامبراطور فى حملته على عدة حصون ، منها حصن أبى قبيس وحصن مصيات ورفنيه ، كما هاجم حمص وأحرق ونهب كنيستها ، واتجه باسيل الثانى إلى منطقة الساحل ، فهدم حصن عرقه ثم حاصر طرابلس فى ذى الحجة سنة ٣٨٩هـ / نوفمبر ٩٩٩م فاستعصت عليه برغم إحكام الحصار عليها من البر وورود الامدادات إليه من البحر ، فاضطر باسيل إلى مغادرتها إلى أنطاكيه فى المحرم من سنة ٣٩٠هـ / ديسمبر ٩٩٩م ثم أرسل بعض سراياه لتهاجم بيروت وجبيل[٣] .

ويلاحظ على تلك الحملة التى استمرت قرابة شهرين أنها لم تكن ذات تأثير كبير على الموقف العسكرى فى الجبهة السورية ، فبرغم الامكانيات العسكرية الضخمة التى كانت مع الامبراطور باسيل الثانى[٤] ، إلا أنه لم يهاجم دمشق ، كما فشل فى اقتحام طرابلس ، والحصون التى استولى عليها صغيرة وقليلة الأهمية ، لذا يمكن القول بأن تلك الحملة كانت للتخريب والتخويف ، فهى

---

(١) الانطاكى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٤ .

(٢) د . عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ٦٩ .

(٣) الأنطاكى : المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٣ — ١٨٤ .

(٤) اشتركت ضمن قوات باسيل الثانى عناصر من الروس الجيدة التدريب ، أنظر :
Jenkins, op. cit., p. 323 ; Camb., IV, I, P. 186.

لم تغير من ميزان القوى العسكرى بين الجانبين الفاطمى والبيزنطى فى بلاد الشام ، وتحددت الممتلكات البيزنطية فى بلاد الشام فى أنطاكية مع سيادة نظرية على حلب ، فى حين ظل باقى سوريا تحت النفوذ الفاطمى[١] ، ومع ذلك فإنه لا ينبغى التقليل من الجهود الحربية التى بذلها باسيل الثانى على الجبهة الإسلامية ، إذ تعتبر تلك الجهود خاتمـــة للحروب الصليبية التى قام بها البيزنطيون فى القرن العاشر الميلادى ، وحالت دون امتداد النفوذ الفاطمى إلى ماوراء انطاكيه[٢] .

أقام الامبراطور باسيل الثانى بعد مغادرته سوريا فى قيليقيا معتزما العودة إلى بلاد الشام بعد انقضاء فصل الشتاء[٣] ، ولما جاءته الأخبار من أرمينيا بمقتل الأمير الأرمنى داود أمير تاو Tao فى يوم عيد الفصح قرر باسيل الثانى السفر إلى أرمينيا لمعالجة الموقف والاستيلاء على أرث القتيل[٤] . وتجددت المفاوضات بعد ذلك بين الامبراطور باسيل الثانى والخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله حتى تم عقد الهدنة بين الجانبين سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م فتفرغ بعدها الامبراطور لمواجهة مشاكله الأخرى فى بلغاريا[٥] ، وهكذا استطاع باسيل الثانى بالوسائل العسكرية والدبلوماسية الاحتفاظ بالحدود البيزنطية الشرقية على الجبهة الإسلامية كما ورثها عن أسلافه ، كما ضمنت له المعاهدة التى عقدت مع الفاطميين بقاء تلك الحدود دون تعديل ، ولم يظهر العداء الصريح بين الفاطميين والبيزنطيين عدة سنوات ، فاستعان الامبراطور باسيل الثانى بالقوات

---

(١) Grousset, R. Histoire des Croisades et du Royaume franc de Jérusalem, vol.. I, p. XXI.

(٢) د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٦٩ .

(٣) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٨٤ .

(٤) Jenkins, op. cit., p. 323.

(٥) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ١٨٤ ، د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٦٩ ، Camb., IV I, PP. 186—187.

الفاطمية فى دمشق لمواجهة الحصار الذى فرضته على شيزر قوات أحمد ابن الحسين الأصفر وهو أحد المتطوعين الذين قدموا من الجزيرة عام ٣٩٦هـ/١٠٠٦م بغية الجهاد(١) .

وتوترت العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين من جديد بسبب سياسة الخليفة الحاكم بأمر الله الدينية(٢) ، فعندما أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بتدمير كنيسة القيامة فى سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م(٣) رد الإمبراطور باسيل الثانى على ذلك بمنع السفر والمتاجرة من بلاده إلى مصر وبلاد الشام(٤) كما أخذ يتدخل فى شئون المناطق الخاضعة لنفوذ الفاطميين فى بلاد الشام، فناصر — أى باسيل الثانى — عزيز الدولة فاتك نائب حلب الذى شق عصا الطاعة على الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله(٥) ، وعندما قرر الخليفة أن يضع حدا لعصيان فاتك وأمر بتجهيز الجيش للسير إلى حلب سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م بادر فاتك بالاستنجاد بالإمبراطور باسيل الثانى وطلب إليه سرعة الحضور كى يسلم إليه حلب، ولم يتردد الإمبراطور فى اقتناص الفرصة وخرج على رأس جيشه حتى وصل إلى مرج الديباج فى قيليقيه ، غير أن الأخبار وصلت إلى فاتك بوفاة الحاكم بأمر الله ، فأرسل على الفور إلى الإمبراطور يعلن له انتقاض ما بينهما من شروط ويحذره من مواصلة السير إلى حلب، فعدل الإمبراطور عن خطته واتجه إلى أرمينيا(٦) .

(١) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٩٦ .

(٢) د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٦٩ .

(٣) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٦٦ — ٦٨ .

(٤) الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ٢١٤ .

(٥) كانت حلب قد خضعت للفاطميين على أثر الحروب التى نشبت فيما بين صالح ابن مرداس زعيم الكلابيين ومنصور بن لؤلؤ ، وعين الخليفة الحاكم بأمر الله عزيز الدولة « فاتك » نائبا على حلب إلا أنه تمرد على الخليفة أنظر : الأنطاكى : المصدر السابق ج ١ ص ٢١٤ — ٢١٦ .

(٦) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ٢١٨ — ٢١٩ .

العلاقات الفاطمية البيزنطية فى عهد الخليفة الظاهر :

وتحسنت العلاقات بين الجانبين البيزنطى والفاطمى عقب وفاة الخليفة الحاكم بأمر الله فى سنة ٤١١هـ/ ١٠٢١م الذى خلفه أبنه أبو الحسن على الملقب بالظاهر لاعزاز دين الله ، تجددت ست الملك — عمة الخليفة الظاهر — الإتصالات مع الامبراطور باسيل الثانى ، وأرسلت سفارة إلى القسطنطينية برئاسة نقفور بطريرك بيت المقدس ليخبر الامبراطور بتجديد كنيسة القيامة فى القدس وسائر الكنائس فى بلاد مصر والشام ، ورجوع أوقافها إليها واستقامة أمور النصارى ، وطلبت أطلاق المتاجرة بين الطرفين،وعندما شرع البطريرك فى المفاوضات الخاصة بعقد الهدنة توفت ست الملك ، فـرفض الامبراطور مواصلة المفاوضات وعاد البطريرك دون جواب فى أوائل عام ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م[1] .

ومع أن الجانب البيزنطى هو الذى قطع المفاوضات ورفض عقد الهدنة مع الخليفة الفاطمى الظاهر ، ألا أن الامبراطور لم يتخذ مع ذلك خطوة عدائية صريحة مع الفاطميين ، كما لم يحاول الاستفادة من الاضطرابات الخطيرة التى أثارتها القبائل العربية فى بلاد الشام ضد النفوذ الفاطمى .

وكان قد تحالف كل من صالح بن مرداس زعيم الكلابيين الذين يعيشون بجوار حلب وسنان بن عليـان زعيم بنى كلب بالقرب من دمشق وحسان ابن المفرج بن الجراح زعيم بنى طىء فى فلسطين ، تحالف هؤلاء فى سنة ٤١٥هـ ١٠٢٤م على تقيم بـلاد الشام فيما بينهم[2] ، وكان أكثر هؤلاء نجاحا

(١) الانطاكى : المصدر السابق ج٢ص٢٤٣، صابر دياب: سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ٢١٩ .

(٢) الأنطاكى : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

صالح بن مرداس الذى تمكن من الاستيلاء على حلب فى ذى القعدة سنة ٤١٥ هـ يناير ١٠٢٥ م وأسس الأسرة المرداسية ، وامتد نفوذه إلى حمص وبعلبك وصيدا والرحبة ومنبج وبالس ورفنيه ، وقرب ضواحى طرابس[١] ، ولم يتدخل الامبراطور باسيل الثانى لمساعدة هؤلاء الثوار ضد الخلافة الفاطمية بل أنكر على حاكم أنطاكية إرسال ثلاثمائة من قواته لمساعدة صالح بن مرداس وطلب سجنهم فأعادهم صالح[٢] .

واستمرارا للسياحة البيزنطية الودية تجاه الفاطميين فى تلك الفترة ، فإن الامبراطور قسطنطين الثامن ٤١٥ — ٤١٨ هـ / ١٠٢٥ — ١٠٢٨ م عقد معاهدة مع الخليفة الفاطمى الظاهر فى سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م كان من شروطها[٣] .

١ — أن يخطب للخليفة الظاهر فى الأراضى البيزنطية .

٢ — أن يعاد بناء جامع القسطنطينية وأن يرتب فيه مؤذنا .

وفى مقابل تلك الشروط كان على الخليفة الظاهر الموافقه على :

١ — إعادة بناء كنيسة القيامة فى القدس .

٢ — أن يسمح لمن أظهر الإسلام أيام الخليفة الحاكم بأمر الله من النصارى بالعودة إلى ديانته .

ولا ينبغى أن يفهم من هذه الاتفاقية أنه كانت هناك حماية بيزنطية على الأراضى المقدسة ، فالواقع أن تلك الحماية كانت قاصرة على المسيحيين

(١) الأنطاكى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٤٥ — ٢٤٨ .

(٢) نفسه : ج ٢ ص ٢٤٦ — ٢٤٧ .

(٣) المقريزى : إتعاظ الحنفا ص ٢٧٥ ، الخطط ج ٢ ص ٣١ .

الأرثوذوكس فى الشرق[١] ، كما كان للخلافة الإسلامية الحماية على المسلمين فى الأراضى البيزنطية .

وترجع أسباب السياسة الودية التى مارسها البيزنطيون مع الفاطميين فى أثناء ثورة القبائل العربية فى بلاد الشام إلى خوف الامبراطورية من تزايد نفوذ صالح بن مرداس فى حلب ، إذ ليس من صالح البيزنطيين تواجد قوة كبيرة فى بلاد الشام تقف حائلا أمام أطماعهم ، وعلى ذلك ترك البيزنطيون القوات الفاطمية تصفى ثورة القبائل العربية وتخمدها . وكان سنان بن عليان قد توفى سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م فأعلن خليفته ولاءه للخليفة الفاطمى[٢] . وفى العام التالى نجح القائد الفاطمى أنوشتكين التزبرى فى هزيمة صالح بن مرداس وحسان بن مفرج بن الجراح عند الأقحوانة وقتل صالح فى المعركة[٣]، فترتب على ذلك عودة السيادة الفاطمية على بعلبك وحمص وصيدا ورفنية[٤]، فلما علم البيزنطيون بزوال قوة صالح بن مرداس وتولى إبنه شبل الدولة نصر مكانه عادوا من جديد للتدخل فى شئون حلب، وطلب الامبراطور رومانوس الثالث من ابنى صالح بن مرداس — نصر وثمال — تسليم حلب إليه مقابل تعويض من المال والبلاد[٥] ، ولما رفض المرداسيون ذلك الطلب خرج الامبراطور بنفسه فى حملة عسكرية بقصد الاستيلاء على حلب ، لكنه هزم بالقرب من اعزاز فى شعبان سنة ٤٢١ هـ / أغسطس ١٠٣٠ م[٦] .

---

(١) Runciman, S., The Byzantine Protectorate in the Holy Land in the XI Century" in Byzantion XVIII 1948, p. 215.

(٢) الأنطاكى : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٣) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٧٣ — ٧٤ .

(٤) الانطاكى : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٥) نفسه ج ٢ ص ٢٥٤ .

(٦) نفسه : ج ٢ ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ؛ Cedrenus, op. cit., II pp. 492—493 ; Grousset, L' Empire du levant p. 127.

وأدرك نصر بن صالح برغم انتصاره على البيزنطيين أن من مصلحته مسالمتهم وبقاء حلب على ولاء مزدوج للفاطميين والبيزنطيين، فأسرع بالدخول فى مفاوضات مع الامبراطور رومانوس الثالث وقبل سداد الأموال له[1]، وفى نفس الوقت أرسل نصر بن صالح الهدايا إلى الخليفة الفاطمى الظاهر[2]. ويبدو أن الخلافة الفاطمية أدركت من ناحيتها عدم استطاعتها الوقوف بحزم أمام التهديدات البيزنطية الموجهة إلى حلب ، لذلك إكتفت بالتبعية الاسمية من جانب نصر بن صالح ، بل سعت الخلافة الفاطمية من جانبها لعقد معاهده مع الامبراطور رومانوس الثالث ، فترددت المراسلات بين التزبرى القائد الفاطمى فى بلاد الشام وبين حاكم أنطاكية بشأن اجتماع رسولى الخليفـــة والامبراطور فى أنطرطوس آخر حدود الأراضى البيزنطية وأول حدود البلاد الإسلامية[3] .

ومما يوضح ضعف النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام فى تلك الفترة أن حاكم أنطاكية رفض اجتماع وفدى المفاوضات قبل أن يستولى على حصن بكسرائيل — القريب من أنطاكية — وكان يحكمه نصر بن مشرف من قبل الخليفة الظاهر ، واتجه حاكم أنطاكية إلى الحصن وحاصره أربعين يوما ، وبعد أن هدم أسواره بالمنجنيقات إستولى عليه سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣٢م وأسر من حاميته زهاء خمسمائة رجل ، وخشى القائد الفاطمى التزبوى من مواصلة حاكم أنطاكية الزحف على باقى الحصون والمدن الفاطمية فى بلاد الشام، فتظاهر بالاستعداد لغزو الأراضى البيزنطية ، كما قرئت سجلات من الخليفة الظاهر بالدعوة إلى الجهاد فى جميع بلاده ، وأرسلت الرسائل إلى منطقة الجزيرة لاستنفار المسلمين

(١) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٧ ، الأنطاكى : المصدر السابق ج٣ ص ٢٥٧ — ٢٦٠ ، Cedrenus; op. cit., II, p. 498.

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣) الأنطاكى : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٥ — ٢٦٦ ، صابر دياب : المرجع السابق ص ٢٢٢ .

هناك للانتقام من البيزنطيين بعد أن استولوا على الرها وسبوا سكان رفنية ودمروا حصن بكسرائيل . ولما كان حاكم انطاكية يعلم ضعف الموقف الفاطمي ، فإنه أرسل إلى التزبري يخبره بعلمه بحركة الجهاد التى أعلنت وأنه مستعد للقائه إذا رغب فى ذلك ، كما أنه مستعد لاتمام إجراءات عقد الهدنة ، وعندئذ ظهر ضعف الفاطميين بشكل واضح ، لأن التزبري رد برغبته فى عقد الهدنه وطلب إرسال المندوبين المفوضين فى ذلك[1] .

وبادرت القوى الإسلامية فى بلاد الشام ومنطقة الجزيرة بعد حادثة بكسرائيل إلى استرضاء الإمبراطور البيزنطى والعمل على كسب وده، فأرسل نصر بن صالح أمير حلب إلى الأمبراطور مال الهدنة وطلب تجديد التحالف معه ، كما طلب أن يمنحه الأمبراطور رتبة بيزنطية يشتهر بها عند منافسيه من العرب ، وألا يتخلى عنه متى احتاج إلى مساعدته ، فرد الإمبراطور على ذلك الطلب بأن أعلن فى مجلس عام حضره رسول الخليفة الفاطمى الظاهر وغيره من الرسل والوفود أن نصر بن صالح قد أصبح بطريقا ومعدودا فى جملة خواصة وتعهد بالدفاع عنه ضد خصومه[2]، وهكذا عادت حلب محمية بيزنطية كما كانت فى عهد الأمراء الحمدانيين بعد سيف الدولة. كذلك فإن العرب النميريين بزعامة شبيب ابن وثاب بجوار منطقة الرها أرسلوا وفودهم إلى الإمبراطور للدخول فى طاعته كما أنفذ ابن مروان حاكم ديار بكر رسولا من قبله إلى الإمبراطور فى هذا المعنى[3] .

وكان طبيعيا بعد إعلان الحماية البيزنطية على حلب أن يتشدد الجانب البيزنطى فى مفاوضات الهدنة مع الفاطميين ، فاشترط الإمبراطور رومانوس الثالث لعقدها الشروط التالية[4] :

(١) الأنطاكى : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٦ — ٢٦٩ .

(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه ج ٢ ص ٢٧٠ — ٢٧١ .

١ — أن يعمر الامبراطور كنيسة القيامة ببيت المقدس ويجددها من ماله، كما يعين الامبراطور بطريركا على بيت المقدس، ويقوم النصارى بتعمير جميع الكنائس الخراب التى فى أراضى الخليفة الظاهر .

٢ — ألا يتعرض الخليفة الظاهر لحلب، ولا يتحرك لقتالها بعد أن أصبحت تدفع مال الهدنة للامبراطور .

٣ — ألا يساعد الخليفة الفاطمى حاكم صقلية ولا غيره على محاربة الامبراطور، كما لا يساعد الامبراطور من ناحيته أعداء الخليفة .

وفى مقابل تلك الشروط عرض الإمبراطور رومانوس الثالث أن يقوم بالإجراءات التالية :

١ — إطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين أسروا فى الحرب فى أثناء حكمه .

٢ — إعادة حسان بن الجراح اللاجىء عند الإمبراطور إلى إقطاعه الذى كان له فى أيام الخليفة الحاكم، على أن يشترط عليه حسن الطاعة للخليفة الظاهر فإذا عاد إلى الفساد كان الامبراطور والخليفة حربا عليه .

٣ — أن تسلم القوات البيزنطية حصن شيزر القريب من أنطاكية إلى القوات الفاطمية مقابل تخلى الفاطميين عن حصن أفاميه القريب من الأراضى البيزنطية .

وتكشف الشروط التى عرضها البيزنطيون عن رغبتهم فى السيطرة الكاملة على بلاد الشام وإضعاف النفوذ الفاطمى بها، فهم بالإضافة إلى نجاحهم فى إخضاع حلب إلى حالة التبعية أرادوا إثارة الاضطرابات فى وجه الخليفة الظاهر بإطلاق سراح حسان بن الجراح الذى ثار من قبل ضد الفاطميين فى فلسطين، ولم يخف ذلك على الخليفة الظاهر، فرفض عودة حسان بن الجراح إلى إقطاعه، كما رفض مبادلة شيزر بأفاميه، أما حلب فقد اقترح الخليفة اهمال

ذكرها فى الاتفاقية[1]. وترددت المراسلات بين الجانبين إلى أن تم عقد المعاهدة فى عهد الخليفة المستنصر بالله والإمبراطور ميخائيل الرابع سنة ٤٢٩ﻫ ١٠٣٧ — ١٠٣٨ م حيث وافق الامبراطور على اطلاق سراح المسلمين مقابل السماح له بإعادة كنيسة القبر المقدس[2].

ونجحت السياسة البيزنطية فى تلك الفترة فى إضعاف سائر القوى الإسلامية فى بلاد الشام باثارة الصراع فيما بينها وسعى كل طرف للحصول على مساعدة البيزنطيين، فالقائد الفاطمى أنوشتكين التزبرى حاكم دمشق طمع فى الاستيلاء على حلب لحسابه الخاص، ومن أجل ذلك أرسل إلى الأمبراطور يستأذنه فى محاربة نصر بن صالح الذى يخضع للحماية البيزنطية منذ عهد رومانوس الثالث، ووافق الامبراطور ميخائيل الرابع على طلب أنوشتكين بعد أن تعهد الأخير بسداد المال المقرر على نصر بن صالح للامبراطور، وما أن تمكن القائد الفاطمى من هزيمة نصر بن صالح وقتله سنة ٤٢٩ ﻫ / ١٠٣٨م واستولى على حلب[3]، حتى عاد البيزنطيون لمساعدة المرداسيين من أبناء صالح بن مرداس ونصر بن صالح للعودة إلى حلب مرة أخرى، ولكن أنوشتكين أنزل الهزيمة بالقوات البيزنطية بين أفامية وحماه سنة ٤٣٢ ﻫ / ١٠٤٠ — ١٠٤١ م[4]، وأخيرا نجح ثمال بن صالح بن مرداس فى الاستيلاء على حلب سنة ٤٣٦ ﻫ / ١٠٤٥ م وظل على ولائه المزدوج للفاطميين والبيزنطيين[5].

وعادت المراسلات بين الفاطميين والبيزنطيين منذ سنة ٤٣٧ ﻫ / ١٠٤٥م بقصد تجديد الهدنة لمدة عشر سنوات، وأرسل الامبراطور قنسطنطين التاسع

(١) الأنطاكى: المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧١.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق ج ٨ ص ١٦.

(٣) ابن العديم: المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٠ — ٢٥١.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق ج ٨ ص ٢٩، سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان مخطوط بدار الكتب رقم ٩٢٧٦ ح. ج ٨ ورقة ٣٦٥ حوادث سنة ٤٣٢ ﻫ.

(٥) ابن العديم: المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٠ — ٢٦١، ٢٦٨ — ٢٦٩.

مونوماخوس هدايا إلى الخليفة المستنصر إشتملت على كميات من الذهب والخيول وأنواع الأقمشة المختلفة ، وقاد القافلة التى قدمت من القسطنطينية مائتان من أسرى المسلمين[١] ، وقد نجحت المفاوضات فى عقد الهدنة بين الجانبين فى سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م[٢] .

وحدثت ظروف جديدة فى منطقة الشرق جعلت الامبراطورية البيزنطية تعيد النظر فى سياستها تجاه الفاطميين ، ذلك أن قوة الاتراك السلاجقة الآخذة فى التصاعد فى تلك الفترة استحوذت على اهتمام وتفكير الامبراطورية البيزنطية على حين لم تعد قوة الفاطميين هى الخطر الرئيسى بالنسبة لها . فأسرع الامبراطور قنسطنطين التاسع فى سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م بإرسال الهدايا إلى السلطان طغرلبك وعقد معه معاهدة سمح الامبراطور بمقتضاها بالدعاء للسلطان السلجوقى فى جامع القسطنطينية[٣] ، ومع ذلك فإن الإمبراطور البيزنطى لم يقطع صلته تماما بالفاطميين ، بل أراد أن يوازن فى سياسته بين القوتين السلجوقية والفاطمية ، فقبض الإمبراطور فى سنة ٤٤٣هـ/١٠٥٢ - ١٠٥٣م على رسول الخليفة العباسى إلى المعز بن باديس والى أفريقية الخارج عن طاعة الخليفة الفاطمى المستنصر وأرسله إلى القاهرة[٤] ، كذلك وافق الامبراطور قنسطنطين التاسع على شحن أربعمائة ألف أردب من القمح إلى مصر على إثر المجاعة التى حدثت بها منذ سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤ — ١٠٥٥ م ، فلما توفى الامبراطور اشترطت زوجته ثيودورا أن يتحالف معها الخليفة الفاطمى ضد أعدائها ، فلما رفض الخليفة ذلك التحالف منعت الامبراطورة شحن القمح[٥] .

واعتبر الخليفة الفاطمى المستنصر رفض البيزنطيين توريد القمح لمصر عملا

---

(١) القاضى الرشيد : كتاب الذخائر والتحف ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق جـ ٨ ص ٤٦ ، Camb., IV. I, P. 726.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٢ .

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر جـ ٢ ص ٥ - ٦ .

(٥) نفسه جـ ٢ ص ٦ - ٧ .

عدائيا وخرقا للهدنة بين الطرفين ، وأسرع بإرسال قواته فى نفس العام إلى بلاد الشام بقيادة مكين الدولة الحسن بن ملهم حيث نزل بالقرب من أفاميه ثم طاف فى أعمال أنطاكية، فأرسلت الإمبراطورة ثيودورا أسطولا من ثمانين قطعة بحرية لمواجهة الفاطميين ، واستطاعت القوات البيزنطية هزيمة الجيش الفاطمى وأسر القائد الحسن بن ملهم(١) .

وازدادت العلاقات توترا بين الجانبين،وكلما زاد توسع السلاجقة فى الشرق قل اهتمام البيزنطيين بالفاطميين . فعندما أرسل الخليفة المستنصر القاضى أبا عبد الله القضاعى فى سفارة إلى القسطنطينية سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م لتسوية الخلافات تصادف وجوده مع وجود رسول السلطان طغرلبك ، فلما أذنت الإمبراطورة ثيودورا للسفير السلجوقى بإقامة الصلاة فى جامع القسطنطينية والدعاء فى الخطبة للخليفة العباسى — القائم بأمر الله — إعتبر القضاعى ذلك رفضا من جانب البيزنطيين لتحسين العلاقات،وإهانةموجهة للفاطميين،وأخطر القضاعى الخليفة المستنصر بما حدث ، فاستولى الخليفة على كنوز كنيسة القيامة(٢) ، وهكذا استمرت حالة العداء بين الفاطميين والبيزنطيين حتى قدوم الصليبين إلى بلاد الشام .

---

(١) ابن ميسر: المصدر السابق :ص ٦ — ٧ ، د. سرور . المرجع السابق ص٢٤٦ .

(٢) ابن ميسر: المصدر السابق ج٢ص٧، د. سرور: المرجع السابق ص٢٤٦،٢٤٧.

الفصل السادس

العلاقات بين الدولة البيزنطية والسلاجقة

* آسيا الصغرى قبل مجيء السلاجقة .
* نشأة السلاجقة .
* الاحتكاك بين السلاجقة والبيزنطيين :

استيلاء الإمبراطور باسيل الثانى على ممالك أرمينيا — هجمات السلاجقة على أرمينيا فى عهد طغرلبك — بدء هجمات السلاجقة على آسيا الصغرى — استيلاء ألب أرسلان على أرمينيا — حملات الأمبراطور رومانوس الرابع ضد السلاجقة .

* معركة مانزكرت .
* توسع السلاجقة فى آسيا الصغرى .
* المعاهدة بين ميخائيل السابع وسليمان بن قطلمش و
* سياسة الامبراطور اليكسوس كومنين ضد السلاجقة .

آسيا الصغرى قبل مجيء السلاجقة :

فى الوقت الذى ساءت فيه أحوال الخلافتين الإسلاميتين العباسية السنية فى بغداد والفاطمية الشيعية فى القاهرة ، الأولى بسبب سيطرة البويهيين على الخلفاء سيطرة تامة ، والثانية بسبب سياسة الخليفة الحاكم بأمر الله الدينية وإزدياد نفوذ الوزراء العظام ، فى ذلك الوقت ظهرت على مسرح الأحداث فى الشرق الأدنى قوة إسلامية جديدة وفتية،هى قوة الأتراك السلاجقة الذين بثوا فى العالم الإسلامى روحا جديدة أدت إلى تغيير ميزان القوى فى العلاقات الإسلامية البيزنطية فى منطقة الشرق الأدنى[1]. بل إنهم خلقوا عصرا جديدا فى التاريخ الإسلامى وفى التاريخ البيزنطى أيضاً . [2]

وفى الوقت الذى كانت فيه تلك القوة الإسلامية الجديدة الوافدة من أواسط آسيا تنمو وتزداد بسرعة مذهلة لتفرض سيطرتها السياسية والعسكرية على كثير من القوى المنافسة لها ، فى ذلك الوقت كانت منطقة آسيا الصغرى البيزنطية تتعرض لتغييرات أساسية وجوهرية فى تركيبها الاجتماعى والحضارى منذ نهاية القرن العاشر الميلادى ترتب عليها تدهور أحوال الجيش البيزنطى ووسائل الدفاع فى تلك المنطقة،مما سهل اختراق الأتراك السلاجقة للأراضى البيزنطية فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى .

كانت آسيا الصغرى قد أصبحت بنهاية القرن التاسع الميلادى المورد الرئيسى من الرجال والأموال للامبراطورية البيزنطية بفضل ماتوافر فيها من بناء إجتماعى متماسك قائم على أساس نمو سكانى من الفلاحين الأحرار وتقارب ثقافى يتميز بلغة يونانية فى الحديث اليومى ، ثم عقيدة أرثوذوكسيه كديانة للسكان . وقد تطورت تلك الملامح الاقتصادية والثقافية والاجتماعية

---

(١) د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٧٨ .

(٢) Vasiliev, History of the Byzantine empire, vol., I, p. 354.

فى أثناء الحروب التى خاضتها الامبراطورية كعوامل قوة فى النضال الناجح من أجل البقاء، ثم استمرت أكثر قوة فى حروب التوسع التى حولت الامبراطورية البيزنطية عند نهاية حكم الامبراطور باسيل الثانى ١٠٢٥ م إلى أكبر قوة فى أوربا والشرق الأدنى [١] .

غير أن منطقة آسيا الصغرى كما تطورت بنهاية القرن التاسع الميلادى لتشكل حصنا رئيسيا للدفاع عن الامبراطورية البيزنطية قد طرأت عليها منذ القرن العاشر تغييرات أدت إلى انهيارها ، وهو الأمر الذى لم تستطع معه الصمود أمام هجمات السلاجقة فيما بعد . وكان أول عوامل الانهيار فى آسيا الصغرى هو إمتصاص الملكيات الصغيرة للفلاحين الأحرار والجنود وخضوعهم لتبعية كبار الملاك الارستقراطيين من أصحاب الضياع الكبيرة الذين شغلوا الوظائف المدنية والعسكرية المهمة فى الدولة [٢] . وهكذا اختفى الفلاح الحر والفلاح الجندى بعد أن أصبحت تلك الضياع وراثية فى العائلات الكبيرة ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أصبح الفلاحون البيزنطيون يعملون كأقنان فى ضياع السادة الأجانب الذين حازوا الإقطاعات الخاصة التى منحت لهم من الأباطرة وفق نظام البرونويا Bronoia مقابل تقديم الرجال والخدمات الحربية للامبراطور [٣] .

(١) Charanis, P., "Cultural diversity and breakdown of Byzantine power in Isia Minor", in Dumbarton Oaks papers, N. 29—1975, pp. 15 — 18.

(٢) Ibid, p. 16.

(٣) يقوم نظام البرونويا Pronoia على أساس منح المرتزقة الأجانب الذين يعملون فى الجيش البيزنطى إقطاعات لهم معفاه من الضرائب مقابل خدماتهم الحربية . وكان حائز الاقطاع يسمى برونوياريس Pronoiarios . وكان معظم هؤلاء من الروس والايطاليين والألمان والفرنجة ، أنظر :

Jenkins, R. Byzantium the imperial centuries "A.D.610—1071"p. 365.

وللدراسة التفصيلية عن نظام الاقطاع البيزنطى والبرونويا أنظر :

Vasiliev, "On the qnestion of Byzantine feudalism", in Byzantion VIII 1933 f2. pp. 584—604.

وهكذا أدت تلك الظواهر إلى إزدياد نفوذ النبلاء الأقطاعيين وتدهور أوضاع الجيش البيزنطى ونقص القوات المحلية الوطنية — الميليشيا — ، ولما ازداد نفوذ هؤلاء النبلاء وخشى الأباطرة قوة بأسهم وكثرة تمردهم إضطروا إلى توجيه سلسلة من الضربات إلى العديد منهم خاصة أولئك الذين كانوا يشغلون وظائف عسكريه عليا فى الجيش، وقد تمكن الإمبراطور باسيل الثانى من إنقاذ عرشه بصعوبة من اثنين يعتبران من أقوى نبلاء آسيا الصغرى ، أحدهما هو برداس سكليروس والثانى برداس فوقاس . وبعد أن نجح باسيل الثانى فى ذلك صمم على تدمير الأثر العسكرى للنبلاء بمصادرة ممتلكاتهم ، وتحديد إقامتهم فى العاصمة وفرض الضرائب عليهم (١)، فأصدر عام ١٠٠٢ م قانونا يلزم النبلاء بسداد الضرائب المتأخرة على الفلاحين الفقراء الذين لا يستطيعون سداد التزماتهم المالية »(٢) .

ومع أن القانون الذى أصدره باسيل الثانى سنة ١٠٠٢ م قد ألغى بعد وفاته فقد استمرت سياسة عدم الثقة فى العسكريين ، وبذلت الحكومات البيزنطية المتعاقبة بعد باسيل الثانى جهودا كبيرة من أجل اقصاء العسكريين عن إدارة الدولة حتى أصبحت الخدمة العسكرية أمرا غير مرغوب فيه بعد أن كانت فى القرنين التاسع والعاشر الميلادى تحمل معانى الشرف والمركز الاجتماعى . وكما يذكر كدرينوس فان الجنود قد تركوا أسلحتهم جانبا وأصبحوا محامين وقضاة(٣) واتخذ الامبراطور قسطنطين التاسع سلسلة من الإجراءات بقصد إضعاف الطبقة الارستقراطية التى كانت تحكم الجيش وذلك بانقاص عدده وحرمان الارستقراطية من القيادة معتمدا على أن انتصارات القرن العاشر الميلادى التى انتهت بهزيمة العرب والبلغار، وعد الحدود البيزنطية حتى الفرات ودجلة شرقا وإلى الدانوب فى البلقان شمالا، قد جلبت شعورا بالأمن وبعدم

(١) Charanis, op. cit., p. 16.

(٢) Ibid., p. 17; Masconas., D. Th., "The Military breakdown in Byzantium during the XI th. Century", in Anelekta 1968-1969 p. 89

(٣) Charanis., op. cit., p. 17.

الحاجة إلى جيش كبير ، ومن ثم فان قنسطنطين التاسع اغدق الاعطيات والتكريم على مستشاريه المدنيين فى حين أهمل الجيش وعزل قواده وحرم الجنود من منحهم التى اعتادوا عليها ، فنشأ بذلك صراع بين الأرستقراطية العسكرية وبين الحزب المدنى،مما أغرق البلاد فى سلسلة من الحروب الأهلية التى استنزفت ثرواتها وطاقاتها البشرية[١] .

ونهج الامبراطور ميخائيل السادس نهج سلفه قنسطنطين التاسع حتى ثار بسبب ذلك القائد إسحاق كومنين وأعلن امبراطورا بين جنوده فى ١٠ يونية سنة ١٠٥٧ م وأخذ الإمبراطور الجديد يقوم ببعض الإصلاحات فى الجيش فانتعشت العسكرية البيزنطية لفترة قصيرة إذ لم يلبث إسحاق كومنين أن مات سنة ١٠٥٩ م وخلفه قنسطنطين العاشر الذى عاد إلى سياسة إهمال الجيش[٢]

وتدهور الجيش البيزنطى أدى بالضرورة إلى الإستعانة بمرتزقة من الشعوب الأجنبية مثل الروس والترك والنورمان والبشناج والبلغار والألمان وغيرهم ، وكان هؤلاء جميعا غرباء عن التقاليد البيزنطية كما كانت تسيطر عليهم إهتماماتهم الخاصه أكثر من اهتمامات الإمبراطورية، فالضرر الذى سببوه لها كان أكبر من الخدمات التى أدوها ،[٣] وكذلك فان حروب التوسع التى خاضتها الإمبراطورية فى القرن العاشر والربع الأول من القرن الحادى عشر الميلادى قد جلبت تحت سلطة الإمبراطورية أراض واسعة مأهوله بسكان يتكلمون بلغات غريبة ، ويدينون بعقائد مختلفه عن الثقافة البيزنطية التى نمت وتطورت فى آسيا الصغرى ، وزاد من حدة هذه المشكله أن هؤلاء السكان لم يكيفوا أنفسهم مع الثقافة البيزنطية ، فساعد ذلك على تدهور الحياة الثقافية التى كانت عاملا من عوامل تماسك البناء الاجتماعى فى آسيا الصغرى من

---

(١) — Charanis, "On the social structure of the later roman empire", in Byzantion XVII 1944—45 p. 54—55.

(٢) — Jenkins, op. cit., pp. 363—364, 366—367,

(٣) — Charanis, Cultural diversity; pp. 17—18.

قبل(١) . وتتمثل تلك المشكلة بصورة واضحة فى الأرمن ، فالكثير منهم وجد طريقه بالاختيار أو بالقوة إلى أقاليم آسيا الصغرى خلف وطنهم الذى أصبح تحت السيطرة البيزنطية ، وقد قدر أحد المؤرخين عدد الأرمن الذين هاجروا مع سنكريم ملك فاسبوركان الذى سلم مملكته إلى الامبراطورية البيزنطية سنة ١٠٢٢ م بحوالى ستة عشر ألفا دون حساب النساء والأطفال . (٢)

وكنتيجه لحركة تهجير الأرمن فإن مركز الإمبراطورية قـــد ضعف فى أرمينيا ذاتها بعد أن زال منها العنصر الذى كان قادرا على الدفاع عن وطنه والأمر الأكثر أهمـية أنه أضعف مركز الإمبراطورية أيضا فى الأقاليم التى استقر فيها الأرمن داخل الأراضى البيزنطية مثل كبادوكيا ، لأن استقرارهم تسبب عنه اضطراب التركيب الاجتماعى والعرقى ، هذا فضلا عن أنهم فى الأقاليم الأخرى مثل قيليقيا وشمال سوريا كانوا على استعداد دائما للقيام بحركات انفصالية عندما تحين اللحظة المناسبة (٣) . ثم إن المشاكل الدينية التى نشأت من جراء الحاق الأراضى الأرمينية بالإمبراطورية البيزنطية وتشتيت السكان كانت كبيرة بسبب إصرار البيزنطيين على فرض وجهة النظر الأرثوذوكسية فى العقيـدة المسيحية على الأرمن ، فقـد رفض الأرمن وقاوموا بعناد ونشأ عن ذلك تجاوزات كثيرة من الطرفين(٤) .

---

(١) Charanis, Cultural diversity . . . p. 19.

(٢) Charnis, "Armenians & Greeks in The Byzantine empire", in The Armenian Review XXV 1972 p. 25—26.

(٣) Ibid, . . . p. 30.

(٤) Charanis, Cultural diversity . . . p. 19.

وقد وصلت محاولات فرض الوحدة الدينية على الأرمن والسريان إلى ذروتها فى عهد قنسطنطين العاشر عندما صدر قرار فى سنة ١٠٦٣ م يقضى بطرد الذين لا يوافقون على المذهب الخلقدونى من مدينة ملطية واحراق الكتب المقدسة والمؤلفات الدينـية للارمن والكنائس السريانية ، كما سجن البطريرك السريانى أثناسيوس ، وقد رد الأمراء الأرمن على ذلك بإجراءات عنيفة ، فالامير البغراتى جاجك الذى منح من قبل كبادوكيا =

وهكذا أصبحت الأوضاع فى آسيا الصغرى يفتابها التفكك السياسى وعدم التوازن الاجتماعى والعرقى، وفى تلك الظروف السيئة والمضطربة فى الإمبراطورية البيزنطية ظهر الأتراك السلاجقة كقوة خطيرة تسعى إلى بعث الإمبراطورية الاسلامية من جديد على أسس تركية ، وبطبيعة الحال فان تلك الظروف كانت خير معين للسلاجقة على تحقيق أهدافهم بسهولة ، وفى فترة وجيزة لا تجاوز النصف قرن من الزمان .

نشأة السلاجقة :

السلاجقة قبيلة من الأتراك الغز ، تنسب إلى سلجوق بن تقاق[١] ، فهو الذى جمع شملها ووحدها تحت رئاسته فنسبت إليه[٢] . وقد نزح هؤلاء السلاجقة فى أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى من تركستان إلى ما وراء النهر بسبب ازدحام ديارهم وضيق مراعيهم ، فكانت منازلهم فى الشتاء فى نور بالقرب من بخارى وفى الصيف فى سغد بجوار سمرقند[٣] . ولما كانت تلك المناطق خاضعة فى ذلك الوقت لحكم السامانيين فقد دخل سلجوق فى خدمتهم ، وحصل على إقطاع له فى جند على الشاطىء الأيمن لنهر سيحون[٤] ثم حصل تطور مهم فى حياة السلاجقة فى تلك الفترة وهو اعتناقهم الاسلام

كاقطاع له قتل مطران قيصرية البيزنطى بطريقة وحشية .. والخلاصة كما يراها المؤرخ فريونس **Vryonis** أن الأرمن والسريان المنوفيزيت رأوا فى السلاجقة المخلصين أو المنقذين لهم من أيدى البيزنطيين الارثوذوكس . أنظر :

Vryonis. S., Byzantium, its internal history and relations with the Muslim world pp 170—175.

(١) د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٧٩ .

(٢) د . عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ص ١٧ .

(٣) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربى وآخرون ص ١٤٥ ، عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ص ١٨ .

(٤) Grousset, R. Histoire de L' Asie. I. l'orient, p. 176.

على المذهب السنى تحت تأثير العناصر التركية الأخرى من السامانيين والخانيين والغزنويين[1] .

وحاول السلاجقة مد نفوذهم وسيطرتهم إلى خراسان فاصطدموا بقوة الغزنويين التى حلت محل السامانيين فى تلك البلاد . ويتبين من رواية الراوندى أن أحد القراخانات من الأسرة الخانية فيما وراء النهر هو الذى لفت نظر السلطان محمود الغزنوى إلى خطورة تواجد السلاجقة على حدوده وأشار عليه أن يستعين بهم فى غزواته فى الهند[2] ، فسمح السلطان محمود لفريق منهم فى سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م بقيادة أرسلان « إسرائيل » بن سلجوق بالإقامة فى خراسان ، فى حين لجأت جماعة أخرى بقيادة طغرليك وجغرى ابنى ميكائيل ابن سلجوق إلى خوارزم[3] .

وسرعان ما أصبحت القبائل السلجوقية التى استقرت فى خراسان بحكم تكوينها القبلى عناصر شغب واضطراب ، فالسلاجقة لم يألفوا حياة المدن من قبل ، بل غلبت عليهم سمات البداوة والميل إلى التنقل والترحال حيثما توجد المراعى لقطعانهم . ولما قام السلاجقة بنهب المحاصيل ومهاجمة المدن فى خراسان قبض السلطان محمود على زعيمهم إسرائيل وحبسه فى قلعة بالهند ، ثم طردهم من خراسان فاتجهوا إلى أذربيجان سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م[4] ، ونظرا لأن الأمراء المحليين فى تلك المنطقة كان يسود بينهم التنافس فقد استعان هؤلاء الأمراء بالسلاجقة فى القتال ضد بعضهم البعض وفى الغارات على الحدود البيزنطية الأرمنية ، وكان ذلك أول ظهور للسلاجقة فى القتال ضد البيزنطيين كما يتضح من إشارات المؤرخين الأرمن[5] .

(١) د . عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ص ١٧ .

(٢) الراوندى : المصدر السابق ص ١٤٦ — ١٥١ .

(٣) Cahen., C., Pre—Ottoman Turkey, translated from french by Jones—Williams, p. 20—21.

(٤) Ibid., p. 21.

(٥) Cahen., op. cit. p. 21—, 67.

وتمكن السلاجقة بعد وفاة السلطان محمود الغزنوى من احتلال وسط وغرب خراسان تحت قيادة طغرلبك وجغرى ابنى ميكائيل بن سلجوق[١]، فأسرع السلطان مسعود بن محمود الغزنوى لطردهم إلا أن الهزيمة لحقت به فى معركة داندانقان سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م . وهكذا ثبت السلاجقة أنفسهم فى خراسان فى الوقت الذى أصبحت فيه إيران مفتوحة أمامهم دون مقاومة جادة[٢] . وكان أن نجح طغرلبك فى الاستيلاء على جرجان وطبرستان ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م وعلى خوارزم والرى وبلاد الجبل ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢م، وعلى أصبهان ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م وأخيرا على أذربيجان ٤٤٦ / ١٠٥٤م[٣] .

وأدت الظروف الصعبة التى كانت تمر بها الخلافة العباسية فى تلك الفترة إلى استنجاد الخليفة القائم بأمر الله بالسلاجقة لإنقاذه من تسلط البويهيين ، فدخل طغرلبك بغداد فى سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وخطب له على منابرها[٤] ، وبذلك أصبحت إيران والعراق وحده سياسية واحدة دانت بالزعامة الروحية للخليفة العباسى وبالزعامة الدنيوية للسلطان السلجوقى ، وبفضل هذه الوحدة رجح ميزان القوى لمصلحة المسلمين فى قتالهم ضد البيزنطيين خلال تلك الفترة[٥] .

---

(١) Cahen, op; cit., p. 21—22.

(٢) Setton., A History of the Crusades, vol. 1, p. 142.

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ٨ ص ٣٠ ، ٣٣ — ٣٦ ، ٥٤ ، ٦٧ .

(٤) نفسه : جـ ٨ ص ٧٠ ، ٧١ ، د. عاشور : المرجع السابق جـ١ ص٨٠—٨١.

« وكان الخليفه العباسى فى تلك الفترة وهو القائم بأمر الله يتعرض لمؤامرة البساسيرى الذى كان يهدف إلى القضاء على الخلافه العباسيه وإدخال بغداد تحت لواء الخلافه الفاطميه » .

(٥) د . عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ٨١ — ٨٢ .

الاحتكاك بين السلاجقة والبيزنطيين :

تمثل الهجمات التركية على الأراضى الأرمينية بداية العلاقات أو الصدام بين الطرفين السلجوقى والبيزنطى ، ويربط المؤرخون بين تلك الهجمات وبين استيلاء البيزنطيين على الممالك الأرمينية مثل فاسبوركان وآنى وقرص وغيرها بحجة حمايتها من السلاجقة . غير أن المتتبع للسياسة البيزنطية تجاه أرمينيا يرى أن الأباطرة البيزنطيين سعوا إلى إلحاق أرمينيا بالأراضى البيزنطية من قبل ظهور هؤلاء الأتراك كقوة سياسية وعسكرية لها خطورتها ، فعملية ضم أرمينيا يمكن تفسيرها فى ضوء السياسة التوسعية البيزنطية التى بلغت أوجها فى عهد الامبراطور باسيل الثانى ، ثم كانت الهجمات التركية عجلت بتنفيذ المخطط البيزنطى ، فالإمبراطور باسيل الثانى لم يقنع بفكرة وضع حاميات بيزنطية قوية فى أرمينيا بل عمل على ضمها بالكامل وتصفية الأسر المحلية بها[1] بهدف تحويل أرمينيا إلى منطقة دفاعية عن الامبراطورية شبيهة بتلك التى كانت قائمة فى الجنوب الشرقى لها — من أنطاكية إلى ملطية[2] — فى سنة ١٠٠٠ م ضم باسيل الثانى مملكة داود - وهى تاو Tao - فى جورجيا بشرق أرمينيا[3] وفى سنة ١٠٢١ م أوقع السلاجقة هزيمة منكرة بداوت Davith بن سنكريم ملك فاسبوركان[4] ، فدارت على أثرها مفاوضات بين سندوبى سنكريم وبين الامبراطور باسيل الثانى استولى الامبراطور بمقتضاها على فاسبوركان، ومنح سنكريم منطقة سيواس فى كبادوكيا تعويضا له عن مملكته[5] ، أما مملكة

(١) Janssens, E., "Le Lac de Van et la Strategie Byzantine", in Byzantion XIII 1972 f. 2 p. 394—395.

(٢) Rice, T. T., The Seljuks in Asia Minor, p. 34.

(٣) Ibid, p. 35; Jenkins, op, cit., p. 323 ; Camb. IV, I; p. 186.

(٤) Walter, E. K. JR., "The Contribution of archery to the turkish conquest of Anatolia", in Speculum XXXIX 1964 p. 102.

(٥) Dedeyan, G., L'immigration Armenienne en Cappadoce au XI siecle", in Byzantion XLV 1975, pp. 60 , 64—66.

آنى Ani فان باسيل الثانى حصل على وعد من ملكها جون سمباد الثالث بتسليمها إلى الامبراطورية البيزنطية، ولم يتحقق ذلك الوعد إلا فى عهد جاجك الثانى سنة ١٠٤٥ م والامبراطور قنسطنطين التاسع[١].

على أن ضم أو إلحاق الممالك الأرمينية بالامبراطورية البيزنطية لم يترتب عليه إيقاف خطر السلاجقة، بل على العكس فإنه أضعف من القدرات الدفاعية للامبراطورية البيزنطية، فبعد أن كانت أرمينيا دولة حاجزة بين السلاجقة والأراضى البيزنطية أصبح الطرفان وجها لوجه، وأصبح الهجوم على أرمينيا يعنى فى نفس الوقت الهجوم على الأراضى البيزنطية ذاتها[٢] فأضاف ذلك أعباء دفاعية جديدة على الامبراطورية البيزنطية، كما سهل اختراق السلاجقة لأرمينيا نفسها ثم إلى جوف آسيا الصغرى[٣].

وحدث أن تعرضت أرمينيا لهجمات عديدة من قبل السلاجقة منذ سنة ١٠٤٢ م[٤]، وكانت أخطر الهجمات تلك التى قادها إبراهيم اينال — أخ طغرلبك من الرضاعة — سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨م وزحف فيها بقواته على طول نهر الرس Araxes وهاجم المنطقة من جنوب الفرات حتى قرب طرابيزون على شاطىء البحر الأسود، كما نهب أرزروم، ولم تستطع القوات البيزنطية التصدى لإبراهيم إينال بسبب إستدعاء جزء كبير منها لإخماد ثورة ضد الامبراطور قنسطنطين التاسع، فحاولت بقية القوات بالاشتراك مع القادة المحليين من الأرمن والجورجيين مفاجأة السلاجقة عند عودتهم إلا أن إبراهيم

(١) Jenkins, op. cit., p. 328 ; Grousset. Histoire des Croisades et du royaume france de jerusalem, vol. I p. XXIV , Grousset, Histoire de l' Asie,. I. p. 204.

(٢) Vasiliev ; History of the Byzantine empire, vol. I. p. 355.

(٣) د. عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٧١.

(٤) Lynch :Armenia: Travels and studies, vol. I p; 357—358.

أنزل الهزيمة بهم وأسر قائدا منهم هو ليباريت Llparait [1] .

أدرك البيزنطيون مدى الخطر المحدق بهم من ناحية السلاجقة بعد هجوم إبراهيم اينال سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، لكن الموقف على الجبهة الشمالية لم يسمح لهم باتخاذ الاجراءات العسكرية الفعالة ضدهم ، ففى تلك الفترة كانت قبائل البشناج تهاجم الأقاليم الأوربية البيزنطية فى بلغاريا وتراقيا حتى اضطر الامبراطور قنسطنطين التاسع إلى نقل أفضل الوحدات البيزنطية العاملة فى الأناضول لإيقاف هجمات البشناج [2] . وعلى ذلك لم تستطع القوات البيزنطية فى أرمينيا سوى القيام بهجوم على قوات الأمير أبى الأسوار أمير دوفين — فى أرمينيا — المتحالف مع السلاجقة [3] فى حين أرسل الامبراطور قنسطنطين التاسع سفيره إلى طغرلبك لعقد معاهدة سلام بين الطرفين ، فأجاب طغرلبك بالقبول وأعطى دليلا على حسن نواياه اطلاق سراح ليباريت [4] .

والواقع أن الطرفين كانت لهما مصلحة مشتركة فى عقد تلك المعاهدة ، فبالنسبة لطغرلبك أصبح الدعاء باسمه فى مسجد القسطنطينية [5] ، وفى ذلك سمو شأن طغرلبك ومذهبه السنى على الخلافة الفاطمية ومذهبها الشيعى فى العالم الاسلامى وفى الامبراطوريه البيزنطية ذاتها باعتباره حاميا للمسلمين ،

(١) Cahen, Pre—Ottoman , p. 68; La Premiere. penetration Turque en Asie—Mineure". in Byzantion XVII 1948. p. 15.

وعن هذا الهجوم أيضا أنظر : د . عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ٨٢ . وعن الثورة التى نشبت ضد الامبراطور قنسطنطين التاسع بزعامة ليو تورنيق Leon Tornicius أنظر :

Psellus, M, The Chronographia, Translated from the Greek by Sewter. pp. 152—164; Note 115 p. 301.

(٢) Walter, op. cit., p. 103.

(٣) Cahen, Pre ottoman. p. 68.

(٤) Cahen, La Premiere, p. 16.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٢ .

هذا بالإضافه إلى أن طغرلبك كان فى حاجة إلى عقد تلك المعاهدة ليتفرغ لقتال أخيه إبراهيم اينال الذى ثار عليه عقب الهجوم على أرمينيا سنة ٤٤٠هـ ١٠٤٨م [١] . أما بالنسبه للامبراطور البيزنطى فكان هدفه منع غارات الأتراك على أراضيه . وفى الواقع فان تلك المعاهدة لم تحقق السلام المنشود ، بل ازدادت الهجمات السلجوقيه على الأراضى البيزنطيه سواء بموافقة طغرلبك أو بغير موافقته من قبل عناصر سلجوقيه أخرى كانت تعمل لحسابها الخاص .

ومن تلك الهجمات ما قام به السلاجقة من أتباع قطلمش بن إسرائيل ابن سلجوق فى سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ضد قرس ، وهى الإمارة الأرمينية التى لم تكن قد ضمت بعد للأراضى البيزنطية [٢] أما طغرلبك فقاد بنفسه حملة على أرمينيا سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م ، وبينما أخذت قواته تنهب البلاد التى بالقرب من بحيرة وان وسهل ارزروم والمناطق الجبلية المحيطة بطرابيزون — وهى الأماكن التى غزاها من قبل ابراهيم اينال — ، فان طغرلبك نفسه استولى على أرجيش وبركرى ، ثم توجه لحصار مانزكرت لكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها فعاد إلى أذربيجان [٣] .

وبرغم أن طغرلك أظهر أنه سيعود إلى غزو أرمينيا مرة أخرى بعد إنقضاء فصل الشتاء إلا أنه توجه إلى الرى فأقام بها إلى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م مترقبا الأحداث فى بغداد حتى نجح فى دخولها فى ذلك العام [٤] ، وفى تلك الفترة تجددت المفاوضات مرة أخرى بين الجانبين السلجوقى والبيزنطى أسفرت عن تجديد المعاهده السابقة [٥] .

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق : جـ ٨ ص ٥١ — ٥٢ .

(٢) Grousset, L' Empire du Levant. p. 160.

(٣) Cahen, La premiere. pp. 16—17.

وعن حملة طغرلبك على أرمينيا أنظر أيضا . د. عاشور المرجع السابق جـ١ ص ٨٤ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق جـ ٨ ص ٦٧ ، ٧٠ — ٧١ .

(٥) Cahen, Pre—ottoman. p. 69.

ولم يترتب على هجمات السلاجقة حتى ذلك الوقت مع خطورتها إقامة دائمة من السلاجقة فى الأراضى البيزنطية، كما أن البيزنطيين رغم ضعف جيشهم قد نجحوا فى الاحتفاظ بولاياتهم الشرقية كاملة (١) . ثم أخذ الموقف يتغير منذ سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م عندما بدأت هجمات السلاجقة تأخذ شكل الهجوم المباشر على الأراضى البيزنطية فى آسيا الصغرى، وبوجه خاص من الجماعات التى كانت تعمل بصفة مستقلة عن طغرلبك وتهدف إلى تحقيق مكاسب خاصة لها وإيجاد مأوى لها داخل الأراضى البيزنطية ، ومن هؤلاء ياقوتى المعروف باسم سالار خراسان ، وكذلك ساموخت الذى قام بغارة على المناطق المجاورة لنهر الرس Araxes والفرات الشرقى بالاشتراك مع القائد النورمانى هرفى Hervi فى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥ - ١٠٥٦م (٢) . بل إن الترك استغلوا ثورة إسحاق كومنين وهاجموا المناطق الجبلية المحيطة بطرابيزون فى سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٧م كما هاجموا فى نفس العام كولونيا والكمخ شمالا ، فى حين أغار قائد سلجوقى آخر — دينار — على ملطية فى الجنوب ونهبها (٣) . أما فى سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م فقد هاجم الترك سيواس ونهبوها وذبحوا بعض سكانها (٤) . ويبدو أن الهجوم على سيواس كان الهدف منه الانتقام من الأمراء الأرمن أبناء سنكريم الذين وقفوا موقفاً عدائيا من السلاجقة أثناء هجومهم سنة ١٠٧٧م على كولونيا والكمخ وملطية (٥) . كما أغار ياقوتى فى سنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢ م

(١) استبدل الامبراطور قسطنطين التاسع الخدمة العسكرية عند حدود آسيا الصغرى الشرقية بضريبة سنوية فقل بذلك عدد أفراد جيش الحدود، واضطر الامبراطور لمواجهة الهجمات التركية إلى العودة إلى الأسلوب الذى أتبع فى مواجهة الحمدانيين اى الكمائن من الخلف . أنظر : أسد رستم : الروم ج ٢ ص ٦٩ — ٧٠ .

(٢) Cahen : pre—ottman., p. 70 ; La premiere. p. 22.

(٣) Dedeyan. op cit., p. 109—110 ; Cahen, Pre ottoman p. 70 La Premiere. d. 22.

(٤) د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٨٤ ،

Grousset; Histoire des Croisades., p. XXX , Lynch, op. cit., vol, I, p. 359.

(٥) Dedeyan, op. cit., p. 109.

على أطراف الحدود البيزنطيه بين منابع دجلة والفرات بالقرب من ملطية ، ويبدو أنه أسر عددا كبيرا من السكان فذهب ليبعهم فى مدينة آمد بديار بكر . [١]

وتوفى طغرليك سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣م دون أن يعقب وريثا ، فخلفه ابن أخيه الب أرسلان . وبعد أن قضى ذلك السلطان الجديد على المعارضين الحكمة واصل العمليات العسكرية ضد البيزنطيين فى أرمينيا [٢] . وكان وادى نهر الرس والاقاليم الوسطى بين أرمينيا وجورجيا هى التى أثارت اهتمامه، فغزا ألب أرسلان بعض الحصون فى تلك المناطق ثم اتجه إلى حصار آنى Ani . وبرغم مقاومتها الشديدة للحصار إلا أنها سقطت فى النهاية وضمت إلى إمبراطورية السلاجقه فى عام ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ - ١٠٦٥ م [٣] . ثم أخذ ألب أرسلان يمد نفوذه إلى كافة أنحاء أرمينيا ، فاستولى على قرس فى نفس العام [٤]، كما تحالف مع ملك جورجيا [٥] ، وبذلك أصبحت أرمينيا قاعدة صلبة لهجمات السلاجقة فى الوقت الذى تمنع فيه أى هجوم بيزنطى معاكس على عمق الأراضى السلجوقيه [٦] .

وأدرك الإمبراطور قنسطنطين العاشر بعد فقد أرمينيا أنه عاجز عن

---

(١) Cahen, Pre—ottoman. p. 70 , la premiere. p. 23.

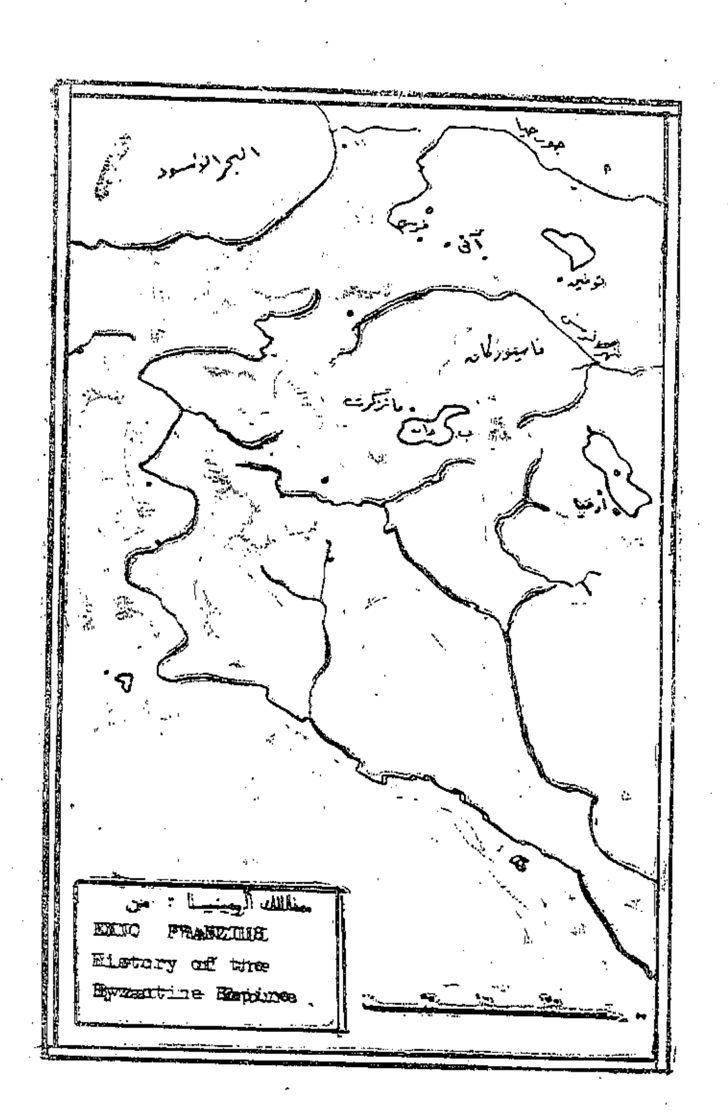
(٢) لقى ألب أرسلان معارضة من أحد أبناء زوجات طغرلبك ، ومن قاورت ابن داود فى كرمان ، ومن قطلمش بن إسرائيل . انظر :
ابن الأثير : المصدر السابق ج ٨ ص ٩٥ – ١٠٠ ،
Cahen, Pre—ottoman p. 26.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٨ ص ٩٩ – ١٠٠ ،
Cahen: pre—ottoman. p. 70.

(٤) د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٨٥ ،
Cahen. pre—ottoman. p. 70.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ج ١ ص ١٠٠ .

(٦) Cahen, pre—ottoman. p. 70.


البحر الأسود
جورجيا
آني
فاسبوركانه
مانزكرت
وان
History of the
Byzantine Empires

مقاومة السلاجقة ، فسعى إلى عقد معاهدة مع السلطان ألب أرسلان، وأرسل من اجل ذلك رساله إلى ابن جهير وزير الخليفة العباسي القائم بأمر الله، ويبدو أن اتفاقا قد حدث في هذا الشأن، لان السلطان آلب أرسلان لم يقم بحملات جديدة ضد الأراضي البيزنطية(١) .

ولا يعني توقف السلطان ألب أرسلان عن القيام بعمليات عسكرية جديدة إنتهاء الضغط السلجوقي على الامبراطورية البيزنطية ، فقد وجدت جماعات من السلاجقة تعمل باتفاق مع السلطان نفسه مثل ياقوتي الذي هاجم ضواحي الرها سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م (٢) والحاجب جمشتكين الذي هاجم في سنه ٤٦٠هـ/١٠٦٧م المنطقه بين حران والفرات إلى الجنوب من حصن منصور(٣) وجماعات أخرى تعمل من أجل مصلحتها الخاصة ودون موافقه السلطان بهدف الحصول على مأوى لها داخل الأراضي البيزنطيه ، وهذه كانت حقيقه الافشين الذي توغل داخل الأراضي البيزنطيه حتى وصل إلى عموريه(٤) .

وفي تلك الفترة الحاسمة من الضغط السلجوقي على الأراضي البيزنطية حدثت تطورات هامة في الجانب البيزنطي ، فتوفى الإمبراطور قنسطنطين العاشر سنة ١٠٦٧ م بعد أن ازداد الجيش البيزنطي في عهده تدهوراً بسبب سياسته المناهضه للعسكريين ، كما أصبحت الحدود البيزنطية مهددة من كثير من القوى المعادية للامبراطورية ، فالنورمان استقروا في جنوب إيطاليا ، وهاجمت القبائل التركية من البشناج والغز الدانوب ، هذا بالإضافة إلى الهجمات الخطيرة التي قام بها السلاجقة في الأناضول ، وأصبح الامر يقتضي

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان . مخطوط بدار الكتب رقم ٩٢٧٦ح جـ٩ حوادث سنة ٤٥٧ هـ ،

Cahen: La diplomatic orientale de Byzance face a la pousse seldjukide de Byzantion XXXV 1965 p. 14.

(٢) Cahen; pre ottoman. p. 71.

(٣) Cahen; la premiere. p. 25.

(٤) Cahen; pre ottoman. p. 71.

أن يتولى زمام الأمور فى القسطنطينية من يستطيع إنقاذ الموقف المنهار فى الامبراطورية ؛ فاختير رومانوس ديو جينيس Romanus Diogenes — وهو قائد عسكرى سابق - امبراطورا وتزوج من ايدوكيا أرملة قسطنطين العاشر، وتوج الإمبراطور الجديد باسم رومانوس الرابع فى يناير سنة ١٠٦٨ م [١]

وكانت أولى المهام العاجلة أمام الإمبراطور الجديد هى إيقاف هجمات السلاجقة ، فقاد من أجل ذلك ثلاث حملات عسكرية ، وكانت الأولى عقب تولية العرش بفترة قصيرة ، فعبر رومانوس الرابع الأناضول فى سنة ٤٦٠هـ ١٠٦٨ م على رأس جيش تكون معظمه من المرتزقة الغز والفرنج والبلغار بالإضافة إلى قوات أمكن جمعها على عجل من مقدونيا وفريجيا ، وبرغم ضآلة تسليح ذلك الجيش غير المتجانس فإنه حقق بعض النجاح فى بلاد الشام وقيليقيا ، كما أرسل رومانوس فرقة عسكريه لمساعدة ملطية التى كانت تتعرض لهجمات السلاجقه ، أما الامبراطور نفسه فقد استولى على منبج ووضع فيها حامية عسكرية بيزنطيه . ولم يكن لذلك النجاح الجزئى الذى حققه رومانوس الرابع قيمه عسكرية كبيرة ، فقد واصلت جماعات السلاجقه هجماتها داخل آسيا الصغرى فى أثناء حملة الإمبراطور وخلف خطوطه العسكرية بقيادة الافشين الذى هاجم قيصرية الجديدة بل وصل حتى عموريه فى غرب الأناضول . [٢] وقد حصل الافشين بسبب أعماله البطوليه

---

(١) Jankins, op. cit., p. 367—368.

(٢) Scylitzae, Historia, p. 667—678; Enno franzius History of the Byzantine empire, p. 288—289.

وقد انفرد المؤرخ البيزنطى باسيلوس بالتأكيد على فشل الامبراطور رومانوس فى هذه الحملة ، ومن الواضح أن باسيلوس وهو من قاده الحزب المدنى كان متحاملا على رومانوس الذى يمثل الحزب العسكرى . أما زوناراس فأشار باختصار إلى انتصارات رومانوس فى الشام واستيلائه على منبج ، انظر :

Pselleus. op. cit., p. 269, Ref. N. 260, p. 308; Zonaras, Epitomae Historiarum vol. III. p. 690—692.

على عفو السلطان ألب أرسلان .[١]

عاد رومانوس الرابع من حملته الأولى فى يناير سنة ١٠٦٩ م وفى ربيع ذلك العام خرج فى حملته الثانية إلى قيصرية التى هاجمها السلاجقة فى الوقت الذى ثار فيه على الإمبراطور قائد من المرتزقة النورمان هو كرسبن Crispin وعلى الرغم من أن الإمبراطور نجح فى هزيمة السلاجقة عند قيصرية إلا أن جماعات أخرى منهم استطاعت إلحاق الهزيمة بفيلارتيس Philaretes حاكم ملطيه البيزنطى وواصلت سيرها إلى آسيا الصغرى حيث نهبت أيقونيه وعادت عن طريق طرسوس فى قيليقيه ، ولم يتمكن حاكم أنطاكيه من هزيمتهم[٢] .

ومهما كانت النتائج التى أسفرت عنها حملتا رومانوس ضد السلاجقة فقد توفرت لديه دوافع كثيرة للقيام بحملة ثالثة ، فبالإضافة إلى رغبته فى إيقاف خطر السلاجقة ، فانه كان يطمع فى إحراز نصر عسكرى كبير يدعم بهمركزه فى القسطنطينية ضد خصومه فى البلاط وضد رجال الحزب المدنى ، فقد كان رومانوس فى حاجة ماسة إلى تحقيق نصر عسكرى كبير يجعل رعاياه يطلبون منه أن يحكم بمفرده ، فهو بماضيه العسكرى لم يتقبل بسهولة وصاية المدنيين عليه وتدخلهم فى توجيه سياسة الدولة[٣] .

وعن هذه الحملة أيضا أنظر : سبط ابن الجوزى المصدر السابق ج ٩ حوادث سنة ٤٦١ هـ ، د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٨٦ .

(١) Cahen. Pre—ottoman. p. 71; la Premiere. p. 25.

(٢) Scylitzae: op. cit. p. 680—684 ; Cahen. pre ottmman p. 71.

وعن هذه الحملة أيضا أنظر د عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٨٦ .

(٣) تعرض رومانوس الرابع بعد عودته من الحملة الثانية إلى مؤامرة دبرها العسكريون والمدنيون بقصد منع خروجه للحرب مرة ثالثة ، وكان على رأس هؤلاء المتآمرين بسيليوس والقيصر دوقاس ونقفور باليولوجوس المستشار . ويذكر المؤرخ البيزنطى اسكليتزا أن مستشارى الامبراطور كانوا يتمنون له الموت ويعتبرونه عبئا عليهم إلا أن رومانوس إنتصر على معارضيه وخرج فى حملته الثالثة التى إنتهت بكارثة مانزكرت أنظر :
Selttizae, op. cit. p. 688; Enno Franzius, op. cit., p. 289—290.

وفى الوقت الذى كان رومانوس الرابع يفكر فى حملته الثالثة ضد السلاجقة جاءته الأخبار التى جعلته يسرع فى تنفيذ خطته ، فقد خرج السلطان ألب أرسلان إلى أرمينيا فى أواخر سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م واستولى على أرجيش ومانزكرت ثم اتجه إلى الرها وفرض عليها الحصار[١] . وفى تلك الأثناء شق أحد أقرباء السلطان عصا الطاعة وهرب إلى آسيا الصغرى[٢] ، وعند سيواس تقابل مع جيش بيزنطى بقيادة مانويل كومنين الذى أرسله الامبراطور لإيقاف تقدم السلاجقة ، وقد تمكن الثائر التركى من هزيمة مانويل كومنين وأسره وأخذ يتقدم داخل الأراضى البيزنطية إلا أن مانويل استطاع إقناع الثائر التركى بالذهاب معه إلى العاصمة البيزنطية لمقابلة الامبراطور الذى رحب به وضمه للجيش البيزنطى[٣] . أما السلطان ألب أرسلان فانه أرسل الأفشين خلف الثائر من أجل القبض عليه ، ولما فشل الأفشين فى اللحاق به أخذ يدمر كل ما فى طريقه فى آسيا الصغرى وتقدم حتى قونيه ثم عاد عن طريق طوروس فى ربيع سنة ١٠٧١ م[٤] .

(١) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق جـ٩ حوادث سنة ٤٦٣ هـ .

(٢) نفسه : جـ٩ حوادث سنة ٤٦٣ هـ .

(٣) Zonaras, op. cit., III. p. 694—695; Brehier, Vie et Mort de Byzance, p. 280.

(٤) Cahen, pre—ottoman. p. 71—72: le premiere. p. 27—28.

معركة ملاذكرت :

لم يستطع ألب أرسلان الإستيلاء على الرها ، فرفع الحصار واتجه إلى حلب فأخضع أميرها المرداسي رشيد الدولة محمود لسلطانه[1] . ويبدو أن ألب أرسلان قد فكر أيضا في أثناء تلك الفترة في القيام بهجوم على مصر للقضاء على الخلافة الفاطمية بعد أن طلب منه ناصر الدولة بن حمدان — رئيس الجند الأتراك بمصر - أن يبعث بقواته - أى قوات السلطان ألب أرسلان - لإقامة الدعوة العباسية بالقاهرة[2] . والراجح أن ألب أرسلان اعتقد أن الوقت مناسب لتحقيق ذلك الهدف ، وقوى من عزمه على اتخاذ تلك الخطوة استتباب الموقف العسكرى فى أرمينيا بعد استيلائه على مانزكرت وأرجيش ، ثم رغبة الإمبراطور رومانوس الرابع فى عقد هدنة معه . وكان رومانوس قد عرض دفع الجزية لألب أرسلان مقابل التخلى عن بعض المدن الهامة وإيقاف غارات التركمان[3] . غير أن تطورات الأحداث أثبتت أن رومانوس الرابع كان يهدف من وراء اتصالاته مع ألب أرسلان كسب الوقت ريثما يتم استعداده العسكرى للقيام بحملته الثالثة ، بل وليس ببعيد أن يكون رومانوس قد علم بخطط ألب أرسلان ضد مصر فأراد بمراسلاته تشجيعه على التورط فى ذلك العمل العسكرى الكبير حتى يكون لرومانوس حرية العمل باطمئنان فى أثناء انشغال ألب أرسلان .

---

(١) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ج ٩ حوادث سنة ٤٦٣هـ، د. عاشور : المرجع السابق ج١ ص٨٧، Grousset, Histoire de Crolsades. p. XXXII

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ج٢ص١٩—٢٠، Cahən, La Premiere. p. 29.

(٣) أرسل الامبراطور رومانوس الرابع إلى ألب أرسلان سفارتين أحداهما عندما كان السلطان يحاصر الرها والثانية فى أثناء حصاره حلب، وقد عرض رومانوس فيهما سداد الجزيه ومبادلة منبج بما زكرت وأرجيش أنظر: سبط ابن الجوزى: المصدر السابق ج ٩ حوادث سنة ٤٦٣ هـ ، Caheu "La campagne de Mantzikert d'apres Les sources Musulmans" in Byzantion X 1934; pp. 625—627.

ومهما كان الأمر فان ألب أرسلان لم يتمكن من تحقيق مشروعه ضد مصر وعندما كان لا يزال في حلب علم بخروج الإمبراطور رومانوس الرابع على رأس جيشه لمهاجمة أرمينيا (١) ، فالغى السلطان كل خططه على الفور وعاد مسرعا إلى أذربيجان للاعداد لملاقاة خصمه حيث وقعت المعركة المشهورة فى مانزكرت بأرمينيا .

كانت معركة مانزكرت أول لقاء يقع بين إمبراطور بيزنطى وحاكم دولة إسلامية منذ فترة طويلة ، ورغم أن رومانوس الرابع استعد لتلك المعركة وعمل على مفاجأة خصمه إلا أن الأحوال المتردية التى آلت إليها الامبراطورية البيزنطية لم تمكنه من تحقيق النصر الذى كان ينشده ، فالجيش الذى أمكن جمعه وبلغ عدده حوالى ثلاثمائة ألف رجل كان خليطا متنافرا من المتطوعين من مختلف الجنسيات : من البيزنطيين والروس والخزر والغز والقفجاق والأبخاز والفرنج والأرمن . (٢) ورغم كثرة عدد ذلك الجيش إلا أنه كان ينقصه التدريب الجيد والإدارة الحازمة ، فلم يستطع مواجهة الحركات السريعة للفرسان الأتراك وهجماتهم الشجاعة (٣) ، هذا بالإضافة إلى فقدان التعاون والثقة بين الجماعات التى تألف منها الجيش البيزنطى ، إذ شكت كل جماعة فى الأخرى وبوجه خاص العناصر الثلاثة الأساسية فى الجيش وهم البيزنطيون والأرمن والترك ، (٤) ثم إن رومانوس رغم ماضيه العسكرى لم يلتزم

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب تحقيق سامى الدهان ج ٢ ص ٢٣-٢٤
د . عاشور المرجع السابق ج ١ ص ٨٧ ، ٨٨ ،
Cahen, La Campagne de Mantzikert., p. 628.
(٢) ابن العديم : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤ – ٢٥
(٣) Vasiliev, History of the Byzantine empire, vol. I., p. 356.
(٤) Cahen, Pre—ottoman p. 29.
وذكر متى الرهاوى أن البيزنطيين نقلوا وشايات إلى الامبراطور رومانوس ضد =

بالأساليب العسكرية الصحيحة فى إدارة المعركة، فلم يعمل حسابا لحماية مؤخرة جيشه، كما وزع قواته توزيعا خاطئا فلم يحمل العبء فى المعركة سوى أقل من نصف القوة، فى حين أحاطت باقى الفرق بشخصه أو تبعثرت فى الأماكن القريبة منه (١).

وعندما غادر رومانوس الرابع العاصمة البيزنطية قام بتسريح عدد كبير من قواته التى شك فى ولائها، ثم سار إلى سيواس ومنها إلى أرزروم حيث أمر كل فرد من جنوده بأن يحمل مؤونة شهرين (٢)، ثم حـــدث أن ارتكب رومانوس خطأ جسيما عندما تقدم داخل أرمينيا، فنتيجة لتلقيه تقارير كاذبة تفيد بأن السلطان قد خشى قوة الجيش البيزنطى واتجه إلى بغداد قام رومانوس بتقسيم جيشه إلى قسمين (٣)، فأرسل قسما من الأتراك والنورمان بقيادة رسل بايليل للاستيلاء على أخلاط بينما زحف هو بنفسه على رأس القسم الآخر للاستيلاء على مانزكرت (٤)، وفى حين نجح رومانوس فى مهمته فان القسم الآخر من الجيش البيزنطى فشل فى الاستيلاء على أخلاط رغم أن الإمبراطور أرسل القائد تراخانياتس Trachaniates على رأس فرقه من الجيش للمساندة، بل إن السلاجقة تمكنوا من أسر قائد بيزنطى كبير، ولما عرض الأسير على السلطان ألب أرسلان عامله معاملة طيبة (٥).

= الأرمن سكان سيواس وعن معاونتهم الترك فأقسم الإمبراطور على الانتقام من الأرمن سكان سيواس بعد عودته من أرمينيا كما أمر جنوده بنهب سيواس . أنظر :

Jannsens, op. cit., p. 398.

(١) Psellus, op. cit., p. 271.

(٢) Scylitzae op cit, p. 691-692, Enno Franzius, op. cit. p. 290.

(٣) Bryennios, N. "Les quatre livres des Histoires, Trade. par Gregoire", in Byzantion XXIII 1953, p. 489.

(٤) Zonaras, op. cit. III, p. 697;

وعن خطة رومانوس الحربية، أنظر: د . عاشور. المرجع السابق جا ص٨٧،٨٨

(٥) Scylitzae : op. cit. pp. 692 — 694, Zonaras, op. cit, III pp. 697—699.

وتذكر المصادر العربية أن السلطان ألب أرسلان أمر بجدع أنف مقدم القوات =

وكان السلطان ألب أرسلان قد وصل إلى أرمينيا قادما من حلب فى عدد يسير من جنود [١]، إذ لم يكن لديه الوقت الكافى لجمع باقى قواته لبعدها وقرب العدو. وتجمع المصادر العربية والبيزنطية على أن السلطان ألب أرسلان كان مثال القائد المعتدل فى سلوكه قبل وبعد المعركة، فأرسل إلى رومانوس قبل المعركة وفدا يطلب المفاوضة من أجل الصلح وحقن الدماء، إلا أن الغرور والتهور سيطرا على الإمبراطور فرد فى كبرياء بأنه لا هدنة إلا فى الرى عاصمة السلاجقة [٢]، فلم يجد السلطان مفرا من القتال، وقسم قواته إلى وحدات صغيرة على هيئة كمائن أحاطت بالبيزنطيين من جميع الإتجاهات وأمطرتهم بوابل من السهام [٣].

أما الإمبراطور رومانوس الرابع فأرسل يستدعى القوات الإحتياطية التى كانت تقاتل بالقرب من أخلاط بقيادة رسل بايليل وتارخانياتس إلا أن تلك القوات لم تحضر [٤]. ويبدو أن القائدين اتفقا على التخلى عن الامبراطور

البيزنطية الذى أسر عند أخلاط — وكان من الروس — وأرسله إلى بغداد. أنظر: ابن الأثير: المصدر السابق ج ٨ ص ١٠٩، ١١٠، سبط ابن الجوزى: المصدر السابق ج ٩ حوادث سنة ٤٦٣ هـ.

(١) فى تقدير المؤرخين المسلمين أن قوات ألب أرسلان بلغت حوالى خمسة عشر ألفا. أنظر: سبط ابن الجوزى: المصدر السابق ج ٩ حوادث سنة ٤٦٣ هـ، ابن الأثير: المصدر السابق ج ٨ ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق ج ٨ ص ١٠٩، ١١٠، د. عاشور، المرجع السابق ج ١ ص ٨٧، ٨٨، وذكرت المصادر البيزنطية أن الامبراطور رومانوس لم يحسن معاملة أعضاء سفارة السلطان فأعطاهم صليبا وطلب أن يغادر السلطان معسكره ليحتله مكانه وذلك قبل الدخول فى المفاوضات، وأن مستشارى الإمبراطور أوعزوا إليه بألا يقبل الصلح لأن السلطان ليس لديه جيش ويريد أن يكسب الوقت حتى تصل النجدات إليه. انظر:

Scylitzae: op. cit. p. 696—697 ; Zonaras, op. cit. III p. 699—700.

(٣) Bryennios, op cit., p. 492; Walter. op. cit., p 106.

(٤) Scylitzae, op. cit. p. 695; Zonaras. op. cit., III p. 699.

فى تلك اللحظة الحاسمة ، فغادرا ميدان المعركة واتجها ناحية الأناضول [١] .
وعندئذ قرر الإمبراطور الدخول فى المعركة ، لكن مفاجأة أخرى كانت فى انتظاره ، إذ تخلى المتطوعون من البشناج والغز الذين كانوا يشكلون الجناحين فى جيش رومانوس عن مواقعهما مما حرم الجيش البيزنطى من الرماة المهرة راكبى الخيول الذين كانوا يجيدون قتال أقربائهم الترك بنفس طريقتهم وأسلحتهم ، فانكشف بذلك قلب الجيش — وفيه رومانوس نفسه — فى مواجهة رماة السهام من السلاجقة [٢] .

وأخيرا وقع الصدام المباشر بين الجانبين الإسلامى والبيزنطى فى ١٩ أغسطس سنة ١٠٧١ م بين مانزكرت وأخلاط ، ونفذ السلطان ألب أرسلان خطة ذكية تقضى باستدراج الإمبراطور رومانوس إلى مكان بعيد عن معسكره حتى انتشر الظلام ، وعندئذ قرر رومانوس الإنسحاب وغير اتجاه عليه وأمر جنوده بالعودة ، وعلى أثر ذلك أشاعت المؤخرة التى كان يقودها أندرونيقوس دوقاس أن الإمبراطور قد هزم ، وتفكك الجيش البيزنطى وولى الأدبار ، وكانت اللحظة الحاسمة التى أطبقت فيها قوات ألب أرسلان على فلول الجيش المنهزم ، ووقع رومانوس — بعد أن أصيب فى يده — أسيرا فى يد القوات الإسلامية [٣] فكان ذلك أول حدث من نوعه فى تاريخ الحروب الإسلامية البيزنطية ، كما كانت هزيمة البيزنطيين فى مانزكرت دليلا على نهاية دور الدولة البيزنطية فى حماية المسيحية من ضغط الاسلام ، وفى حراسة

---

(١) Zonaras, op. cit., III. p. 699 ; Jenkins, op. cit , p. 373.

(٢) Walter, op. cti., p. 105.

(٣) Attaliata. M. Historia. pp. 161—163 ; Zonaras, op, cit. III. pp 700—702 ; Scylitzae. op. cit. pp. 697—699 ; Jenkins; op. cit. p. 373 ;

وعن هذه المعركة أيضا انظر : ابن العديم : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣-٢٨ ، ابن الأثير : المصدر السابق ج ٨ ص ١٠٩ — ١١٠ ، سبط ابن الجوزى المصدر السابق ج ٩ حوادث سنة ٤٦٣ هـ ، د . عاشور المرجع السابق ج ١ ص ٨٨ .

الباب الشرقي لأوربا من غزو الآسيويين[١] .

رغم الإنتصار الكبير الذى أحرزه ألب أرسلان على خصمه البيزنطى فإنه لم يتقدم داخل الأناضول - مع سهولته - لاحتلال مواقع جديدة لأن ذلك لم يكن هدفه ، فانتصار السلاجقة فى مانزكرت لم يكن يعنى بالنسبة لهم فى ذلك الوقت سوى احتلال أرمينيا والرها وأنطاكية ، وعلى ذلك اكتفى ألب أرسلان بأن عقد مع أسيره معاهدة صداقة وتحالف لأن السلطان كان يأمل فى مساعدة الإمبراطور لهضد الثوار الذين هربوا إلى الأراضى البيزنطية وفى مساعدته فى تحقيق مشروعاته الخاصة بتوحيد العالم الإسلامى[٢] ، وفى هذا المجال وجد ألب أرسلان أن حياد أو محالفة القسطنطينية أكثر فائدة له من عدائها . وعلى ذلك أسرع السلطان بإطلاق سراح رومانوس الرابع قبل حدوث انقلاب فى العرش البيزنطى يبطل تنفيذ الإتفاق الذى أملى السلطان شروطه[٣] .

وتلخصت شروط المعاهدة بين السلطان ألب أرسلان والإمبراطور رومانوس الرابع فى إعادة أنطاكية والرها ومنبج ومانزكرت إلى السيادة الاسلامية ، والإفراج عن أسارى المسلمين - كما تعهد رومانوس بدفع فدية عن نفسه قدرها ألف ألف وخمسمائة ألف دينار وعن الهدنة ثلاثمائة وستين ألف دينار ، وأن يساعد رومانوس السلطان عسكريا وقت الحاجة .[٤] .

على أن الأمور لم تمض كما خطط لها ألب أرسلان ، فما أن وصلت أخبار

---

(١) د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٨٨

(٢) نفسه ص ٨٩ .

(٣) Cahen, **La premiere.** p. **31.**

(٤) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ج ٩ سنة ٤٦٣هـ . وفى المصادر البيزنطية أن السلطان عرض على الامبراطور سلاما أبديا مقدسا ووعدا بالمصاهرة بين أولادهما ، ثم أخلى سبيله فى موكب عظيم انظر :

Zonaras, op. cit., III. p. **703 ; Attaliata, op. cit.,** p. **166.**

كارثة مانزكرت إلى القسطنطينية وماجرى للامبراطور من أسر ومهانة حتى انتهز أعداؤه وعلى رأسهم باسيللوس والقيصر جون دوقاس الفرصة وقبضوا على زوجة رومانوس - أيدوكيا - وأدخلوها أحد الأديرة وأعلنوا ابنهما ميخائيل إمبراطورا [١] . والواقع أن رجال البلاط فى القسطنطينية وجدوا فى عزل رومانوس فرصة للتخلص من الإتفاقية التى عقدها مع ألب أرسلان وبما تحمل من أعباء مالية على الإمبراطورية ، هذا فضلا عن العداء الذى كان بين رومانوس الرابع وبين المدنيين فى القصر الإمبراطورى .

وكان ألب أرسلان قد جهز رومانوس الرابع لرحلة العودة بأن منحه عشرة آلاف دينار وزوده بفرقة من جنوده لحراسته حتى الحدود البيزنطية [٢] ، فلما علم الإمبراطور بالقرار الذى اتخذ ضده فى القسطنطينية ذهب إلى قيليقيا بمساعدة حاكم انطاكية ختاتاريوس ، وصمم على المقاومة وطلب مساعدة السلطان ألب أرسلان . [٣] على أن محاولات رومانوس للعودة إلى العرش البيزنطى ذهبت سدى ، فهزمت قواته على يد القائد اندرونيقوس دوقاس وقبض عليه فى أذنه ثم دس السم له وسملت عيناه ومات فى أوائل سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م [٤] .

وبموت رومانوس سقطت المعاهدة المعقودة بينه وبين ألب أرسلان ، ولم يهاجم السلطان السلجوقى الأراضى البيزنطية لاستخلاص حقوقه ، فمن ناحية لم يكن من سياسة سلاطين السلاجقة - كما سبق القول - حتى ذلك الوقت احتلال أراض بيزنطية أو ضمها ، ومن ناحية أخرى ظهرت مشاكل جديدة أمام ألب أرسلان فيما وراء النهر استلزمت منه القيام بحملة فى أوائل سنة

---

(١) Zonaras, op. cit. III pp. 703—704 :

د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٩٠ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٨ ص ١٠٩ — ١١٠ .

(٣) Zonaras, op. cit. III pp. 703—705.

(٤) Ibid, pp. 705—706.

٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م فى وسط آسيا ضد الخانيين فيما وراء النهر حيث لقى مصرعه [١] .

على أن انصراف ألب أرسلان عن غزو الأراضى البيزنطية بعد مانزكرت ثم مقتله لا يعنى توقف غارات العناصر التركانية والسلجوقية الأخرى ، فقد ظل فريق من هؤلاء يعمل لحسابه الخاص، وشجعه على ذلك عدم وجود جيش بيزنطى قوى فى منطقة الحدود ، ومنذ ذلك الوقت لم يعد التركمان فى حاجة إلى الإنسحاب بعد عملياتهم العسكرية ، فالخلافات الداخلية فى القسطنطينية بعد مانزكرت لم تسمح لهم بتكثيف هجماتهم داخل الأراضى البيزنطية فقط بل مكنتهم أيضا من الإقامة والاستقرار بعد أن استعانت بهم الأحـــزاب البيزنطية المتنافسة ضد بعضها البعض [٢] .

وكان على الإمبراطور ميخائيل السابع أن يواجه خطر هجمات السلاجقة داخل الأراضى البيزنطية وإعادة النفوذ البيزنطى إلى آسيا الصغرى ، ومن أجل ذلك لم يتورع الإمبراطور عن طلب المساعدة من عناصر لا تقل عداء للامبراطورية البيزنطية عن السلاجقة، ومن هؤلاء النورمان، فحاول ميخائيل السابع التحالف مع روبرت جويسكارد النورمانى الذى اقتطع من الإمبراطورية البيزنطية جنوب إيطاليا [٣] ، وأرسل ميخائيل إلى روبرت عدة رسائل اقترح فيها عقد مصاهرة بين الجانبين [٤] . كما طلب ميخائيل أيضا المساعدة من البابا جريجورى السابع ١٠٧٣ — ١٠٨٥ م وألح عليه فى إرسال نجدة

---

(١) الراوندى : المصدر السابق ص ١٩٠ - ١٩١ ، د . عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ٩٠ .

(٢) Cahen: La premiere... p. 32—33 Vasiliev: History of the Byzantine Empire, vol. I. p. 357. Brehier. op. cit, p. 283.

(٣) استولى روبرت جويسكارد على أوترونتو Otronto وبرنديزى Barandizi سنة ١٠٦٢ م ثم بارى Bari سنة ١٠٧١ م انظر : د . عاشور : المرجع السابق جـ١ ص ١٢٣

(٤) Charanis, "Byzantium, the west and the origin of the first crusade". in Byzantion XIX 1949. pp. 17—20.

سريعة لإنقاذ الإمبراطورية من هجمات السلاجقة على أن يقوم ميخائيل من جانبه بالعمل على إزالة الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية (١) .

غير أن الجهود التي بذلها ميخائيل السابع من أجل حصوله على مساعدة الغرب ضد السلاجقة لم تؤد إلى أي نتيجة مفيدة للامبراطورية . فبرغم أنه نجح سنة ١٠٧٤ م في عقد محالفة مع روبرت جويسكارد تنص على أن تتزوج إبنه الزعيم النورماني من ابن الإمبراطور مقابل تعهد جويسكارد بالدفاع عن الإمبراطوريه ضد أعدائها ، إلا أن جويسكارد كان فيما يبدو يطمع في التاج البيزنطي نفسه ، ومن ثم لم يستفد ميخائيل السابع من ذلك التحالف بل اتخذه جويسكارد ذريعة لغزو الأراضي البيزنطية في البلقان بعد عزل ميخائيل السابع (٢) . أما البابا جريجوري السابع فإن دعوته إلى ملوك أوربا وأمرائها التي وضح فيها ماتعانيه الإمبراطورية البيزنطية من أخطار لم تأت هي الأخرى بنتيجة إيجابية ، إذ كان البابا في تلك الفترة متورطا في النزاع الطويل مع الملك الالماني هنري الرابع (٣) ، بل إن فشل مفاوضات توحيد الكنيستين الشرقية والغربية جعل البابا جريجوري السابع يؤيد فيما بعد - رغم عدائه للنورمان غزو جويسكارد للأراضي البيزنطيه (٤) . وهكذا كان على الإمبراطورية أن تعتمد على نفسها وعلى المتطوعين الأجانب الذين يعملون في خدمتها لمواجهة السلاجقة .

ولم تكن أخطار وأطماع هؤلاء المتطوعين الأجانب أقل - إن لم تكن

(١) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, vol., I, p. 358;
د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ١٢٩ .

(٢) Charanis, Byzantium, the West. p. 23—24.

(٣) Vasiliev, History of the Byzantine Empire. vol I, p. 357;
د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ١٣٠ .

(٤) أرسل البابا جريجوري السابع في ٢٥ يولية ١٠٨٥ إلى أساقفة أبوليا Apulia وكلابريا Calabria يحثهم على تقديم المساعدة التي كان روبرت جويسكارد يمدها ضد البيزنطيين أنظر : Charanis, : Byzantium, the west .: p . 24

أكثر - من أخطار وأطماع السلاجقة ، والمثل الواضح على ذلك هو الزعيم النورمانى رسل بايليل ، لقد خان ذلك القائد الإمبراطور رومانوس الرابع من قبل فى معركة مانزكرت [١] ، وفى عهد الإمبراطور ميخائيل السابع عزم على استغلال الأوضاع المتدهورة فى الإمبراطورية البيزنطية بمحاولة إنشاء إمارة مستقلة له على غرار ماقام به مواطنوه فى إيطاليا [٢] . ولاحت الفرصة لرسل بايليل عندما أرسله الإمبراطور ميخائيل السابع للقتال ضد الأتراك فى نواحى قيصرية بالإشتراك مع إسحاق كومنين ، وللمرة الثانية تخلى رسل عن الجيش البيزنطى وهرب من المعركة فوقع إسحاق أسيرا فى يد الترك [٣] .

وزادت حركة رسل بايليل ضد الإمبراطورية البيزنطية خطورة عندما أرسل الإمبراطور ميخائيل السابع عمه القيصر جون دوقاس للقبض على رسل بايليل فتمكن الأخير من هزيمته وأسره بالقرب من عمورية وواصل زحفه حتى بلغ نيقوميديا . ثم اتخذ رسل خطوة على جانب كبير من الخطورة عندما نادى بأسيره القيصر جون دوقاس إمبراطورا منافسا ، فأسقط فى يد الإمبراطور ميخائيل السابع ولم يجد مفرا من طلب المساعدة من أعدائه السلاجقة [٤] ، فأرسل إلى القائد التركى أرتق للقبض على رسل بايليل وإخماد حركته ، وبطبيعة الأمر عمل أرتق لحسابه الخاص أكثر مما عمل لحساب الإمبراطور ، فقبض على رسل والقيصر دوقاس فى البداية ثم أطلق سراح رسل مقابل مبلغ من المال ، فاتجه الزعيم النورمانى شرقا إلى ثغر الأرمنياق [٥] .

---

(١) أنظر ماسبق ص ٢٣٥ ، ٢٣٦

(٢) Brehier. op. cit. p. 283—284.

(٣) Zonaras. op. cit. III. p. 709—710, Cahen, la Premiere. p. 33; د . عاشور : المرجع السابق ج١ ص ٩٥ .

(٤) Brehier, op. cit., P. 284, د . عاشور : المرجع السابق ج١ ص ٩٦ .

(٥) Brehier. op. cit., p. 284; Cahen, La premiere., P. 33.

وأسرع الإمبراطور ميخائيل السابع بإرسال إلكسيوس كومنين للقبض على على رسل مرة أخرى، وهنا وجدت جماعات أخرى من الترك الفرصة للاستفادة من الصراع البيزنطى النورمانى، ذلك أن رسل طلب مساعدة القائد التركى تتش Tutach الذى كان يهاجم الأراضى البيزنطية فى تلك الفترة، غير أن القائد البيزنطى إلكسيوس كومنين قدم رشوة إلى تتش فقبض على رسل وسلمه إلى إلكسيوس كومنين عند أماسيا[1] وفى تلك الفترة كان الزعماء الأتراك الآخرون يتغلغلون داخل الأراضى البيزنطية، فوجدت جماعات منهم بالقرب من قسطمون، وفى ضواحى طرابيزون فى شمال شرق آسيا الصغرى، وفى ميلتس Meletus على البحر الإيجى منذ سنة ١٠٧٣ — ١٠٧٤ م[2].

ومن أخطر الجماعات السلجوقية التى كانت تعمل فى الأراضى البيزنطية، تلك التى كان يقودها سليمان بن قطلمش، وقد استولى سليمان على مساحات شاسعة من الأراضى البيزنطية فى آسيا الصغرى حتى اضطر الإمبراطور ميخائيل السابع أن يعقد معه معاهدة فى سنة ١٠٧٤م إعترف فيها لسليمان بحكم المناطق التى فى حوزته مقابل تقديم المساعدات الحربية للامبراطورية[3]، ثم جاءت أحداث سنة ١٠٧٨ م فى الإمبراطورية البيزنطية فمنحت سليمان ابن قطلمش الفرصة للمزيد من التوسع والإعتراف بنفوذه، فقد ثار نقفور بوتانياتس N. Botaneiates حاكم ثغر عمورية على الإمبراطور ميخائيل السابع، وحاول الإمبراطور ميخائيل أن يضع الاتفاقية المعقودة بينه وبين سليمان موضع التنفيذ لكن السلاجقة كانوا دائما على استعداد للاصغاء إلى من يدفع ثمنا أعلى، لذلك سرعان ماتحولوا عن ميخائيل ودخلوا فى خدمة الثائر نقفور بوتانياتس، وأثناء زحف الأخير على القسطنطينية حشد تحت

(١) Anna Comnena, : The Alexiad, p. 8—9:
د. عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٩٦.

(٢) Cahen : pre—ottoman., p. 73 ; La premiere. p. 33—34

(٣) Grousset, L'Empire du Levant. p. 169: Histoire de croisades, p. XXXV:
د. عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٩٦.

لو انه أعداداً كبيرة من الترك واستخدمهم لحراسة ما استولى عليه من مدن مثل كزيكوس ونيقيه ونيقوميديا وخلقيدونيا وخريصبولى ، وبذلك دخل السلاجقة المدن البيزنطية الكبيرة فى غرب الأناضول . (١)

وإذا كان السلاجقة قد دخلوا فى تلك المرحلة الأراضى البيزنطية باسم الإمبراطور الثائر نقفور بوتانياتس فإنهم سرعان ما أصبحوا سادة الموقف، وأخذت جماعاتهم المسلحة تطوف بالبلاد وتهاجم القرى الصغيرة فى بيثينيا كما قطعوا المواصلات بين القسطنطينية وداخلية آسيا الصغرى (٢) . واضطر الإمبراطور نقفور الثالث بوتانياتس إلى غض الطرف عما يرتكبه هؤلاء السلاجقة من أعمال بسبب إنشغاله فى القضاء على ثورة نشبت ضده فى غرب البلقان تزعمها نقفور بريفيوس، بل إن القائد الكسيوس كومنين الذى كلفه الامبراطور بإخماد الثورة استعان بجماعات من الترك فى أثناء قتاله مع الثائر حتى تم القبض عليه (٣) .

على أن مساعدة السلاجقة للامبراطور بوتانياتس ضد الثائر بريفيوس لم تمنعهم من استغلال كافة الظروف من أجل تدعيم نفوذهم فى المناطق التى استولوا عليها ، فلم يكد الكسيوس كومنين ينتهى من حملته ضد بريفيوس حتى كان لزاما عليه أن يمضى إلى تساليا للقتال ضد ثائر آخر هو باسيلاكيوس Basilacius ، وفى تلك الأوضاع الحرجة بالنسبة للامبراطور تمردت الحامية التركية المرابطة فى نيقية (٤). كذلك فإن السلاجقة تحالفوا مع ثائر ثالث ضد

---

(١) Grousset. L' Empire du levant. p. 170;
رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ترجمة د. الباز العرينى جـ١ ص١٠٦، د . عاشور المرجع السابق جـ ١ ص ٩١ .

(٢) Grousset. L' Empire du levant, p. 170,
د . عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ٩٢ .

(٣) Anna Comnena; op. cit., pp. 12—19,
رانسيمان المرجع السابق جـ ١ ص ١٠٧ .

(٤) رانسيمان . المرجع السابق جـ ١ ص ١٠٧ .

بوتانياتس ، وعقد ذلك الثائر وهو نقفور مليسينوس N. Melessenus معاهدة مع سليمان بن قطلمش تنص على حصول السلاجقة على نصف المدن والأقاليم التى غزيت تحت حكم بوتانياتس مقابل مساعدة ميليسينوس فى الاستيلاء على القسطنطينية[١]. ونظرا لأن ميليسينوس قد فشل فى ثورته وخضع لثائر جديد هو اليكسيوس كومنين فإن السلاجقة رفضوا الإنسحاب من المدن التى استولوا عليها[٢]، وهكذا تمكن السلاجقة من احتلال نيقية وبيثينيا احتلالا نهائيا وثابتا ، وأصبح السلطان سليمان بن قطلمش مستقرا ومسيطرا حوالى سنة ١٠٨٠ م على كل أراضى آسيا الصغرى من قيليقية إلى الهلسبونت « الدردنيل »[٣] .

واعتلى الكسيوس العرش فى أبريل سنه ١٠٨١ م فى وقت ازدادت فيه الأخطار المحيطه بالامبراطورية ، فالسلاجقة استقروا فى الأناضول ، كما اخترقوا إقليم بيثينيا Bithynia فتسبب ذلك فى حرمان الامبراطورية من ثرواتها الاقتصادية والبشرية. وتحصن النورمان فى إيطاليا تحت زعامة روبرت جويسكارد الذى كاشف الكسيوس كومنين العداء واتخذ من المعاهدة التى عقدها مع الامبراطور ميخائيل السابع المخلوع ذريعة لتحقيق أطماعه الخاصه. كذلك كان على الكسيوس مواجهة تحركات البلغار والصرب فى البلقان ودالماشيا[٤].

وأثبت الكسيوس كومنين أنه دبلوسى ماهر ، إذ استطاع التفريق بين خصومه حتى لا يجتمعوا على قتاله فى وقت واحد ، فتمكن بذلك من تجاوز

---

(١) Grousset, L' Empire du levant. p. 170,

د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٩٢ .

(٢) رانسيمان : المرجع السابق ج ١ ص ٩٢ .

(٣) Ostrogorsky, History of The Byzantine State, p. 308.

(٤) Camb., IV, I, p. 212—213.

الأخطار التى أحاطت بالامبراطورية. وفيما يتعلق بالسلاجقة الذين وصلت هجماتهم حتى البسفور فإن الكسيوس كومنين نجح عن طريق الكمائن التى أعدها لهم من أن يطردهم من شواطىء بيثينيا والبسفور ونيقوميديا والأقاليم الشمالية حتى اضطر سليمان بن قطلمش إلى طلب السلام العاجل. ونظرا لأن الكسيوس كانت تصله الأخبار تباعا عن الهجوم الضخم الذى يعده روبرت جويسكارد وعن الأعداد الهائلة من الجنود التى جمعها فإنه أسرع بقبول عرض السلام مع سليمان بن قطلمش فى سنة ١٠٨١ م على أن يكون نهر دراكون Dracon هو الحد النهائى لأراضى السلاجقة وعدم السماح لهم بعبوره أو القيام بغارات فى بيثينيا[١]، وقد وافق سليمان بن قطلمش على إمداد الكسيوس بسبعة آلاف رجل مع قادة لهم خبرة عالية فى الحرب فى أثناء قتاله ضد بوهمند ابن روبرت جويسكارد[٢].

وإذا كان الخطر النورمانى على الإمبراطورية قد توقف بمقاومة الكسيوس كومنين له ثم وفاة روبرت جويسكارد سنة ١٠٨٥ م فإن الخطر التركى إستمر يهدد الامبراطورية البيزنطية، فبالإضافة إلى سلطنة سلاجقة الروم فى نيقية والتى امتد نفوذ سلطانها سليمان بن قطلمش من البسفور حتى حدود الشام فقد ظهرت إمارات تركية أخرى داخل الأراضى البيزنطية، منها إمارة سميرنا Smyrna أو أزمير التى أسسها زاخاس Tzakhas على البحر الإيجى، وتمكن من إنشاء أسطول قوى غزا به الجزر القريبة من شواطىء آسيا الصغرى. كذلك استطاعت أسرة دانشمند التركمانية تأسيس إمارة قوية لها حول قيصرية وسيواس وأماسيا[٣].

---

(١) Anna Comnena : op. cit, p. 94—95.

(٢) Ibid. p. 216.,
د. عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ١٢٥.

(٣) Grousset, L' Empire du levant, p. 171,
د. عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٩٣.

ويبدو أن الامبراطور الكسيوس كومنين قد وجد فى أثناء انشغاله بالحرب ضد روبرت جويسكارد أن من مصلحته ترك الفرصة لسليمان بن قطلمش ليفرض سيطرته على الجماعات التركية المتفرقة فى آسيا الصغرى والتى كان بعضها يدين له بالطاعة والبعض الآخر للسلطان ملكشاه وذلك بقصد صرف نظر سليمان عن منطقة البسفور ، ولضرب الإمارة الأرمينية التى أقامها فيلاريتس فى إقليم قيليقيا الجبلى فى جنوب شرق آسيا الصغرى بعد معركة مانزكرت، وبخاصة بعد أن استولى ذلك الأمير الأرمنى على الرها سنة ١٠٧٧م ثم على أنطاكية سنة ١٠٧٨م. وكان أن غادر سليمان نيقية سنة ١٠٨٤م بعد أن عين تابعه وقريبه أبا القاسم فى الحكم مكانه واتجه إلى قيليقيا فاحتلها، وفى تلك المرحلة تلقى سليمان دعوة من أنطاكية من إحدى الجماعات المعادية لفيلاريتس بزعامة إبنه للاستيلاء على المدينة ، فنجح سليمان فى أخذها دون مقاومة تذكر سنة ١٠٨٥ م [١] .

ويبـــدو أن السلطان سليمان أراد أن يستفيد من حادث إستيلائه على أنطاكية بالتقارب مع السلطان ملكشاه ، فأرسل يبشره بالفتح وينسبه إليه « لأنه من أهـــله ومن يتولى طاعته ، فأظهر ملكشاه البشارة وهنأة الناس »[٢].

على أن مجرى الأحداث قد وفر على ملكشاه تقرير السياسة العملية التى يجب اتباعها تجاه سليمان بعد أن ازداد نفوذه إلى ذلك الحد ، إذ قتل سليمان عند محاولته الإستيلاء على حلب فى أثناء الحرب مع تتش أخ السلطان

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٨ ص ١٣٦ ،
Anna Comnena, op. cit., p. 152—153, Cahen. Pre-ottoman P. 76-77,
وعن إمارة فيلاريتس الأرمينية أنظـــر : د. عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٩٨ — ٩٩ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٨ ص ١٣٦

ملكشاه فى سنة ١٠٨٦ م[١].

واستمر الخطر التركى فى آسيا الصغرى على الامبراطورية البيزنطية بعد وفاة سليمان بن قطلمش ، ففى سنة ١٠٩٠ — ١٠٩١ م أغرى زاخاس أمير أزمير الذى كان يطمع فى الإستيلاء على القسطنطينية البشناج لمهاجمة الامبراطورية من ناحية البر بينما حاصر هو العاصمة من ناحية البحر ، هذا فى الوقت الذى هاجم أبو القاسم حاكم نيقية مدينة نيقوميديا ، ونجح البشناج فى بداية الأمر واجتاحوا تراقيا ثم شقوا طريقهم إلى الضواحى المحيطة بالعاصمة ، لكن دبلوماسية الكسيوس أنقذت الموقف ، فحرض الكومان لمهاجمة حلفائهم البشناج ، ثم نجح الكسيوس أخيرا فى إيقاع هزيمة ساحقة بهم فى سنة ١٠٩١ م[٢].

أما أبو القاسم — الذى آل إليه الأمر فى نيقية بعد مقتل سليمان بن قطلمش — فقد ازداد نفوذه بدرجة كبيرة ، وأخذت قواته تهاجم بيثينيا كما أصبح يطمع فى الحصول على لقب سلطان . وأدرك كل من السلطان ملكشاه والامبراطور الكسيوس كومنين أن بقاء أبى القاسم خطر ينبغى القضاء عليه. وفى الوقت الذى نجح الكسيوس فى إنزال الهزائم بأبى القاسم حتى اضطره إلى طلب السلام فإن ملكشاه أرسل إلى الامبراطور سفارة بهدف عقد معاهدة تتضمن المصاهرة بين الجانبين وانسحاب الترك من غرب آسيا الصغرى والمدن البحرية ، أى أن ملكشاه تعهد بالقضاء على أبى القاسم من أجل عقد المعاهدة مع الامبراطور البيزنطى . ومن أجل ذلك أرسل ملكشاه القائد برسق للاستيلاء على نيقية وغيرها من المدن الأخرى الخاضعة للترك . وهنا أدرك الكسيوس أن بقاء أبى القاسم أهون عليه من استيلاء السلطان ملكشاه

(١) النويرى : نهاية الأرب . مخطوط بدار الكتب رقم ٥٤٩ معارف عامة ج٢٥ ورقة ٣٢ ،

(٢) Anna Comnena. op. cit., P. 153—154, Cahen. Pre ottoman. P. 78. Setton., p. cit., vol. I, P. 215

على آسيا الصغرى ، وعلى ذلك استمال الكسيوس أبا القاسم واستقبله في القسطنطينية وقدم له المساعدات العسكرية ضد برسق . وأرسل ملكشاه قائداً آخر هو بوزان مع خطاب إلى الامبراطور البيزنطى بتجديد مشروع التحالف بينهما ، وإذا كان بوزان قد نجح في التخلص من أبي القاسم وقتله فإن مشروع التحالف قد قضت عليه وفاة ملكشاه في سنة ١٠٩٢ م(١).

وتطورت الأحداث بالنسبة لسلطنة سلاجقة الروم في نيقية، فاستعاد قلج أرسلان بن سليمان بن قطلمش ملك أبيه ، وخشى الكسيوس كومنين تحالف نيقية وأزمير ضده ، فأخذ في إقناع قلج أرسلان أن قوة زاخاس المتزايدة خطر على نيقية ذاتها ، فما كان من قلج أرسلان إلا أن قتل صهره زاخاس غيلة سنة ١٠٩٣ م (٢) فتحررت الامبراطورية البيزنطية بذلك من أي خطر مباشر عليها .

أما بالنسبة لامبراطورية السلاجقة فقد تبع موت ملكشاه سنة ١٠٩٢ م نزاع على العرش السلجوقي فسقطت امبراطوريتهم في فوضى لفترة من الزمن، وانتهز الكسيوس تلك الظروف واستعاد أبولونيا وكيزيكوس(٣)، وكان يخطط أيضاً لإعادة غزو الأناضول عندما غزيت أقاليمه الأوربية من قبل الصليبيين الغربيين فجأة ، فنشأ بذلك عصر جديد(٤).

(١) Anna Comnena, op. cit. PP. 153—161: Cahen, Pre-ottoman, P. 80—81.

(٢) Brehier, op. cit., p. 304—305, Cahen. pre ottoman p. 81; vasiliev, History of the Byzantine Empire vol. II. P. 384—385:
د . عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ١١٩ .

(٣) Anna Comnena, op. cit. P. 163—164, Enno Franzius, op. cit., p. 303.

(٤) Enno Franzius, op. cit., P. 303.

الفصل السابع

العلاقات الحضارية بين الدولة البيزنطية
والقوى الإسلامية فى شرق البحر المتوسط

* أثر الحضارة اليونانية على الحضارة الإسلامية .
* إستفادة المسلمين من الحضارات السابقة :

حركة الترجمة .

* أثر حالة الحرب على الجانب الثقافي .
* العلاقات الاجتماعية بين الجانبين :
* العلاقات التجارية .

الجاليات التجارية - المعاهدات التجارية - السلع المتبادلة .

أثر الحضارة اليونانية على الحضارة الإسلامية :

بالرغم من الإختلافات الدينية واللغوية التى تفصل الحضارة البيزنطية عن الحضارة الإسلامية ، فإن كلتا الحضارتين قـــد أثرت كل منهما فى الأخرى بدرجات متفاوته فى كثير من المجالات،وهذا التأثير نتيجة طبيعيةفى الحضارات المتجاورة مهما ساد بينهما من عداء . ومع التسليم بذلك التأثير والتأثر بحكم الجوار بين الحضارتين ، وبحكم امتداد الدولة الإسلامية على أراض بيزنطية مشبعة بالحضارة الهيللنستية ، مع التسليم بذلك فإنه لا صحة للرأى القائل بأن الثقافة الإسلامية فى أساسها وجوهرها جزء من المـادة الهيللينية الرومانية[1].

ويمكن القول بأن الحضارة الإسلامية يدخل فيها عنصران: حضارة خلق أو حضارة أصيلة وهى الحضارة التى كان الإسلام مصدرها الوحيد ، ويتمثل ذلك فى النظم السياسية والاقتصادية والتشريعية والأخلاق ، ثم حضارة بعث أو إحياء وهى التى قام بهـا المسلمون فى العلوم التجريبية ، وهى علوم عرفتها البشرية منذ آلاف السنين ، وبعد أن كادت تتلاشى بعثت من جديد على يد المسلمين ثم أضافوا إليها تفسيرات وشروح وابتـكارات[2] .

إن الحضارة الإسلامية لم تستفد فقط عند قيامها من الحضارة اليونانية

---

(١) بالغ المستشرق أوليرى فى اعتماد الحضارة الإسلامية على الحضارة الهيللينية حتى ذهب إلى القول بأن علم التوحيد الإسلامى قد تحدد وتطور بواسطة منابع هيللينية ، وقد نهج ذلك النهـج أيضا هانز هينرش شيدر عندما قال إن حضارة الإسلام الروحية إنما هى هيللينية مطبوعة بطابع إسلامى . أنظر : أوليرى : الفـكر العربى ومكانه فى التاريخ ترجمة د . تمام حسان ص ١٧ - ١٨ وهامش (١) ص ١٧ الذى يتضمن رد المترجم على المستشرق ، هانز شيدر : روح الحضارة العربية ترجمه د . عبد الرحمن بدوى ص ١٠٠ - ١٠٢ .

(٢) شريف : الفـكر الإسلامى منابعه وآثاره ترجمة د . أحمد شلبى : مقدمة المترجم ص ١٨ - ١٩ .

الرومانية بـــل أفادت أيضاً من كل الحضارات الأخرى السابقة زمنياً عليها كحضارات الفرس والهنود والصينيين[1]. وبعبارة أخرى فإن المسلمين أخذوا من الحضارة اليونانية وغيرها من الحضارات العلوم العملية التى هى تفكير مشترك بين الناس جميعاً على اختلاف أجناسهم. وحقيقة إن العرب عندما خرجوا من شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى ونشروا دينهم الجديد وقاموا بحركتهم التوسعية لم يكن لهم تراث حضارى شامل، إنما كان لديهم ما هو أهم من ذلك وهو القـــدرة على استيعاب الحضارات الأخرى وتشرب أصولها[2]، والاطلاع على كل ما هو جديد، وقابلية شديدة لتلقى العلم، والاقتباس من الثقافات القديمة حتى أصبحوا الوريث الفكرى للأمم التى غلبوا عليها أو احتكوا بها.

وهكذا ما أن تمكن العرب المسلمون من بسط سيطرتهم السياسية فى منطقة الشرق الأدنى، ووقفوا على كنوز الحضارات السابقة عليهم حتى بدأوا فى هضمها وأحسنوا اختيار ما يناسبهم منها، ثم اضافوا إليها بالنقد والتعديل وخلقوها خلقاً جديداً حتى غدت فى جوهرها حضارة إسلامية بعد أن طبعتها العقلية الإسلامية بطابعها الخاص، ذلك أن من أهم صفات الحضارة الإسلامية الانفتاح على حضارات العالم كلها وعدم الإنغلاق على النفس[3].

وقد لعبت المدارس التى ازدهرت فى العصور السابقة على الإسلام فى منطقة الشرق دوراً كبيراً فى نقل تراث الحضارات القديمة إلى المسلمين. ذلك أنها احتفظت بالمخطوطات التى احتوت على غالبية العلوم الإنسانية والتجريبية التى عرفت من قبل فى بلاد اليونان وفارس. ثم جاء الإسلام فلم يغير من الحياة الداخلية للمجتمعات المسيحية التى خضعت له، فعاشت تلك

---

(١) د. عاشور: بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ١٧

(٢) د. عاشور: أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ١٣٧.

(٣) د. عاشور: بحوث ودراسات ص ١٧.

المجتمعات فى حرية تامة ، وكان خضوعها يتمثل فى سداد الجزية فقط . وهكذا ظل الباحثون السريان والنساطرة واليعاقبة الذين كانوا يجيدون اللغة اليونانية على إتصال بالعلوم والمعارف القديمة ويقومون بوضع ترجمات وتفسيرات وشروح لها[١].

ومن أهم المدارس القديمة مدرسة الإسكندرية التى ظلت قائمة حتى بعد فتح العرب لمصر ثم انتقلت بعد حوالى ثمانين عاما من ذلك الفتح إلى أنطاكية ثم حران ، وكذلك المدرسة الطبية النسطورية فى المدينة الفارسية جنديشابور التى استدعى بعض أساتذتها ومنهم جورجيس بن بختيوشع إلى بغداد لتدريس الطب وإنشاء المستشفيات ، وظلت أسرته ثلاثة قرون تتمتع بمكانه كبيرة عند الخلفاء العباسيين[٢].

ومنذ منتصف القرن الثامن الميلادى أصبح العالم العربى مسرحا لحركة ترجمة كبيرة عن اليونانية والفارسية والسريانية حتى أصبح فى متناول الجمهور الناطق بالعربية أهم مؤلفات أرسطو وشرح أفلوطين ، ومؤلفات أبقراط وجالينوس الطبية ، وأبرز كتب إقليدس الرياضية ، وآثار بطليموس الجغرافية . وقد لعب السريان دور الوسيط فى نقل هذا التراث لإجادتهم اللغة اليونانية ، إذ كانوا على إتصال باليونان لأكثر من عشرة قرون فى حين لم يكن العرب قد أحسنوا بعد تلك اللغة[٣].

وبلغت حركة الترجمة ذروتها فى عصر الخليفة المأمون الذى أسس سنة

---

(١) أوليرى : المرجع السابق ص ٦٥ – ٦٩

(٢) ماكس مايرهوف : « من الاسكندرية إلى بغداد » بحث فى تاريخ التعليم الفلسفى والطبى عند العرب . ترجمة د . عبد الرحمن بدوى ضمن كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ص ٣٧ – ٣٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٠

(٣) فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمة جورج حداد وآخرين ج ٢ ص ١٧٤ .

٢١٧ هـ / ٨٣٢ م مدرسة فى بغداد سماها بيت الحكمة ووضعها تحت إشراف يحيى بن ماسوية المتوفى سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م الذى كان مؤلفاً بالعربية والسريانية ومتمكناً من إستخدام اللغة اليونانية[١]، ومن تلاميذه حنين بن إسحاق — المتوفى سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م — الذى رحل إلى الامبراطورية البيزنطية وتعلم اللغة اليونانية بالإضافه إلى إجادته السريانية والفارسية والعربية ، وكان هو وابنه إسحاق وابن أخته حبيش أكثر المترجمين فى عصرهم انتاجا[٢]. وقد ترجم حنين بن إسحاق إلى السريانيه الكتب الرئيسية فى الطب وأجزاء من مؤلفات أرسطو ، كما أعد أيضاً ترجمة عربية لإقليدس وأجزاء مختلفة من جالينوس وبقراط وأرشميدس وآخرين ، كما ترجم الانجيل إلى اللغة العربية[٣] .

واجتهد الخليفة المأمون فى أن يجمع فى مكتبة بيت الحكمة كنوز العلوم الأجنبية إلى جانب كنوز العلوم الإسلامية ، فأمر بشراء المصنفات اليونانية من آسيا الصغرى حيث ترجمت إلى العربية[٤]، وبلغ إهتمام الخليفة المأمون بالحركة العلمية أنه عندما علم بوجود أحد العلماء المشهورين فى القسطنطينية وهو — ليو — ألح على الإمبراطور ثيوفيل لإرساله إلى بغداد لكن الإمبراطور البيزنطى رفض وأرسل بدلا منه نخبة من المشتغلين بالعلوم من البيزنطيين[٥]، كما أغدق الخليفة المتوكل والوزراء العطايا والأموال على المترجمين[٦]، ولم تقتصر حركة الترجمة على ما قام به المترجمون بناء على أوامر الخلفاء فقط بل

(١) أوليرى : المرجع السابق ص ١٢٦ – ١٢٧

(٢) د شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى العصر العباسى الثانى ص ١٢٢–١٣٣

(٣) أوليرى : المرجع السابق ص ١٢٧ .

(٤) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى ص ٢٠٢ – ٢٠٣

(٥) Camb, IV, I, P. 735.

(٦) د . شوقى ضيف : المرجع السابق ص ١٣١

إن بعض الأسر والأفراد كانوا يعدون أنفسهم حماة للترجمة والمترجمين ، وكانوا يتنافسون في هذه الحماية بعضهم مع بعض ومع الخلفاء أنفسهم ، ومن هؤلاء الأفراد على بن يحيى المنجم وبنو موسى بن شاكر وأحمد بن المدبر[١] ، وقد أرسل أولاد موسى بن شاكر الوفود على نفقتهم الخاصة إلى الامبراطورية البيزنطية بحثا عن المخطوطات الفلسفية والفلكية والرياضية[٢].

وفى حالات السلم التى قد تستمر بعض الوقت بين الجانبين الإسلامى والبيزنطى كانت البعثات العلمية الإسلامية تذهب إلى القسطنطينية . من ذلك البعثة التى أرسلها الخليفة الواثق من أجل البحث عن أهل الكهف فى أفسوس[٣]. ومن إحدى نصوص محاضرات المؤرخ البيزنطى باسيللوس فى مدرسة الفلسفة يستفاد بأن بعض المثقفين المسلمين من مختلف البلاد كانوا يتلقون العلم فى القسطنطينية على يديه ، ومن ذلك قوله « لقد سحرنا الكلت من الغرب ، والعرب من الشرق ، وجاء الناس بسبب شهرتنا من القارات الأخرى ، والنيل يروى الأرض للمصريين ، ولسانى يفعل نفس الشيء لعقولهم ، واسأل الفرس والأثيوبيين ، فسوف يخبرونك بأنهم معجبون بى . . . والآن فإن رجلا من أراضى بابل قد جاء لينهل منى بتعطش[٤] » . ثم إن الطبيب العربى ابن بطلان قام بزيارة أنطاكية ثم القسطنطينية وأقام بها سنة[٥]. ولا شك أنه خلالها اطلع على النظم والعلوم الطبية فى المدن البيزنطية وأفاد واستفاد .

ولم يكتف المسلمون بنقل الكتب اليونانية إلى العربية ، بل أضافوا عليها الشروح والتعديلات ، ففى القرن الرابع هـ / العاشر الميلادى وضع الطبيب

(١) د . شوقى ضيف : المرجع السابق ص ١٣٢ .

(٢) هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ترجمة فاروق بيضون وآخرين ص ١٢٤ - ١٣١ .

(٣) جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ترجمة د . عبد العزيز توفيق جاويد ص ٤٣

(٤) Barker, Social & Political thought in Byzantium P. 132.

(٥) لويس شيخو : كتاب شعراء النصرانية بعد الإسلام القسم الثالث ٢٦٦-٢٧٤

العربي على بن العباس كتاب « الملكى » المشتمل على الطب النظرى والعملى، وأظهر فيه عدة أغاليط لبقراط وجالينوس وغيرهم من أطباء اليونان[١].

وكان القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى هو العصر الذهبى للترجمة إلى العربية ، فمن بين المترجمين النساطرة من السريانية أبو بشر متى بن يونس المتوفى سنة ٣٢٨ هـ/٩٣٩ م وترجم إلى العربية القياس والشعر لأرسطو ، وتعليق ثامسطيوس على الكتاب الثلاثين من الميتافيزيقا ، كما وضع تعليقات أصيلة على مقولات أرسطو وعلى إيساغوجى فورفوريوس[٢].

ومن المترجمين اليعاقبة من السريانية إلى العربية يحيى بن عدى التكريتى المتوفى سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م وهو تلميذ حنين بن إسحاق ، وقد راجع كثيراً من الترجمات الموجودة ، كما وضع ترجمات المقولات والشعر والميتافيزيقا لأرسطو ، وترجم أيضاً القوانين لأفلاطون وغيرها من الكتب اليونانية . أما اليعقوبى أبو على عيسى بن زرعه المتوفى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م فقد ترجم المقولات والتاريخ الطبيعى[٣]. ومن المترجمين الذين كانوا يترددون على الأراضى البيزنطيه للحصول على المؤلفات اليونانية قسطا بن لوقا المتوفى حوالى سنة ٢٩٩ هـ/٩١٢ م[٤]وقد اشتهر بترجمة المؤلفات الرياضية والفلسفية كما كان يحسن اليونانية والسريانية والعربية[٥].

ولم يقتصر أثر الثقافة اليونانية على العلماء المسلمين فى ميدان العلوم التجريبية، بل إن مناهج الفلسفة عند بعض المفكرين المسلمين تأثرت أيضاً بمناهج الفلسفة اليونانية ، فأصحاب الفرق الإسلامية والمتكلمون انتفعوا بالأقيسه المنطقية ،

(١) جستاف لوبون : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ص ٤٨٩

(٢) أوليرى : المرجع السابق ص ١٢٨

(٣) نفسة : ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٤٩

(٥) فيليب حق : المرجع السابق ج ٢ ص ١٧٧ .

ولم يكن ذلك الانتفاع راجعا إلى فقر المادة الإسلامية إلى هذه الأقيسه ، بل لأن المنطق كان سلاح المناظرين للاسلام من المسيحيين فرأى المسلمون أن يدافعوا عن دينهم بنفس سلاح مناظريهم (١).

ومن أسبق مفكرى المسلمين فى محاولة التوفيق بين الفلسفه اليونانية ومناهج الصوفية الفيلسوف محمد أبو نصر الفارابى وهو تركى من تركستان عاش فى سوريا زمن سيف الدولة الحمدانى فى القرن الرابع الهجرى وتوفى سنة ٩٥٠ م (٢) . ثم إن الخلافات السياسية والمذهبية بين الفاطميين والعباسيين جعلت دعاة الفاطميين يتجهون إلى الفلسفة اليونانية ويستمدون الآراء من حكماء اليونان ليستعينوا بها على تأييد دعوتهم . كما أن الدعوة الفاطمية نفسها كانت ترى فى الدين ظاهرا وباطنا ومعنى صريحا ومعنى مؤولا (٣) ويتضح تأثير الفلسفة اليونانية فى جماعة إخوان الصفا التى ظهرت فى القرن الرابع الهجرى العاشر م وكانت ترى أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية مع الشريعة الإسلامية فقد حصل الكمال (٤) .

وإذا كان للمخطوطات اليونانية القديمة أثر ملموس على منهج العلماء المسلمين فى العلوم التجريبية والفلسفية ، فان الاحتكاك الحربى بين الجانبين الإسلامى والبيزنطى فى منطقة الحدود كان له أثره أيضا على الجانب الثقافى لكل منهما . لقد تشكلت فى منطقة الحدود طبقة عسكرية تتكون من رجال مستعدين دائما للحرب ، والمعارك اليومية لهؤلاء الجنود التى كان الفرد فيها مدينا لدرعه وخيله هى التى أنتجت القصص العربية والملاحم البيزنطية ، فالقصص العربية مثل قصة عمر بن النعمان التى ألفت فيما بين القرنين السابع والثامن الميلاديين كانت مصدرا إستفاد منه مؤلف الملحمة البيزنطية ديجينيس أكريتاس

(١) أوليرى : المرجع السابق مقدمة المترجم ص ١٠

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٠٠

(٣) احمد أمين : ظهر الإسلام ج ١ ص ١٨٨ — ١٩٠ ، ٢٣٢ — ٢٣٣ .

(٤) ابن العبرى : المصدر السابق ص ١٧٧ .

Digenes Akritas في القرن العاشر الميلادي فضلا عن التأثيرات المتبادلة في الأغاني الشعبية لكلا الجانبين (١) . ويؤكد ذلك التبادل المشترك في القصص الشعبية مايروى عن الجهشياري صاحب كتاب الوزراء والكتاب من أنه وضع كتابا اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم بعد أن أحضر المسامرين وأخذ عنهم أحسن مايعرفون ويحسنون (٢) .

ولاشك أيضا أن حالة الحرب بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي كان لها أثرها على الشعر العربي ، فقد كانت دافعا قويا لإخراج العديد من القصائد التي تحض على الجهاد وتذكر شجاعة المقاتلين في المعارك التي تقع ، أي أن حالة الحرب خلقت أدبا عربيا حربيا قويا ، وبالإضافة إلى ماقاله الشعراء في القرن التاسع عن هجوم الامبراطور ثيوفيل على زبطرة وإنتقام المعتصم بالهجوم على عموريه ، فقد برز في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي شاعران مجيدان هما المتنبي وأبو فراس الحمداني ، وقد كانا من حاشية سيف الدولة ، وقد سجل الاثنان كثيرا من المعارك في قصائدهما ، كما قال أبو فراس قصائده المعروفة باسم « الروميات » في أثناء أسره يشكو فيها حاله في الأسر ومابه من مرض وغربة (٣) . وكانت إحدى المناظرات الشخصية بين أبي فراس ونقفور فوقاس سببا في إنشاء بعض قصائد أبي فراس « فعندما قال له الدمستق نقفور فوقاس: إنما أنتم كتاب لاتعرفون الحرب رد عليه أبو فراس بقوله : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام ثم أنشأ قصيدة في ذلك (٤) ، وفي مناظرة عن الناحية الدينية أنشأ أبو فراس قصيدة

---

(١) Christides, V., "An Arabo-Byzantine novel, umar B. Al-Numan Compared with Digenes Akritas", in Byzantion Tome XXXII 1962. f. 2. pp. 549—561.

(٢) جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٣٠٠

(٣) احمد أمين : ظهر الإسلام ج ١ ص ٦٥ ، ديوان أبي فراس ، ديوان المتنبي .

(٤) الثعالبي . يتيمة الدهر ج ١ ق ٢ ص ١٢٠–١٢٢ ومن أبيات هذه القصيدة :

أتزعم ياضخم اللغاديد أننا ... ونحن اسود الحرب لاتعرف الحربا

لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه ... فكنا بها أسدا وكنت بها كلبا

بأقلامنا أجحرت أم بسيوفنا ... وأسد الثرى قدنا إليك أم الكتبا

أخـــرى (١) .

وكما كانت المعارك الحربية إلهاما للشعراء لنسج القصائد كذلك كانت دافعا للخطباء لإلقاء الخطب التى أثارت حماس المستمعين وحثتهم على الاشتراك فى الجهاد . ومن الخطباء الذين برزوا فى هذا الميدان ابن نباته الفارقى المتوفى سنة ٣٧٤ هـ/ ٩٨٤ م (٢) ، وعدد من خطباء طرسوس مثـــل أبى صالح عبد الغفار الوراق وأبى عبد الله الحسين بن محمد الخواص وغيرهم (٣) .

ومن مظاهر التأثير الثقافى لكل جانب على الآخر أن كثيرا من الكلمات العربية إنتقلت إلى اليونانية ، كما دخلت ألفاظ يونانية إلى العربيـة وإن كان كثير من هذه الألفاظ قد نقل محرفا عن لغته الأصلية (٤) .

ونتيجة للاتصالات المباشرة أيضا بين الجانبين الإسلامى والبيزنطى حدثت تأثيرات متبادلة فى مجال الفنون المعمارية ،فقصور بغداد والقسطنطينية بنيت بتقليد متبادل سواء فى العمارة أو التزيين ، والمعدات الموجودة فى قاعة المقابلات الرسمية فى بغداد تبدو على نفس النمط الموجـود فى القصر الكبير فى القسطنطينية ، ومن المحتمل حدوث نفس التقليد أيضا فى القصر الفاطمى فى القاهرة . وفى القرنين العاشر والحادى عشر مارس الفن الإسلامى تأثيرات

---

(١) أبو فراس الحمدانى : ديوانه جـ ٢ ص ٣٧١ ومن أبيات هذه القصيدة :

أما من أعجب الأشياء علـج   يعرفنى الحلال من الحـــرام

(٢) ابن نباته : الخطب النباتية ـ مخطوط بدار الكتب رقم ٢٠١٢٤ ب ، كنار : نخب تاريخية ص ١٦٧ .

(٣) ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٦٦ تاريخ جـ ٢ ورقة ٢٧٨ — ٢٨٠ .

(٤) د . إبراهيم أحمد العـــدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ص ١٥٠ — ١٥١ .

واضحة على البلاط البيزنطى [١] ، وبوجه خاص فن الزخرفة البيزنطية فى عصر الأسرة المقدونية الذى يبدو أنه مستعار من الفن الإسلامى [٢] ، كذلك فإن كريت الإسلامية التى ظلت تحت الحكم الإسلامى أكثر من مائة وثلاثين عاماً لابد أن تكون لها آثار واضحة فى هذا المجال على البيزنطيين .

وفى ميدان العلاقات الإجتماعية بين الجانبين الإسلامى والبيزنطى فإن حالة الحرب فى منطقة الحدود برغم ماتضفيه من مظاهر العداء إلا أنها كانت تسمح فى وقت فترات الهدنه بالإتصالات والتداخلات بين السكان بعضهم مع بعض وبين الأمراء المسلمين والأباطرة البيزنطيين ، فالأمراء المحليون فى الثغــور الإسلامية كانوا مضطرين فى فترات ضعف الخلافه العباسية إلى توقيع معاهدات أو مواثيق مع السلطات البيزنطية ، فالأمير أبو حفص — حفيد عمر بن عبيد الله الأقطع — أمير ملطية ذهب بنفسه إلى القسطنطينية ومعه قائد جيشه أبو الصلت لتوقيع معاهدة مع الإمبراطور رومانوس ليكابينوس [٣] .

ومن أمثلة التداخلات بين الجانبين فى منطقة الحدود تعاون البيالصة مع المسلمين فى ملطيـــة [٤] ، والتجاء العناصر الهاربة من الجانب البيزنطى إلى المسلمين مثل أندرونيقوس دوقاس وبرداس سكليروس [٥] ، ومن الجانب الإسلامى بنى بن نفيس الذى هرب إلى الأراضى البيزنطية حين خلع الخليفة المقتدر بالله سنة ٣١٧ هـ [٦] . وكذلك الأمير أبو الهيجاء بن سعد الدولة

---

(١) Camb., IV I, p. 753.

(٢) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, Vol., I, p.371-372.

(٣) انظر ماسبق ص ٧٧

(٤) انظر ما سبق ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣

(٥) انظر ما سبق ص ٦٥ ، ٦٦

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٦ ص ٢٠٠ — ٢٠٣ ، ص ٢١٧ ، القاضى الرشيد : كتاب الذخائر والتحف ص ١٧٨ .

الحمدانى [١] . وقد ساعد هؤلاء على نقل وتبادل المعلومات بالإضافة إلى ماقام به المرتدون من الجانبين،فسامو ناس طواشى عربى دخل فى خدمة الامبراطور ليو السادس ٨٨٦ — ٩١٢ م ، وتمكن هذا الطواشى من أن يحظى بنفوذ كبير لدى الإمبراطور الذى امتلأ قصره بالدسائس والمؤامرات [٢] ، وقد زار والد ساموناس القسطنطينية وعرض البقاء مع ابنه ، إلا أن ساموناس رفض بحجة أنه سيغادر العاصمة البيزنطية فى أقرب فرصة [٣] . ومن الجانب البيزنطى كان هناك ليو الطرابلسى ودامیان اللذان لعبا دورا كبيرا فى الحروب ضد البيزنطيين [٤]،ونصر حاجب الخليفة المقتدر الذى اجتذب أخاه من الأراضى البيزنطية إلى بغداد [٥] .

وعقب الحروب كان يحدث غالبا عقد اتفاقيات لتبادل الأسرى ، وكان يصحب الوفود لعقد هذه الإتفاقيات عائلات عربية معروفة باتصالها مع البيزنطيين مثل عائله « عبد الباقى » فى أذنه وعائلة « عمرو » فى ملطية [٦] ، السفارة البيزنطية التى وصلت إلى بغداد فى سنه ٣٠٥ هـ/٩١٧م فى أثناء حكم الخليفة المقتدر كان يصحبها أبو عمير عدى بن عبد الباقى ، وهو الذى طلب الإذن لها بمقابلة الوزير أبى الحسن بن الفرات ، كما قام أبو عمير بالترجمة فى أثناء المقابلة التى طلب فيها فداء الأسرى [٧] ، واشترك أبو عمير أيضا فى فداء سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م [٨] . وجرت التقاليد الإسلامية على المبالغة فى إكرام الوفود البيزنطية وإظهار عظمة الدولة الإسلامية بإقامة العروض

(١) انظر ما سبق ص ١٧٣-١٧٤

(٢) Brehier, L, Vie et Mort de Byzance p. 141.

(٣) Theophanes continuatus, p. 375.

(٤) أنظر ماسبق ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٧ .

(٥) Camb, IV, I, p. 734.

(٦) Ibid., p. 735.

(٧) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٥ ص ٥٣ — ٥٤

(٨) المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٦٥ .

العسكرية للجيش وتجميل القصور التي سينزل فيها الوفود [1] وكان سفراء الدولتين يقدمون على سفراء الدول الأخرى، ويعاملون معاملة ممتازة [2]، وكانت الرسائل التي يحملها السفراء مكتوبة باللغتين العربية واليونانية، فالرسالة الواردة إلى الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م كانت كتابتها اليونانية بالذهب ومعها ترجمة عربية بالفضة [3].

وكانت الرسائل البيزنطية إلى الخلفاء العباسيين تعبر عن نظرة الأباطرة إلى شخصية الدولة الإسلامية ممثلة في الخليفة، فحوت عبارات رسالة البطريرك نيقولا مستيكوس الأولى إلى الخليفة المقتدر عبارات تدل على إقتناع الحكام البيزنطيين بأنه لاغنى عن التعامل مع المسلمين كأنداد لهم، وأنه يجب على الدولتين أن يتعاملا بالشركة والأخوة، كما تضمنت الرسالة الثالثة عبارات مثل « إلى صاحب الأصل العريق والصاحبنا الأمجد الذى حظى باختياره تعالى برئاسة أمة السراكين . . . ياأيها الرجل العظيم سيد السراكين [4] ». أما رسالة الامبراطور رومانوس ليكابينوس إلى الخليفة الراضي فحوت عبارات مثل « الشريف البهى ضابط سلطان المسلمين » [5]، فلما أحرز الامبراطور نقفور فوقاس إنتصاراته داخل الأراضى الإسلامية أرسل إلى الخليفة المطيع لله الرسالة المشهورة بالقصيدة الأرمينيه والتي تباهى فيها الإمبراطور بانتصاراته وهدد بالهجوم على الأراضى الإسلاميه المقدسه والعراق واستعادة الأراضى البيزنطية المفقودة التي استولى عليها المسلمون من قبل، كما تعرض بالاهانة للخليفه العباسى، فرد عليه أحد المسلمين بقصيدة مضادة [6] :

---

(١) مسكويه : المصدر السابق ص ٥٣ — ٥٤ .

(٢) د . ابراهيم أحمد العدوى : المرجع السابق ص ١٦٠

(٣) القاضى الرشيد : المصدر السابق ص — ٦٥ .

(٤) Nicolai Constantinopolitani epistolae, in P. G.. p. 27, 310-311.

(٥) الهمدانى : تكملة تاريخ الطبرى ص ٣١٦ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٤٤ — ٢٥٣ ، د . عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى على الشرق ص ١٩٥ — ١٩٧ .

أما بخصوص الأسرى من الجانبين قبل إجراء الفداء فالمعروف أن المسلمين دائما كانوا يعاملون أسراهم معاملة حسنة، أما الجانب البيزنطي فان عامة الأسرى كانوا يستعملون فى عمل بعض الصناعات المختلفة ولكنهم لم يكرهوا على أكل لحم الخنزير كما لم يتعرضوا للاصابة بالعاهات، وكان لهم نصيب من الحرية فى ممارسة بعض الألعاب الرياضية، وقد نال كبار الشخصيات الإسلامية مثل أبى فراس الحمدانى معاملة كريمة [١]، لكن الأسرى المسلمين على العموم كانوا يتعرضون للاذلال النفسى فى أثناء إحتفالات البيزنطيين بالانتصار عقب المعارك [٢]، كما يبدو أن تنقلاتهم كانت مقيدة بالإقامة فى دار البلاط التى بنيت لهم بالقسطنطينية بناء على طلب الخلفاء الأمويين [٣].

وكانت أحوال الأسرى المسلمين تستدعى أحيانا إرسال البعثات من قبل الخليفة لزيارتهم وكتابة التقارير عنهم، ولم تمانع السلطات البيزنطية فى ذلك مثلما حدث فى عصر الخليفة المقتدر [٤] فقد أرسل البطريرك نيقولا مستيكوس إلى الخليفة المقتدر رسالة ينفى فيها وقوع اضطهاد أو تعذيب على الأسرى المسلمين [٥].

وأدت الحروب المتصلة بين البيزنطيين والمسلمين إلى انتشار عنصر الروم كما كان المسلمون يسمونهم فى ذلك الوقت فى المجتمع الاسلامى خصوصا فى بيوت الخلفاء والأغنياء. وكان الأسرى يشملون النساء والرجال والغلمان، وأصبح لكل فئة من هؤلاء وضعا خاصا فى المجتمع الإسلامى، فانتشرت الجوارى الروميات فى القصور حتى أن بعض الخلفاء كانت أمهاتهم روميات

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٤٧ – ١٤٨.

(٢) Camb, IV, I, P. 734.

(٣) المقدسى : المصدر السابق ص ١٤٧ – ١٤٨.

(٤) الصابىء : كتاب الوزراء ص ٣٥٤ – ٣٥٦.

(٥) Nicolai Constantinopolitani epistolae, pp. 310—318.

المولد ، مثل الخليفة المنتصر بالله بن المتوكل والمعتز بالله والمعتمد على الله والمقتدر بالله[١]. وقد بلغ من كثرة ذلك العنصر الرومى فى ذلك الوقت أن أصبح لهم أحياء أو حارات خاصة بهم فى المدن الاسلامية،ففى بغداد كانت لهم دار تسمى دارالروم بحى الشماسية،وكان لهم بهذا الحى كنيسة على المذهب النسطورى ودير يسمى دير الروم، وفى القاهرة كان عدد الروم كبيرا فى عصر الفاطميين وكونوا فرقة خاصة فى الجيش [٢] ، وكانت لهم حارة تسمى حارة الروم وهى التى أمر الخليفة الحاكم بهدمها فى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨ – ١٠٠٩م[٣].

وقد أنجب هذا العنصر البيزنطى « أو الرومى » الذى انتشر فى المجتمع الإسلامى أدباء وعلماء كان لهم فى فنهم وعلمهم طابع خاص لم يكن مألوفا فى العقلية العربية والفارسية ، ومن أشهر هؤلاء ابن الرومى الشاعر ، وابن جنى النحوى [٤] ، وكذلك بشرى أبو الحسن الرومى — مولى الخليفة المطيع لله — وقد درس علم الحديث [٥] ، وفى العصر البويهى اشتهر نظيف القس الرومى الذى كان خبيرا باللغات وترجم من اليونانية إلى العربية عدة كتب[٦] واستخدمه عضد الدولة فى البيمارستان الذى أنشأه فى بغداد [٧]. وكذلك قام بعض هؤلاء الروم بالعمل فى الصناعات اليدوية المختلفة كالحدادة والحياكة ، وفى ميدان الفنون والموسيقى والطرب برعت الجوارى الروميات فى الغناء والضرب على الآلات الموسيقية ، وأدخلت آلات جديدة على يد الروم .

---

(١) أحمد أمين : ظهر الإسلام جـ ١ ص ٦٥ — ٦٦ .

(٢) Lane pool., S., Ahistory of Egypt, p. 155.

(٣) أحمد أمين : المرجع السابق جـ ١ ص ٦٦ .

(٤) نفسه ص ٦٧ .

(٥) ابن الخطيب : تاريخ بغداد جـ ٧ ص ١٣٥ – ١٣٦ .

(٦) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٧٥ .

(٧) أحمد أمين : المرجع السابق ص ٢٣٢ .

هذا فضلا عن دخول أزياء كثيرة خاصة بهم مثل الديباج الرومى (١) .

ويتصل بالنواحى الاجتماعية تأثر الجانب الإسلامى ببعض العقوبات التى كانت مطبقة فى المجتمع البيزنطى ، فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ظهرت فى المجتمع الإسلامى عقوبة سمل الخلفاء للحيلولة دون توليهم منصب الخلافة وذلك احتذاء بعادة البيزنطيين عند منع الأباطرة من مواصلة الحكم . وكان أول خليفة ذاق ذلك العذاب هو الخليفة القاهر حينما أرسل إليه القضاة والشهود ليقر على نفسه بالخلع فى عام ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م . ثم كان المتقى لله ثانى من سمل عام ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م بأمر توزون رئيس الحرس التركى ، وأصبحت بعد ذلك تلك العادة محبوبة الاستعمال لدى البويهيين فى خلع الخلفاء (٢) .

العلاقات التجارية :

لم تمنع الحروب المتواصلة بين المسلمين والبيزنطيين فى شرق البحر المتوسط من استمرار التجارة بينهما ، فالموقع الجغرافى لكلا العالمين البيزنطى والاسلامى ووقوعهما على طرق القوافل التجارية القادمة من أوروبا والشرق الأقصى قد سهل كثيرا من عملية التبادل التجارى بينهما ، وقد قام بمهمة التسويق التجارى فى أراضى الجانبين تجار محترفون من المسلمين والبيزنطيين . كما قام بتلك المهمة أيضا السفراء المكلفون بمهام دبلوماسية (٣)

أما عن التجار المحترفين فتشير المصادر العربية والبيزنطية فى القرنين الرابع والخامس الهجرى / العاشر والحادى عشر الميلادى إلى تواجد جاليات من

---

(١) مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية فى العراق فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة . رسالة دكتوراه ص ٢٣ — ٢٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٧٨ ، ٢٠٩ — ٢١٠ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٠ — ١٨ .

كلا الجانبين مارست التجارة بحرية وأمان فى أراضى الجانب الآخر. فكتاب والى المدينة الذى ألف فى القرن العاشر الميلادى يتحدث عن التجار السوريين فى القسطنطينية ، وعن النظام الذى خضعوا له كسائر التجار الأجانب وكان يقضى بالانتهاء من المتاجرة خلال ثلاثة شهور ثم إخطار الوالى بالفائض لديهم من السلع [١] . وفى مدينة طرابيزون التى تقع على الحدود الأرمينية وعلى طريق القوافل القادمة بالسلع من الصين والهند وفارس تواجد أيضا التجار المسلمون ، وقد وصفها ابن حوقل بأنها « مدينة يجتمع فيها التجار من بلد الاسلام فيدخلون فيها إلى بلد الروم للتجارة » [٢] وقد كان التجار المسلمون ووكلاؤهم ينقلون السلع منها عبر الجبال إلى ملطية ومدن الفرات الأعلى [٣] .

أما التجار البيزنطيون فقد تواجدوا فى المدن الإسلامية الكبرى لاسيما القاهرة ، وقد اتهموا بحرق الأسطول المصرى فى عصر الخليفة العزيز بالله الفاطمى [٤] . أما التجار الأجانب من الروس الذين قاموا بنشاط تجارى فى تلك الفترة فكانوا يصلون إلى بغداد عن طريق الأراضى البيزنطية [٥] ، وقد احتكروا تجارة شمال شرق أوربا مع الخزر وبيزنطة وبغداد . وفى مقابل سلع الترف القادمة من جنوب أوربا مثل الذهب والنبيذ والحرير والفواكه تاجروا فى القمح والفراء والعبيد والسيوف والعسل والجلد البلغارى [٦] .

وعلى الرغم من أخطار الحروب الخارجية التى تعرضت لها بيزنطه خلال

---

(١) د . الباز العرينى : كتاب والى المدينة ضمن مجلة كلية الآداب المدد ١٩ ج ٥ سنة ١٩٥٧ ص ١٥٧ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ق ٢ ص ٣٤٤ .

(٣) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٨ .

(٤) يحيى بن سعيد الأنطاكى : تكملة كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ج ١ ص ١٧٨ .

(٥) ابن خرداذبه : كتاب المسالك والممالك ص ١٥٤ — ١٥٥

(٦) Enno Franzius, History of the Byzantine Empire, p. 172.

القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، إلا أنها تميزت برخاء اقتصادى ملحوظ . وقد ساعد على ذلك الرخاء استقرار قيمة العمله البيزنطية حتى سادت أنحاء أوربا (١) ، وقد أدى ذلك الاستقرار فى العملة فضلا عن جودتها بالإضافة إلى ماتمتعت به بيزنطة من نفوذ سياسى فى منطقة الجزيرة إلى التعامل بالعملة البيزنطية فى بعض المدن الإسلامية فى منطقة الفرات فى منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى خصوصا آمد وميافارقين ، وهو يعكس فى المقابل تدهور العملة العباسية بسبب حالة التفكك والضعف الذى أصبحت فيه الخلافة ، فعندما هربت زوجة الخليفة العباسى القائم بأمر الله وابنها من بغداد واتجهت إلى ميافارقين أثناء فتنة البساسيرى رتب لها الأمير نصر الدولة ابن مروان حاكم ميافارقين فى كل يوم خمسين دينارا أرمانوسية وأنفذها إلى آمد مع ابنها (٢) .

ولم تتحدث المصادر البيزنطية أو العربية كثيرا عن المعاهدات التجارية التى كانت بين المسلمين فى شرق البحر المتوسط والبيزنطيين خلال القرنين الرابع والخامس الهجرى / العاشر والحادى عشر الميلادى ، غير أن هناك نموذجا يوضح طبيعة تلك المعاهدات ، وهو مااتفق عليه قرعويه حاكم حلب سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠م مع البيزنطيين بشأن حق حصولهم على ضريبة العشور على السلع الواردة إلى المدينة ، وكذلك تعهده بحماية القوافل التجارية القادمة من الأراضى البيزنطية ودفع التعويض اللازم فى حالة مهاجمتها وقطع الطريق عليها (٣) .

---

(١) **Thompson, Economic & Social history of the** Middle **ages, vol, I, p. 335.**

(٢) الفارقى : تاريخه ص ١٥٨ — ١٥٩ ، وفى موضع آخر ذكر المؤلف أن أحد تجار ميافارقين ربح فى يوم واحد خمسمائة دينارا أرمانوسية . نفسه ص ١٦٧ .

(٣) ابن العديم . زبدة الحلب ج ١ ص ١٦٧ — ١٦٨ وأنظر ماسبق ص ١٦٨

واهتمام بيزنطة الواضح بامتيازاتها التجارية فى حلب يدل على أهمية تلك المدينة كمنفذ تجارى للقوافل القادمة من الشرق أو الذاهبة إليه . وبلغ من اهتمام الامبراطور باسيل الثانى بها أنه منح حاكمها صالح بن مرداس استثناء خاصا من قرار المقاطعة التجارية مع الخلافة الفاطمية فى مصر أثناء توتر العلاقات بينه وبين الخليفة الحاكم بأمر الله[١] ، وكانت الامبراطورية البيزنطية فى فترة عدائها مع الخلافة الفاطمية قد طلبت من حاكم البندقية عدم توريد الخشب الخاص ببناء السفن إلى مصر[٢] ، وقد اضطر حاكم البندقية إلى إصدار وثيقة فى عام ٩٧١ م أثناء حكم الامبراطور يوحنا تزيمسكس يتعهد فيها بعدم المتاجرة مع المسلمين فى المواد التى سيترتب عليها الحاق الضرر بالمسيحيين كالأخشاب اللازمة لبناء السفن والأنواع المختلفة من الأسلحة كالسيوف والرماح[٣] .

وتنوعت السلع التجارية التى حملها التجار من كلا الجانبين إلى أراضى الجانب الآخر ، فاستورد المسلمون الديباج والكتان الرومى والصوف والأكسيه[٤] ، واضطرت مصر إلى طلب القمح فى عهد الخليفة المستنصر فى أثناء نشوب المجاعة من الامبراطور البيزنطى قنسطنطين مونوماخوس، غير أن وفاة ذلك الامبراطور سنة ١٠٥٥م حال دون إتمام الصفقة[٥] ، أما البضائع الإسلامية التى استوردها البيزنطيون فقد اشتملت على المنسوجات الحريرية السورية والعطور والصباغة[٦] . وهناك نوع ثالث من البضائع التى كان يحملها

(١) يحي بن سعيد الانطاكى : تاريخه جـ ١ ص ٢١٤ .

(٢) د. سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٣٦، آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ ٢ ص ٤٢٩ — ٤٣٠ .

(٣) Lopez, Medieval trade in the Mediterranean world., p. 334.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ق ٢ ص ٣٤٤ .

(٥) أنظر ماسبق ص ٢٠٧ .

(٦) د. الباز : كتاب والى المدينة ص ١٥٦ .

التجار الأجانب من الروس . وكان هؤلاء يقدمون عن طريق الأراضى البيزنطية ثم خليج الخزر ثم بحر جرجان ومنه على الإبل إلى بغداد . واشتملت سلعهم على الخز وجلود الثعالب والسيوف [1] . ومن الجدير بالذكر أن التجار اليهود الذين كانوا ينقلون البضائع من غرب البحر المتوسط إلى شرقه وكذلك مدن الشرق الأقصى وبالعكس قد اختفوا منذ القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى بسبب ازدهار التجارة الإسلامية ونموها [2] .

---

(١) ابن خرداذبه : كتاب المسالك والممالك ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٣٧٢ .

خاتمـــــة

إن الدراسة التفصيلية لأحداث القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين وما تم فيهما من احتكاك حربى واتصال حضارى بين الدولة البيزنطة والقوى الإسلامية فى شرق البحر المتوسط ، هذه الدراسة قد أظهرت ما يلى :

إن ميزان القوى العسكرى فى القتال الذى دار بين الجانبين فى جبهة قيليقيا من قاليقلا فى أعالى الفرات شرقا إلى طرسوس على ساحل البحر المتوسط غربا ، هذا الميزان قد ظل لمصلحة الجانب الإسلامى حتى أوائل القرن الرابع الهجرى / العاشر م برغم أوضاع الخلافة العباسية المتدهورة وما ساد فيها من فتن وثورات ، وبرغم ضعف شخصية الخلفاء العباسيين ، ويرجع الفضل فى رجحان هذا الميزان إلى نشاط ولاة الثغور لا سيما ولاة ملطيه وطرسوس ، وإلى التفوق البحرى الذى كان للمسلمين فى المياه الشرقية للبحر المتوسط منذ استيلاء المسلمين على جزيرة كريت سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧م وبدء استيلاء المسلمين على صقلية فى نفس العام ، ثم فى التعاون البحرى بين الأساطيل الإسلامية — أسطول طرسوس وأسطول مصر وأسطول كريت — والذى بلغ ذروته فى الهجوم الناجح الذى قام به قائد الأساطيل الإسلامية ليو الطرابلسى على سالونيك سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م.

والتفوق العسكرى فى جبهات القتال من جانب المسلمين تبعه استمرار التفوق السياسى لشخصية الدولة الإسلامية — برغم ضعف شخصية الخليفة — وينم خطاب البطريرك نيقولا مستيكوس إلى الخليفة المقتدر عن احترام البيزنطيين لشخصية الدولة الإسلامية ، فالبطريرك يقول : « إن أعظم قوتين على الأرض كلها اثنتان : قوة الإخوة السراكين وقوة الرومان ، وهما لا يختلفان عن النيرين اللذين فى السماء ، ولذلك فعليهما أن يتعاملا بالشركة والاخوة . . . »

أخذ هذا الميزان يتدرج ميلا لمصلحة الجانب البيزنطى منذ أن تولى الحكم فى القسطنطينية الإمبراطور رومانوس ليكابينوس ٩٢٠ — ٩٤٤ م الذى استعان بقيادات عسكرية على درجة عالية من الكفاية مثل الدمستق كوركواس، هذا فى الوقت الذى ساءت فيه أحوال الخلافة العباسية منذ أن استولى البويهيون على مقاليد الأمور فى بغداد، والجهاد الشاق الذى بذله سيف الدولة الحمدانى للامساك بزمام المبادرة ومقاومة التوسع البيزنطى وتصحيح ميزان القوى لمصلحة المسلمين، هذا الجهاد برغم اشتماله على فصول رائعة من البطولات الإسلامية إلا أن المحصلة النهائية له انتهت لمصلحة الجانب البيزنطى بسبب فقدان التعاون بين أبناء البيت الحمدانى فى الموصل وحلب، إذ كان ناصر الدولة مشغولا دائماً بالصراع مع البويهيين، ولم يقدم أى معاونة إلى سيف الدولة بل كان فى الحقيقة عبئاً عليه. وهكذا انتهى الموقف عند استيلاء البيزنطيين على الحدث سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م بأن أصبحت معظم الثغور الإسلامية فى القطاعين الشمالى والأوسط من جبهة القتال فى قيليقيا فى يد البيزنطيين.

وأدرك البيزنطيون أن تحطيم السيادة البحرية الإسلامية فى المياه الشرقية للبحر المتوسط خير معين لهم على استكمال سيطرتهم العسكرية فى القطاع الجنوبى من جبهة القتال على البر فى قيليقيا، وكانت السيادة الإسلامية البحرية قد تزعزعت منذ وفاة ليو الطرابلسى وداميان إذ لم يكن لهما خلفاء على نفس الدرجة من الكفاية. وظلت كريت وحدها هى مصدر الإزعاج للشواطىء والجزر البيزنطية، وعلى ذلك تمت الإستعدادات للقضاء عليها نهائياً ونجح نقفور فوقاس فى ذلك سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م، فتلى ذلك سقوط قبرص أيضا سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م، واستعاد البيزنطيون عندئذ سيطرتهم البحرية على شمال وشرق البحر المتوسط، وواجهوا الخلافة الفاطمية فيما بعد بقوة بحرية خطيرة.

ونتيجة للسيادة البيزنطية على المياه الشرقية للبحر المتوسط أصبح الجهد البيزنطى الحربى مركزا فى القتال على البر فى قيليقيا، وبسقوط طرسوس

سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م أصبحت قيليقيا بأسرها مرة أخرى أراضى بيزنطية بعد أن ظلت ثلاثة قرون قاعدة إسلامية تعمل بنشاط ضد الأراضى البيزنطيه .

أخذ الزحف البيزنطى يمتد فى عمق الأراضى الإسلامية بعد ذلك، فأصبحت حلب محمية بيزنطية — بعد وفاة سيف الدولة — يرتبط حاكمها بالتزامات سياسية وعسكرية واقتصادية مع البيزنطيين ، وعندما اعتلى الامبراطور ابن الشمشقيق العرش البيزنطى سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٤م قام بحملتين عسكريتين على الجزيرة سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م وسنة ٣٦٣هـ / ٩٧٤م نجح فيهما فى اخضاع أمير الموصل الحمدانى أبى تغلب الذى قبل سداد الأموال للبيزنطيين ، وقام ابن الشمشقيق بحملته الثالثة على بلاد الشام سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥م نجح خلالها فى اخضاع أمير دمشق وفى مد النفوذ البيزنطى جنوبا حتى القدس ، كما أصبح الساحل بأسره باستثناء طرابلس فى يد البيزنطيين. ثم واصل الامبراطور باسيل الثانى سياسة فرض النفوذ البيزنطى فى بلاد الشام، وقام من أجل ذلك بحملتين سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م وسنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م ، فأكد بهما خضوع حلب مرة أخرى إلى حالة التبعية .

لقد قدمت هذه الدراسة أيضا صورة عن الأوضاع فى آسيا الصغرى البيزنطية فى القرن الحادى عشر م وماترتب على سياسة الامبراطور باسيل الثانى من ضم ممالك أرمينيا وتوطين الأرمن فى كبادوكيا، وكيف أن هذه السياسة أدت إلى اختلال التوازن العرقى وانهيار البناء الثقافى فى آسيا الصغرى ، هذا فضلا عن تدهور النظام الاقطاعى والجيش البيزنطى بعد وفاة باسيل الثانى . وقد أدت عوامل الانحلال هذه فى الجانب البيزنطى إلى عودة ميزان القوى لمصلحة الجانب الإسلامى عند ظهور السلاجقة الذين نجحوا فى بعث الدولة الإسلامية من جديد بعد توحيد إيران والعراق فى جبهة واحدة ، وألحقوا هزيمة ساحقة بالبيزنطيين فى موقعة مانزكرت فى أرمينيا سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م .

وأظهرت هذه الدراسة أيضا أن سكان كريت المسلمين لم يكونوا قراصنة،

بل كان لهم نظامهم السياسي والاقتصادي والحضاري ، كما أظهرت أيضا أن الكريتيين لم يتلقوا معونة قط فى أثناء حصار نقفور فوقاس لها وأنها تحملت العبء وحدها حتى نجح البيزنطيون فى الاستيلاء عليها ، وكان تدهور بحرية طرسوس وتقاعس الإخشيديين عاملا هاما من عوامل نجاح البيزنطيين فى كريت .

وأظهرت هذه الدراسة أيضا صورة من حركة الترجمة من اليونانية إلى العربية ، وأن حالة الحرب التى كانت هى الحالة العادية للحياة فى منطقة الحدود أنتجت القصص العربية والملاحم البيزنطية ، وأدت إلى تبادل الأدب الشعبى عند المسلمين والبيزنطيين ، هذا بالإضافة إلى ما أنتجته من أدب الحرب مثل روميات أبى فراس الحمدانى وقصائد المتنبى .

وفى العلاقات الاجتماعية أظهرت الدراسة أيضا أن حالة الحرب برغم ما فيها من عداء كانت سببا فى الاتصال المباشر بين بعض العائلات العربية والبيزنطيين مثل عائلة عبد الباقى فى أذنه وعائلة عمر فى ملطيه ، هذا فضلا عن مظاهر الاتصال الأخرى التى وضحت فى ثنايا الدراسة . وفى العلاقات الاقتصادية وضحت الدراسة أيضا عملية التبادل التجارى بين الجانبين والمعاهدة التى عقدت بين البيزنطيين وحاكم حلب سنة ٣٥٩هـ . أما فى ميدان العلاقات السياسية فقد أظهرت الدراسة أن الرسالة التى أرسلها البطريرك نيقولا مستيكوس كانت موجهة إلى الخليفة العباسى المقتدر وليس إلى أمير كريت كما هو شائع .

(ملحق رقم «١»)

رسالة البطريرك نيقولا مستيكوس[1]

عبارات هذه الرسالة تقطع بأنها كانت موجهة إلى الخليفة العباسى وليس إلى أمير كريت كما جاء فى عنوانها ، وبوجه خاص العبارات التى تتحدث عن العهود التى منحها الخلفاء لسكان جزيرة قبرس ، ثم عبارته التى تقول « وكأنى بك مع مرور الزمان ستحارب النصارى المقيمين فى سوريا لأن النصارى يحاربونكم » إذ أن سوريا تقع تحت حكم الخليفة العباسى ولا يوجد لأمير كريت سيطرة عليها .

• • •

وترجمة نص الرسالة كما يلى :

﴿ إلى الشهير واللامع الصديق الحبيب أمير كريت ﴾

ص ٢٧ : كل سلطان أرضى وكل ولاية تنبع من الولاية والسلطان السماوى ، وليس بين الناس فى سلطة ، وليس فى الأرضين من ينال المقدرة بعبقريته الخاصة من غير أن يمنحها اياه الله المالك فى الأعالى ، وهو وحده القدير . ولذلك فعلينا نحن الذين لنا السلطة فى هذا العالم ، ويجدر بنا أن نتصل بعضنا ببعض حتى ولو لم يتسن لنا هذا الاتصال إلا عن طريق الحديث ، لأن سلطتنا تابعة عن مصدر واحد . فلا ندع إذا أمكن يوما واحدا يمر من غير أن نكلف العارفين بالبحث فى شئوننا عن طريق الرسائل والمنتدبين . والذين فى أيديهم مقاليد الأمور عليهم بمقدار مايلقونه من عظيم الإكرام أن يأمروا ويمارسوا سلطتهم العليا كأخوه . وماذا يعنى هذا الكلام ؟ إن أعظم قوتين على الأرض كلها هما اثنتان : قوة الاخوة السراكين وقوة الرومان ، وهما لا يختلفان عن

(١ Nicae Constantinopolitani epistolae, in P. G. pp. 27—35

النيرين اللذين في السماء ، ولذلك فعليهما أن يتعاملا بالشركة والأخوة . وكوننا نختلف في العادات والمعيشة والدين لايجوز أن يجعلنا يجافي أحدنا الآخر ، كما أن انعدام اللقاء فيما بيننا لايجوز أن يمنع فيما بيننا المراسلة قطعيا، بل علينا أن نرغب في ذلك ، ونمارسه حتى لو لم تدع إليه ضرورة سياسية .

ص ٣٠ : والآن إليكم شرح الأسباب التي جعلتنا نقول هذا الكلام ، وهي أحداث قد جرت ولا ترضى عنها عظمتكم وقد اضطرتنا إلى مراسلتكم وإلى إيفاد بعثة سبقت وقدمت إلى سلطانكم الذي منحكم إياه الله تعالى . ولكن قبل أن نقص ماجرى نود أن نقول مايلي : إن من تقلد السلطة عليه أن يأخذ بأمور كثيرة ان شاء أن يسمو بأخلاقه إلا إذا كان قد قرر مسبقا أن يثبت للناس أنه غير جدير بما ناله من سلطة ، لأنه بذلك لن يكون لرعيته قدوة في ممارسة الفضائل ولن يكون حكمه لطيفا وجديرا بالإعجاب ، ولن يرغب فيه أحد بل سيجعل الجميع يكرهونه ويحملهم على الطعن فيه ، أما فضيلة الحكام العظمى وهدفهم الأعظم فهي العدالة التي بها يصبحون أقوياء ويدبرون شئون دولتهم بأمان ولا يفسحون لتهجمات الأعداء مجالا سهلا . ثم إن كل ما في تصرفات الحاكم من مساع نحو اكتساب الفضيلة تزينه وتزيده جمالا ، غير أنها لن تجدى رعيته كبير منفعة إن لم تكن لديهم رغبة حسنة في الاقتداء بفضائل رئيسهم والامتثال لها . ذلك أن العدالة فائدتها شاملة فهي تزيد الحاكم قوة وتضمن للرعية الأمان .

وبعد هذه المقدمة لنذكر ماجعلنا نفتتح هذا الحديث . إن أهالي جزيرة قبرص يافخامة زعيم السراكين من يوم أن تعاهدوا وقرروا أداء الجزية لسيادتكم إلى يومنا هذا عاشوا في أمان بفضل هذه المعاهدة لأن أحدا من السراكين أسلافكم ممن تولوا الحكم لم يتعد هذا العهد ، كما لم يتعد عليهم بأية طريقة ، بل كل في أوانه عندما تولى الحكم اتبع رأى سلفه المنصوص عليه بكرامة وعدالة ، فكرموهم وحافظوا عليهم ولم يدخلوا على معاهداتهم أي تعديل ولم يصدر عنهم رأى أو عمل مخالف لإرادة أسلافهم .

والآن ماذا نقول ؟ لاشك أنه كان أجدر بنا أن ننبذ إبطال المعاهدة مادامت قائمة ، غير أن كل شيء وضع تحت الأرجل وقلب رأسا على عقب . أعنى آراء آبائكم والنصوص التى خطوها بأيديهم والمعاهدة والقسم الذى أداه للقيارصة السراكين فى ذلك الزمان . وبدلا من السلام والعهود والقسم يلقى القيارصة السيف والحرب والقتل، فى حين كان من المفروض أن يأتى السراكين لنجدتهم لو تعدى عليهم أحد . وهناك سنة معترف بها لدى الجميع تقضى بردع كل من يحارب مدينة أو أمة تؤدى الجزية ، وحماية كل من يؤديها .

غير أن ما هو عدل لدى جميع الشعوب بما فيها الأمم التى تجهل الشرائع هضمه ص ٣١ السراكين الخاضعون للشريعة . والجزيرة التى منذ ثلاثمائة سنة أى منذ أدت لكم الجزية لم تمس حقوق مواطنيها ولا قبلت أى تعديل فيما يخص الجزية أو أى سخرة تقدم للسراكين ، والتى لم يوجد فيها أى شيء يستحق اللوم ، هـــذه الجزيرة أمست الآن مهجورة وخربت لا لشيء إلا لغباء إنسان جحد الدين المسيحى وزيف مذهب السراكين . فالأهالى بعضهم قتلوا وآخرون طردوا من منازلهم ، وذنبهم الوحيد أنهم خدموكم راضين كل هذه المدة ولم يكونوا مسيئين قط لكرامتكم رغم تعديكم عليهم أكثر من مرة، وبخطورة رغم العهود والحقوق والعدالة . ولكنهم حتى ولو أخطأوا كما هو طبيعى بين البشر وأرادوا مالا توافقون عليه لماذا يليق بكم مهاجمتهم بالسلاح والإسراع إلى الذبح والجرح ، إن هذا مما لا يليق لا بالسراكين وحدهم بل بكل شعب لا يجهل أصول التدبير والتعايش الإنسانى .

وكان أحرى بكم أن تنبهوا أولا على الخطأ وتثبتوا المخالفة ثم تحذروهم أن يعودوا إلى صوابهم ولا يحيدوا عن الحق وذلك لا مرة واحدة بل مرتين وأكثر ، فإذا لم يعودوا إلى الصواب وتمادوا فى سوء نيتهم كان فى وسعكم اللجوء إلى جميع أنواع التأديب البشرى والإلهى لتعاقبوا وتردعوا شذوذا بلغ هذا المبلغ . ولكن لم يتم شيء من ذلك، بل كما سبق وذكرت ناس أبرياء لا ذنب لهم لم يخالفوا عهودهم القديمة فى شيء اضطهدتموهم كأعداء .

مَنْ مِنَ المعاصرين واللاحقين لا يتهم أصحاب هذا التصرف بالظلم والقساوة؟ ألن يلومكم أجدادكم أيضا الذين قطعوا للقبارصة العهود وأكدوها بالقسم ؟ ومادام للراحلين شعور بمظلومى هـذا العالم ألن يستاؤوا منكم غاضبين ويدينوكم أشد دينونة كمذنبين لا فى حق جزيرة قبرص فحسب بل فى حقهم هم أيضا ويصبون على رؤوسكم اللعنات كما يليق بقتلة آبائهم ؟ وإن كان أحد لا ينجو من تهمة « قاتل أبيه » إذا ما خالفه وهو على قيد الحياة ألا يكون قاتلا لأبيه من خالف إرادة أبيه الراحل ويستحق نفس العقوبة، هل ياترى هناك من فرق فى هاتين المخالفتين ؟ لا بل بالنسبة لمن يتوخ الفهم السليم فإن التمرد على الوالد الراحل أقبح من التمرد عليه وهو على قيد الحياة لاسيما وأن واجب إكرام البنين لوالديهم المنتقلين وذكرهم بالحسنى والعمل بإرادتهم أعظم . أما ذلك الإنسان الذى لا أدرى كيف اسميه ، والذى لا يحب المسيحيين والذى يشوه السراكين أعنى داميان، فانه لا يعتبر هذه الدنيا، ولا يوقن بالآخرة ولا ينقاد إلا لغباته وثورته الجنونة مقترفا إثما سيبقى على مدى الدهور ص ٣٤ صرحا يشهد لآثامه ، إذ عمل بكل قواه على خلع أهالى جزيرة مزدحمة بالسكان من اراضيهم ليسلمهم إلى الهلاك .

وقد تقول نعم. ولكن رب قائل يقول لك: كان هناك سبب دفعه إلى ذلك مما جعله يتصرف بطريقة تبدو آثمة . ذلك أن همريوس قبض على بعض السراكين فى الجزيرة وقتلهم ، وكان من واجب القبارصة وفقا لتعهدهم أن ينقذوهم ويعيدوهم إلى أماكنهم . ولكن أنت يامن توجه اللوم ألا تعرف شريعة العدالة ؟ أولا تفكر من المسئول عن هـذا السبب الذى ذكرته ؟ هل من حقه أن يستاء ؟ ولنفرض أن هذه التهمة التى توجهها حقيقية وليتل القبارصة العقاب من أجل المكروه الذى سببوه للسراكين ، لكن لن أسمى هذا الأمر عادلا وهو أن يدان الجميع ويتحملوا غضبكم وظلمكم بسبب همريوس ورفاقه ، وليعمل بهذا الكلام ويعاقب القبارصة لكون همريوس أساء إلى السراكين فى أثناء مكوثه فى جزيرتهم . ولكن إذا كان لا يصح قطعا الخلط بين همريوس والقبارصة فلماذا يعيش تحت الخطر من لا يجوز أن يتحمل نتائج

جريمته ولا يجوز أن يكفر عن الذنوب التي اقترفها ؟ أما هو فبصفته قائداً للجيش الروماني فكان من حقه قهر العدو في أي مكان من غير أن يتعدى العرف العام . أما القبارصة فلا يعتبرونكم أعداءهم ولم يسببوا لكم أي ضرر كما أنه ليس في استطاعتهم أن يتصدوا لهمريوس أو أن ينقذوا السراكين من يديه . ولذلك فلا يمكنك الادعاء أنهم لم يعملوا ما كان في استطاعتهم أو أنهم انضموا إليه وساعدوه على التعدى على السراكين .

ولماذا تعلن الحرب على القبارصة لهذا السبب وتصب عليهم جام غضبك ، لماذا لا تحاول معاقبة من آذاك ، بل تريد معاقبة الأبرياء عما أصابك؟ أم لكون همريوس قدم إلى بلادك واستولى على بعض المدن السورية تنزل العقوبة بالقبارصة وتعتبر الغضب عليهم حقاً وترفع السلاح وتقوم لمحاربتهم مهملا همريوس ؟

على أن هذا لا يقبله أسلافك ولا من خلفهم حتى أيامك هذه . لماذا ؟ لأن القبارصة متاخمون للرومان ولمملكة السراكين ولا يرفعون أيديهم لا عليكم ولا على الرومان بل يخضعون لنا ولكم سويا بل لكم أكثر . وعليه فكما أنه من الظلم والقساوة أن يحارب القبارصة لأن همريوس رفع سلاحه في بلادكم كذلك فإنه من الاجحاف والجور محاربة القبارصة لأن بعض السراكين وقعوا صدفة في يد همريوس في جزيرتهم . وكأني بك مع مرور الزمان ستحارب النصارى المقيمين في سوريا لأن النصارى يحاربونكم . وإن كان هذا التصرف ص ٣٥ : يعتبر جريمة كبرى فإنه لا يخلو من جريمة بالنسبة للقبارصة أيضا ، ولكن لندع ما نقوله لنثبت ظلم هذه الحرب، وعليك أيضا أن تضع في اعتبارك الانتقام الآلهي وقد عرفت بالحكمة والمعرفة ولك شأن في فهم الأحكام الالهية ، وتأمل معى في الغضب الالهى الذى انصب على داميان والدليل على ذلك هلاكه وانهياره. ومنذ أن بدأ يجتاح الجزيرة بمذابح ظالمة فبرأه الاحساس بالعقاب العادل على ما اقترفه من ظلم . وإن شئت فتأمل أيضا ما جرى لأسطولكم

فى البحر والدمار الذى لحق بسفنكم أمام الجزيرة نفسها ، تلك الجزيرة التى كان قد قرر ذلك الآثم أن يقضى عليها. إنى لاأشك قط أنك تفهم هذا كله من غير كلامنا هذا . وقد ذكرناه لأنه لم يكن هناك مايمنع من سرده . والآن لابد لسلطانكم الالهى ألا يكتفى بالفهم بل إصلاح ماحصل من مكروه . لتعاد للقبارصة المساكين الحقوق التى منحهم إياها قديما آباؤكم مع الأمان والطمأنينة ويتركوا فى السلام المتمتعين به منذ القدم: أداء الجزية المفروضة عليهم وخدمة السراكين الآن أيضا كما كان فى الماضى، من غير أن يتعرضوا إلى أى نوع من القهر أو العنف ، وذلك حتى لاتخالفوا آراء آبائكم وعهودهم الشريفة وكى لاتفقدوا ما أحرزتموه بعد التحكم من مجد وكرامة .

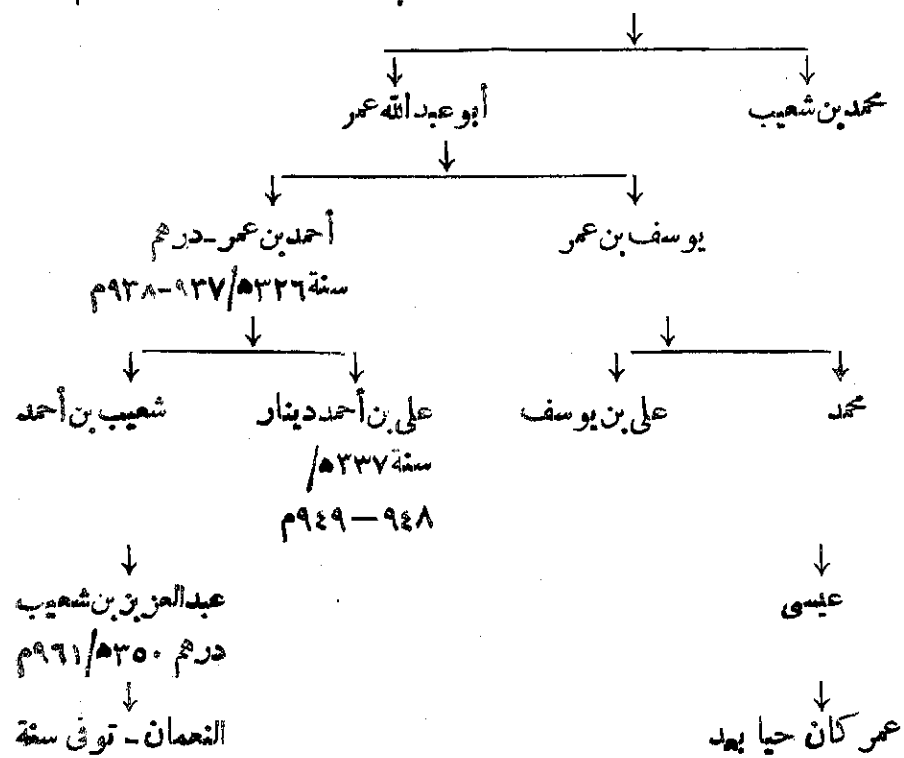
* * *

(ملحق رقم ٢)

تسلسل الأسرة الإسلامية الحاكمة فى كريت
كما يتضح من العملات النقدية المكتشفة فيها

أبو حفص عمر فاتح كريت (٢١٢هـ/٨٢٨م)
وظل حيا حتى سنة ٢٣٨هـ / ٢٨٥ – ٨٥٣م

شعيب . دنانير من سنة ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨١هـ/٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٥م



قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية :

(أ) المخطوطات :

١ ـ ابن ظافر الأزدى : جمال الدين أبو الحسن على / ٦٢٣هـ .
أخبار الدول المنقطعة . مخطوط بدار الكتب بالقاهرة رقم ٨٩٠ [
تاريخ .
٢ ـ ابن العديم : كمال الدين أبو حفص / ٦٦٠هـ / ١٢٦٢ م .
بغية الطلب فى تاريخ حلب: مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة
ثلاثة أجزاء برقم ١٥٦٦ تاريخ .
٣ ـ الذهبى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م .
تاريخ الإسلام . مجلد ١٦ منه برقم ٤٢ تاريخ بدار الكتب .
٤ ـ سبط ابن الجوزى : يوسف قزاغلى ت / ٦٥٤هـ .
مرآة الزمان : مخطوط بدار الكتب بالقاهرة رقم ٩٢٧٦ ح
الأجزاء ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ .
٥ ـ النعمان : أبو حنيفة بن أبى عبد الله بن محمد بن أحمد بن حيون
ت ٣٦٣هـ / ٩٧٤م .
المجالس والمسايرات: مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة . جزءان
رقم ٢٠٦٠ .

(ب) المصادر العربية المنشوره :

ـ ابن الأثير : أبو الحسن على بن أحمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ م .
الكامل فى التاريخ : جـ ٦ ، ٧ المطبعة المنيرية سنة ١٣٥٣هـ ، جـ ٨
مطبعة الاستقامة .

٧ — ابن الأزرق الفارقي: أحمد بن يوسف ولد سنة ٥١٠ هـ.
تاريخ الفارقي تحقيق د. بدوى عبد اللطيف بيروت سنة ١٩٧٤ م.
٨ — ابن أيبك : أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري، بعد سنة ٧٣٦هـ.
كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس منه المعروف باسم الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية - تحقيق صلاح المنجد - القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م.
٩ — ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن . ت ٨٧٤ هـ.
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. طبعة دار الكتب بالقاهرة.
١٠ — ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن ت ٥٩٧ هـ.
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . جـ٦، ٧ مطبعة الدكن سنة ١٣٥٧هـ وما بعدها.
١١ — ابن حوقل : أبو القاسم ابن حوقل . ت ٣٦٧ هـ - ٩٧٥ م.
كتاب صورة الأرض . ليدن سنة ١٩٦٧ م.
١٢ — ابن خرداذبة : أبو القاسم عبد الله بن أحمد ت ٣٠٠ هـ.
كتاب المسالك والممالك . ليدن سنة ١٩٦٧ م.
١٣ — ابن الخطيب : لسان الدين بن الخطيب (في القرن الثامن الهجرى - الرابع عشر ميلادى).
كتاب أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . نشرة ليفى بروفنسال.
١٤ — ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ٦٨١ هـ.
وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة سنة ١٩٤٨
١٥ — ابن الزبير : القاضى الرشيد (القرن الخامس الهجرى).
كتاب الذخائر والتحف . تحقيق محمد حميدالله . الكويت ١٩٥٩م.

١٦ — ابن سعيد الأندلسي : على بن موسى ت ٦٧٣ هـ - ١٢٧٥ م .
المغرب فى حلى المغرب ج ١ الخاص بمصر - تحقيق د . زكى محمد حسن ، وآخرين . مطبعة جامعة فؤاد سنة ١٩٥٣ القاهرة .

١٧ — ابن العبرى : غريغوريوس الملطى . ت ٦٨٥ هـ - ١٢٦٢ م .
تاريخ مختصر الدول . المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٠٨ م .

١٨ — ابن العديم : كمال الدين أبو حفص . ت ٦٦٠ هـ - ١٢٦٢ م .
زبدة الحلب من تاريخ حلب . تحقيق سامى الدهان ج ١ ، ٢ دمشق سنة ١٩٥١ م .

١٩ — ابن عذارى المراكشى : أبو عبد الله محمد - أواخر القرن السابع هجرى .
البيان المغرب فى أخبار المغرب ج ١ ، ٢ نشره ليفى بروفنسال . ليدن سنة ١٩٤٨ م .

٢٠ — ابن القلانسى : أبو يعلى حمزة بن أسد بن على ت ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م .
ذيل تاريخ دمشق . بيروت سنة ١٩٠٨ م .

٢١ — ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٢ م .
البداية والنهاية - ج ١١ مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م .

٢٢ — ابن ميسر : محمد بن على بن يوسف - ت ٦٧٧ هـ .
أخبار مصر ج ٢ ، المعهد العلمى الفرنسى - القاهرة سنة ١٩١٩ م .

٢٣ — أبو شجاع : ظهير الدين الروزراورى (القرن الخامس هجرى) .
ذيل كتاب تجارب الأمم - مطبعة شركة التمدن سنة ١٣٣٤ هـ .

٢٤ — أبو فراس الحمدانى : الحارث بن سعيد - ت ٣٥٧ هـ - ٩٦٨ م .
ديوان أبى فراس - تحقيق سامى الدهان . بيروت سنة ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م .

٢٥ — البلوى : أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى البلوى (بعد ت ٣٣٠ هـ) .
سيرة أحمد بن طولون - تحقيق محمد كرد على - دمشق ١٣٥٨ هـ .

٢٦ — البيهقي : أبو الفضل محمد بن حسين (ت ٤٧٠ هـ - ١٠٧٨ م) .
تاريخ البيهقي : ترجمة د. يحيى الخشاب وصادق نشأت - سنة ١٩٥٦ م .

٢٧ - الثعالبي: أبو منصور (ت ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م) .
يتيمة الدهر - جـ ١ في ٨ أقسام تحقيق إيليا الحاوي - بيروت سنة ١٩٧١ م .

٢٨ — الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م .
العبر في خبر من غبر . ثلاثة أجزاء - الكويت ١٩٦٠ م وما بعدها .

٢٩ — الراوندي : محمد بن علي بن سليمان (ت القرن السابع هـ) .
راحة الصدور وآية السرور . ترجمة أمين الشواربي . القاهرة ١٩٦٠ م

٣٠ — الصولي : أبو بكر بن يحيى ت ٣٣٥ هـ .
أخبار الراضي والمتقي لله نشره مرجليوث مطبعة الصاوي بالقاهرة .

٣١ — الطبري : محمد بن جرير ، المتوفى سنة ٣١٠ هـ .
تاريخ الرسل والملوك . دار المعارف ١٩٦٧ م وما بعدها جـ ٨، ٩، ١٠

٣٢ — قدامة بن جعفر . توفي في القرن الرابع الهجري .
نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ضمن كتاب المسالك لابن خرداذبة - ليدن سنة ١٩٦٧

٣٣ — القرطبي : عريب بن سعد (حوالي سنة ٣٣١ هـ) .
صلة تاريخ الطبري . في جـ ١١ من تاريخ الطبري نشر دار المعارف سنة ١٩٧٧ .

٣٤ — القلقشندي : أبو العباس أحمد . ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م .
صبح الأعشى : القاهرة سنة ١٩١٣ وما بعدها .

٣٥ — الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م
كتاب الولاة وكتاب القضاة . ليدن - بيروت سنة ١٩٠٧-١٩١٢ م

٣٦ — المتنبي : أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفي : ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م .
ديوان المتنبي : تحقيق عبد الوهاب عزام . لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٤ م .

٣٧ — المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله . النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ليدن سنة ١٩٦٧ .

٣٨ — المقري : أبو العباس أحمد . (القرن العاشر هـ) .
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . أمستردام سنة ١٩٦٧م

٣٩ — المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م .
- مروج الذهب . المطبعة البهية سنة ١٣٤٦ هـ
- التنبيه والاشراف . دار التراث بيروت ١٩٦٨ م

٤٠ — مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م
تجارب الأمم وتعاقب الهمم . ج ٥ ، ٦ طبعة ١٩١٤ م

٤١ — المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا . تحقيق د. الشيال سنة ١٩٤٧ م
- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . دار الكتاب اللبناني بيروت عن مطبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ .

٤٢ — الهمداني : محمد بن عبد الملك ت ٥٢١ هـ .
تكملة تاريخ الطبري : في ج ١١ من تاريخ الطبري - دار المعارف سنة ١٩٧٧ م .

٤٣ — يحيى بن سعيد الأنطاكي : ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م .
تكملة تاريخ سعيد بن البطريق المسمى بالتاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، جزءان بيروت سنة ١٩٠٥ م .

٤٤ — اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح ت ٢٨٤ هـ .
تاريخ اليعقوبي . جزءان بيروت ١٩٦٠ م .

ثانيا : المصادر البيزنطية (اليونانية واللاتينية) :

A. Corpus Scriptorum Byzantionae, Bonn 1828.

1. Attaliata, M. Historia.
2. Cameniata, I., De Excidio Thessalonicensi.
3. Cedrenus, Historiarum Compendium. II.
4. Genesius, Basialeiai.
5. Leo diaconus, Historiae.
6. Sclitza ; Historia.
7. Symeon Magister, Annales.
8. Theophanes Continnatus.
9. Monachus, G., Vitaie recentiorum Imperatorum.
10. Zonaras, Epitomae Historiarum III.

B. P. G., P. Migne. 1861.

11. Constantini porphyrogeniti, De Caremonii aulae Byzantinae.
12. Nicolai Constantinopolitani Epistolae.

C. مصادر بيزنطية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية :

13. Anna Comnena : The Alexiad, London 1967.
14. Psellus, Chronographia — London, 1953.

ثالثا — مراجع عربية حديثة ومترجمة :

١ — أوليرى : الفكر العربى ومكانه فى التاريخ . ترجمة د . تمام حسان المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
٢ — د . إبراهيم أحمد العدوى : الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية مطبعة لجنة البيان العربى سنة ١٩٥١ م
٣ — أحمد أمين : ظهر الإسلام . الطبعة الرابعة ج ١ القاهرة ١٩٦٦
٤ — آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى - ترجمة د . محمد عبد الهادى أبوريدة . جزءان - بيروت . سنة ١٩٦٧ .
٥ — أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ترجمة أحمد محمد عيسى (مكتبة النهضة) .
٦ — أسد رستم : الروم . جزءان - بيروت سنة ١٩٥٥ .
٧ — د . أسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية سنة ١٩٧٧ م
٨ — د . السيد الباز العرينى :
- الدولة البيزنطية . طبعة سنة ١٩٦٠
- أجناد الروم - نهضة مصر ١٩٥٦ .
- كتاب والى المدينة - مجلة كلية الآداب المجلد التاسع عشر ج ١ مايو سنة ١٩٥٧ .
٩ — جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . طبعة دار الهلال مراجعة د . شوقى ضيف .
١٠ — رانسيمان :
- تاريخ الحروب الصليبية . ترجمة د . الباز العرينى . بيروت ١٩٦٨ م .
- الحضارة البيزنطية . ترجمة عبد العزيز جاويد - لجنة التأليف والترجمة .

١١ ـ د . سعيد عاشور :
ـ الحركة الصليبية ـ جزءان الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ م .
ـ أوربا العصور الوسطى . ج ١ طبعة سنة ١٩٧٥ م .
ـ قبرس والحروب الصليبية . القاهرة سنة ١٩٥٧ م .
ـ بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى . بيروت سنة ١٩٧٧ م .
١٢ ـ د . سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين . القاهرة سنة ١٩٧٠ م .
١٣ ـ شريف : الفكر الإسلامى منابعه وآثاره ، ترجمة د . أحمد شلبى الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٥ م « مكتبة النهضة » .
١٤ ـ د . شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى ـ العصر العباسى الثانى . طبعة دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٣ م .
١٥ ـ شيخو : كتاب شعراء النصرانية بعد الإسلام . ٤ أجزاء ـ بيروت سنة ١٩٢٦ م .
١٦ ـ د. صابر دياب : سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثانى الهجرى حتى نهاية العصر الفاطمى . القاهرة سنة ١٩٧٣م
١٧ ـ جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد القاهرة ١٩٥٦ م .
١٨ ـ جوستاف لوبون : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر القاهرة ١٩٦٩م
١٩ ـ د . عبد العزيز حسنين : سلاجقة إيران والعراق ـ القاهرة سنة ١٩٧٠م
٢٠ ـ د . عليه الجنزورى : الثغور البرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى ـ مكتبة الأنجلو بالقاهرة سنة ١٩٧٩ م .
٢١ ـ د . عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربى ـ الامبراطور يوحنا تزيمسكس ـ أ ـ الطبعة الثانية .
٢٢ ـ فازيليف ـ العرب والروم ـ ترجمة د . شعيرة . دار الفكر العربى .
٢٣ ـ فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك العربى والاتصال الحضارى ـ مطبعة الدار القومية للطباعة والنشر .

٢٤ ـ فيليب حتى : تاريخ سـوريا ولبنان وفلسطين ـ جـ ١ و ٢ بيروت سنة ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ .

٢٥ ـ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ـ ترجمة نبيه فارس وأمين البعلبكى بيروت سنة ١٩٦٨ م .

٢٦ ـ لسترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد . بغداد سنة ١٩٥٤ م .

٢٧ ـ د . محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٧٦ م .

٢٨ ـ مستشرقون: التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية. ترجمة د. عبد الرحمن بدوى . القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

٢٩ ـ ميشيل يتيم : تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية . حلب سنة ١٩٦٣ م .

٣٠ ـ هانز شيدر . روح الحضارة العربية: ترجمة عن الألمانية د. عبد الرحمن بدوى ـ بيروت سنة ١٩٤٩ م .

٣١ ـ هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ـ ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى ـ المكتب التجارى بيروت سنة ١٩٦٩ .

رابعا : المراجع الأوربية الحديثة :

1. Alexander P., Religious Persecution and Resistance in the Byzantine Empire of the eigth and ninth centuries, in Speculum L II 1977.
2. Andros, P., Note on the Eleventh Century Chronology 1059—1081. in Byzantiniche Zeitschrift, 1965.
3. Barker. Social & Political thought in Byzantium, oxford 1957
4. Brehier, Vie et Mort de Byzance, Paris 1947.
5. Cahen, Cl., I. Pre ottoman Turkey, London 1968
II. La Premiere penetration Turque en Asia Mineure. Second Motie du XIS., in Byzantion XVIII 1948.
III. La diplamatie orientale de Byzance face a la Poussée. Seldjukide, in Byzantion XXXV 1965.
IV. «La Campagne de Mantzikert» D'apres Sources Musulmanes, in Byzantion IX 1934.
6. Canard, I. Histoire de dynastie des Hamdanides de Jazira et de syrie, Paris 1953.
II. Le relations politques et sociales entre Byzrnce et les Arabes, in D. O. P. 18—1964.
III. La destruction de l' Eglise de la Resurrection Par Le Calife Hakim, in Byzantion 1965 XXXV p. 16—43.
IV. Arabes et Bulgars au debut du X siecle, in Byzantion XI, 1936.
7. Charanis, P., Byzantium, The west and the Origin of the first Crusade, in Byzantion XIX 1949 p. 17—36.
II. On the Social structure of the later Roman Empire. in Byzantion XVIII 1944—1945.
III. Cultural diversity and the Breakdown of Byzantine power In Asie Minor, in D. O. P. N. 29, 1975.
IV. Armenians & Greeks in the Byzantine Empire, in the Armenian Review vol. XXV, 1972, Spring.
8. Dedeyan, G, L' immigration Armenienne en Cappadoce au XI Siecle, in Byzantion XLV, 1975 f. I.
9. Dimitrias, The Maseonas, Military Break down in Byzantium during the XIth Century, in Analetkta 1968—1969.
10. Emile Jannsens, Le lac de von et la strategie Byzantine. in Byzantion XLII 1972 p. 388—404.
11. Enno Franzius : History of the Byzantine Empire, New yourk 1967.
12. Finlay, G. History of Creece, from its conquest by the Remans to the present time, Oxford 1877.

13. Foord, History of the Byzantine Empire. Londou 1911.
14. Francesco Gabreli, Greeks and Arabs in the Central Mediterranean Area, in D. O. P. N. 18.
15. Gardener, E., Greece & the A Egean, London 1938.
16. Gaudefroy Demombynes et Platonov : Le Mond Musulman et Byzantin Jusque aux Croisades, Paris 1931.
17. Grousset, R. I. Histoire de l'Asie, Paris 1921.
II. Histoire des Croisades et du Royaume france de jerusalem Paris 1934.
III. L'Empire du Levant, Paris 1946.
IV. Hisoire de l'Armenie des Origine A 1071, Paris 1947.
18. Helene Ahrweiler,
I. Byzance et la Mer, la Marine de Guerre, la politique et les Institutions Maritime de Byzance aux VII—XV. siecles, Paris 1966.
II. L'administrations militaire de la Crete Byzantine, in Byzantion XXXI 1961.
19. Jones. W. R.. The legened and letters of Abgar King of Armenia, in the Armenian Review vol. 28 Spring 1975.
20. Jenkins, R. I. Byzantium the Imperial Centuries 610—1071, London 1966
II. The Mission of St. Demetrianus of Cyprus to Bagdad, in Annuaire IX 1949.
21. Levtchenko, Byzance des Origimes A 1453, Prais 1949.
22. Lopez, R., Medieval Trade in the Mediterranean world., London 1955.
23. Lillian Etmekjian, The Impact of Arab dominations on Armenian religious and political Institutions, in The Armenian Review, vol. 2. 28—1975.
24. Lynch, Armenia, Travels and Studies, Beirut 1965 2 vol.
25. Miles, G., Byzantium and the Arabs relations in Crete and the AE gean Area, in D. O. P. N. 18, 1964.
26. Obolensky, D. The Byzantine Commonwealth, Easter Europe 500—1453, London 1971.
27. Oman, The dark ages 476—918, London 1914.
28. Ostrogorsky, History of the Byzantine state, Oxford 1956.
29. Schlumberger, G. L'Epopee Byzantine a la fin du Dixieme siecle — Paris 1925 novelle edition.
30. Scott, S. P., History of the Moorish Empire in Europe. London 1904, 3 vols.
31. Setton, K., A History of Crusades, vol. I. Pennsylvania U. S. A. 1958.

32. peros Vryones, Byzantium its Internal history and relations with the Muslim world. London 1971.

33. Stern, « An Embasy of the the Byzantine Emperor to the Fatimid Caliph Almu' izz », in Byzanition XX 1950, pp. 239—258.

34. Thompson, I. The Middle ages 300—1500, London MCM XXXI
    II. Economic & Social history of the Middle ages I, II, New York 1959.

35. Vasiliev, I. History of the Byzantine Empire vol. I, II, Madison 1958.
    II. On the question of Byzantine Feudalism, in Byzantion VIII 1933

36. Vassilias Christides, An Arabo—Byzantine Novel, in Byzantion XXXII 1962.

37. Walter Emil, The contribution of Archery to the Turkish conquest of Anatolia, in Speculum 1964 XXXIX.

خامسا : الدوريات :

1. Analekta
2. Annuaire
3. Armenian Review.
4. Byzantion.
5. Byzantinische Zeitschrift.
6. Cambridge Medieval History, vol, IV, P. I., New edition 1967
7. Dumbarton Oaks Papers.
8. Speculum

تصحيح الخطأ

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٥	هامش[1]	Pales Tine	Palestine
٤٢	٧ فى الهامش	coutinuntas	continuatas
٤٣	١١	لازياد	لازدياد
٤٤	١٠	المركزى	المركز
٤٥	٧ فى الهامش	Barls	Boris
٥١	٣	متهم	منهم
٥١	٤ فى الهامش	انديساس	أندرياس
٦٢	١٠	إذا	وإذا
٦٦	١	١٩٤هـ/٩٠٦م	٢٩٤هـ/٩٠٦م
٦٩	٨	البيزنطى	البيزنطيين
	٩	شرفى فبلقيا	شرقى قيلقيا
٧٠	٥	البلغاره	البلغار
٧٣	١٢	يوقاس	فوقاس
	١٣	به	يد
	١٣	أنساب	انساب
٧٤	٣	امبراطور	امبراطورا
	٤	الواجهه	المواجهة
٧٥	١٠	ليكايتوسى	ليكابينوس
٧٦	١٢	السليمه	السلمية
٧٨	١١ فى الهامش	٢١٨ – ٢٨٤	٢٨١ – ٢٨٤
٧٩	١٦	وإلى	والى
٨٠	٨	وإلى	والى
٨٠	١٢	طوسوس	طرسوس
٨١	١	ممت	تحت
٨١	٢	غز	غزو

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٣	١٠	كوكـواس	كوركواس
٨٣	١٠	جهة	جبهة
٨٦	٩	تقفور	نقفور
	١٧	أى	أدى
٩١	٨	بردس	برداس
٩٢	٩	مواجهة	مهاجمة
٩٧	١٣	الامبراطور	الامبراطورية
١٠١	٩	بالإ كسندرية	بالإسكندرية
١٠٣	١٢	للبزنطيين	للبيزنطيين
١ ٥	١	كويت	كريت
١٠٥	٣	لتلاقى لتلقى	لتلقى
١١٢	١	الكويتيه	الكريتية
	٧	تام	قام
١١٣	١٤	البلوبوتيز	البلوبونيز
١١٤	٢	١٩٠هـ/٩٠٢م	٢٩٠هـ/٩٠٢م
١١٥	١٨	دوومونا	درومونا
١١٦	٩	ليو السادس الطرابلسى	ليو الطرابلسى
	١٢	الكويتية	الكريتية
١١٧	٥	قسطنطين	قنسطنطين
١١٨	١	يقسم	يقيم
١١٩	١	الامبراطوره	الامبراطور
١١٩	١٥	جديدية	جديدة
١٢١	١٩	ورجله	ورجاله
١٢٣	٨	لماجمة	لمهاجمة
١٢٤	٦	الكويتى	الكريتى
١٢٥	٦	إذا	إذ
١٢٨	٣	قصد	بقصد

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣٣	٥	وفى	فى
	٥	زهور	زهو
١٣٧	٥	ليو فرقاس	ليو فوقاس
١٣٩	٣	سندو	سمندو
١٤١	٥	رعيان	رعبان
١٤٦	١	الشمقشيق	الشمشقيق
١٦٤	٨	حلت	حلب
	٨	ببلاده	ببلاد
١٦٧	١	ميخائل	ميخائيل
١٧٠	١ فى الهامش	Conord	Canard
١٧١	٢ فى الهامش	Carna;	Canard,
١٧٣	٢٠	خيطر	فسيطر
		ناسيل	باسيل
٢٠٠	١٩	تقيم	تقسيم
٠١	٧	للسياحة	للسياسة
٢٢٨	٢	ابن جهر	ابن جهير
٢٣٣	٧ فى الهامش	Caheu	Cahen
٢٥٥	١٢	الجهور	الجمهور
٢٦٣	١٣	لسفاره	فالسفارة
٢٦٨	١٦	والعمل	والعسل

رقم الإيداع ١٥٠٧ / ١٩٨١